الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى

جامعة الفاتح - سرت -

كلية الآداب والتربية

قسم علم التفسير

خطاب الطف

(من نص السلطة إلى سلطة النص)

"دراسة تحليلية نقدية لأطروحتي نهاية التاريخ وصدام الحضارات"

بحث مقدَّم لنيل درجة الإجازة العالية (الماجستير) في علم التفسير

مقدم من الطالبة:/رحمة أبوبنينة عبدالسلام عثمان

إشراف :/ أ.د . طلعت مراد

العام الجامعي:2004.ف

كلية الآداب والتربية

قسم التفسير

"خطاب العنف من نص السلطة إلى سلطة النص"

دراسة تحليلية نقدية لأطروحتي نهاية التاريخ وصدام الحضارات

إعداد :رحمة أبو بنينة عبد السلام عثمان

التوقيع:

أعضاء لجنة المناقشة :

1- أ.د / طلعت مراد بدر

2- أ.د / ابوبكر إبراهيم التلوع

3- أ.د / عبدالله الطاهر مسعود

أ. عبدالرؤوف بابكر السيد

أمين إدارة الدراسات العليا بالكلية

يعتمد:

أ. حمد أحمد الحاج

أمين اللجنة الشعبية لكلية الآداب والتربية

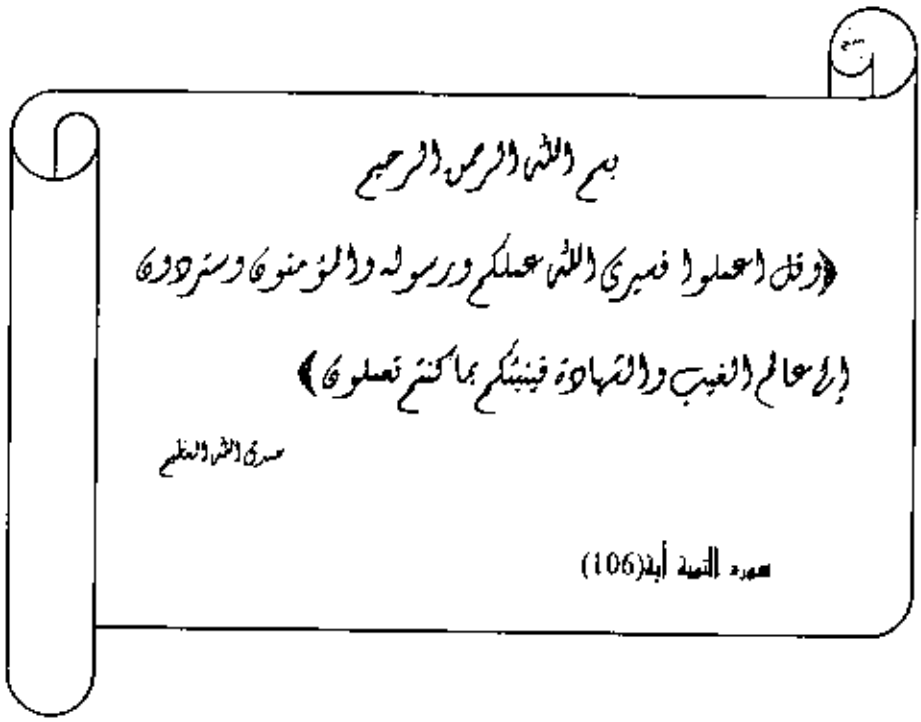

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون

إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾

صدق الله العظيم

سورة التوبة آية(106)

✿ إلى كل إنسان

يملك حرية الفكر

وقوة الإرادة

ويحلم بغدٍ أفضل

أهدي هذا العمل ✿

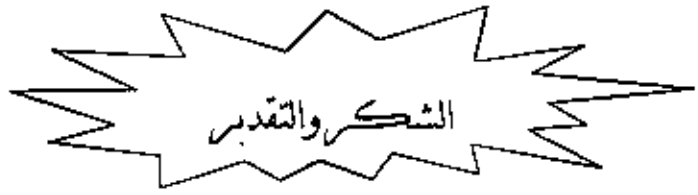

مع فائق شكري وامتناني لأستاذي الدكتور الفاضل **(طلعت مراد بدر)** الذي تفضل متواضعاً بالإشراف على دراستي هذه ،وألمس جهوده المبذولة ،والذي لم يقصر لا بالجهد ولا بإبداء الملاحظات القيمة التي عملت على إثراء العمل وتقويمه،جعله الله ذخراً لي ولغيري من الدارسين وطالبي العلم .

كما أشكر جزيل الشكر الدكتور الفاضل **(عبد الرؤوف بابكر)** على تواضعه ومساعدته لي من أجل إغناء الدراسة من خلال المراجعة اللغوية لها جزاه الله خيراً وأشكر الدكتور **صفاء الدين** بكلية الإقتصاد في جامعة التحدي الذي ساعدني في توضيح بعض المفاهيم الاقتصادية ،و أقدم خالص تقديري واحترامي لجامعتي **(جامعة التحدي)** والقائمين عليها من الجهاز الإداري وموظفين ومكتب الفتاة الجماهيرية ،وأعضاء هيئة التدريس بها الذين كانوا لي النبع الذي أخذتُ منه الكثير ،ولهم الفضل في تعليمي وإرشادي .

كذلك لا يفوتني أن أشكر بالجامعة العاملين **بالمكتبة المركزية والمكتبة الاقتصادية** الذين عملوا على تقديم المساعدة والعون،كما أقدم عظيم تقديري وعرفاني **لمركز دراسات وأبحاث الكتاب الأخضر (فرع سرت)**،وأشكر كل من دعمني معنوياً أو قدم لي كتاباً أو نصيحة أو إبداء رأي .

وعائلتي الكريمة**(أبي وأمي وإخوتي وأخواتي)** طبعاً التي لا تسعفني الكلمات لكي أبدي عن دعمها لي ،داعية من الله أن أكون الابنة البارّة لها وللوطن وأن يكون بإمكاني تغيير شيء ما للأفضل أو تصحيح خطأ ،فالخطأ لكي يكون خطأ ينبغي أن يكون الفكر التام موجوداً.

الباحثة

الفهرس

العنوان رقم الصفحة

- الإهداء/.....(أ).
- الشكر والتقدير/.....(ب).
- الفهرس/.....(ج).
- المقدمة.....(1-11).
- فروض الدراسة/.....(12-13).
- الدراسات السابقة/.....(14).
- الباب الأول/نقد الخطاب الغربي الأيديولوجي .....(15-111).
  - الفصل الأول/المشروع الكولونيالي (أزمة تاريخ وتاريخ الأزمة).....(16-48).
  - الفصل الثاني/تاريخ الغرب وإرهاصات الحداثة .....(49-73).
  - الفصل الثالث/خطاب العنف من التفريغ الأيديولوجي إلى التفريغ الاقتصادي.....(74-111).

- الباب الثاني/ السوق وميتافيزيقا نهاية الإنسان..... .....(112-175).
  - الفصل الأول/الالتحاق بالغرب والأيديولوجيا الخرساء...(113-132).
  - الفصل الثاني/أيديولوجيا الخصم ومطاردة التاريخ.....(133-152).
  - الفصل الثالث/العرقية من الذهن إلى التاريخ.....(153-175).

- الباب الثالث/العنف من تثقيف السياسة إلى تسييس الثقافة.....(176-219).
  - الفصل الأول/نوستالجيا الغرب واللقاطة الثقافية.....(177-200).
  - الفصل الثاني/الإسلام حرب الغرب الدائمة.....(201-219).

- الخاتمة.....(220-227).
- قائمة المصادر والمراجع .....(228-233).
- كشاف.....(234-248).

المقـدّمـــة

إنَّ العنفَ الذي شكّل خطابهُ بواكير الحداثةِ السياسيّة الغربيّة ، والذي ما فتئ ينشرُ قَيحهُ حتى يومنا هذا لم يولد بين عشيّةٍ وضُحاها بل امتد تاريخ مولدهِ المتعسّر إلى القرن السّادس عشر والسّابع عشر وما بعدهما.

لهذا الخطاب ثلاثة أبعاد ننوي تسليط الضوء الأكاديمي عليها حتى تأتي هذه الأطروحة كتأريخ ورصد لمرحلة نموّهِ وفتوّتهِ وشيخوختهِ التي تشهدها السّاحة الآنيّة :و هذه الأبعاد التي تنتهي بأظافر حادّة سامّة تهدّد خيارات الشعوب لتصادر مستقبلها :و هي الاقتصاد والأيديولوجيا والثقافة بمعانيهم العريضة الواسعة .

لهذا سنتتبّع خطاب العنف الاقتصادي منذ بواكيره الأولى في غزو الجنس الأنجلوسكسوني لأراضي الغير وإبادتهم وتشريدهم بحثاً عن الغنيّمة الاقتصاديّة ،وهي المحاولات ذاتها التي تشهدها الحلبة الاقتصاديّة اليوم .فخشبةُ المسرحِ باقيةٌ كما هي لم تتغير وإن تبدّلتْ الأدوار والأبطال ومساحيق الوجوه.

كما أنّ هناك الخطاب الأيديولوجي وجد بدوره اهتمام ورعاية الرجل الأبيض المنتصر الذي غافل التاريخ لينهيهُ عند عتبة أيديولوجيا واحدة أفرزها التاريخ الغربي ،تاريخ الرجل الأبيض الذي ما انفك وهو في طريقه إلى سدّة الهيّمنة والسيّادة يهشّم رؤى وتراث وأجنّة الأيديولوجيات التي اعتنقتها الشعوب ،وورثتها عن آبائها وأجدادها.

كما أنّ الثقافة لم تنجُ هي الأخرى من تلك البراثن الهمجيّة التي سطّر بها الرجل الغربي أول خطواته نحو مصادرة الذهنيّة البشريّة واحتوائها في كيسه الاقتصادي والأيديولوجي: فمارس امبرياليّتهُ الثقافيّة وجعل منها صنماً

يُعْبَدُ ويُبْتَهلُ إليه.ومن هنا سيكون عملا فرنسيس فوكوياما: (نهاية التاريخ وخاتم البشر)؛ وصموئيل هنتنغتون :(صدامُ الحضاراتِ وإعادة بناء النظام العالمي الجديد)،مركز اهتمام الأطروحة بحثاً وتحليلاً وتمحيصاً ،إذ أنهمّا يعبّران عن هذا الخطاب بألسُنِهِ الثلاثة التي ما فتئتْ تُمْطِرُنا بوابل من شرعيّاتٍ متوهّمَة لا تمتلك من حقِ الوجودِ سِوَى حُلُم (نُوستالجي) بالعودةِ إلى ماضٍ تليد هو في حقيقةِ الأمرِ ماضٍ ترزحُ تحتهُ هويّات الشعوب وكينونَتِهَا.

إنَّ كليهما (فرنسيس فوكوياما و صمويل هنتنغتون) ظهرا في عمليْهما المذكورين كمرُابين لخطابِ العنفِ الغربيّ هذا ؛رغم أنَّهُمَا قدْ يلتقيان أحياناً وقدْ يفترقان أحياناً أُخْرَى لكنَّهُمَا لمْ يُقَدِمَا سِوَى أُطْرُوحَتَين رعتْ هذا الخطاب كلٌّ حسب طريقتهِ وحسب مصطلحهِ الخاص،و أعْطَيَتهمَا مُرَكّزَتَان على الاقتصاد أحدهما وهو (فرانسيس فوكوياما) من خلال أيديولوجيا جامحَة مغرورة هادفاً الوصول إلى أن الديموقراطية الليبرالية قد تشكل نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية ؛أي إنها تشكل نهاية التاريخ ؛وكانت هذه الفكرة نشرت كمقالة له في 1989ف ثم طورها ونشرها ككتاب في 1993ف.والآخر وهو (صموئيل هنتنغتون) من خلال ثقافة لا تقل جموحاً وغروراً بافتراضه أن الثقافة أو الهوية الثقافية الحضارية هي التي تشكل نماذج التماسك ؛والتفكك ؛والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة وهي تطوير لمقالته التي نشرها في 1993ف وأصبحت كتاباً نشره في 1996ف.

لهذا فإنّنا حينما نتناول خطاب العنف عند كلا الرجلين إنّما سنعني بتتبّع تلك البشارات التي يزفُّها كلا النصّين عن الفردوس الاقتصادي التي حبلتْ به الديموقراطيّة الليبراليّة الغربيّة بإيقاعها الأمريكي والتي من خلالها رسم وسطّر كلا المفكّرين الطريق إلى الفردوس الغربيّ والذي ليس ثمّة طريق إليه

عدا هذه الأيديولوجيا الغربيّة اليتيمة التي لم تنسَ مصادرة الديموقراطية والليبرالية وتحورهما عن معانيهما الأصلية.

صحيح أنّ هنتنغتون قد ركّز على الجانب الثقافيّ أو الحضاري لهذه الأيديولوجيا التي توهمّت الانتصار ؛إلا أنهُ من ناحية يعكس أو تعكس رؤيته كوّة نحو الاقتصاد المنتصر الذي تحبل به سطور النص عند هنتنغتون كما أنّ فوكوياما من ناحية أخرى بالرغم من تركيزه على الجانب الأيديولوجي الذي يتضمن البعد السياسي والاستراتيجي وحسب، يطرح بدوره ممراً جانبّياً ومكاناً هامّاً نحو الهيّمنة الثقافيّة والفكريّة.

والرجلان معاً يعبّران كما نرى وكما سنعرض في الأطروحة هذه عن تاريخ الغرب وطموحاته وبنوده التي لا تألو جهداً في أن تظل حيّة ترزق حتّى أيّامنا هذه ؛ولهذا نطلق على عمليهما (نصيّ السّلطة) إذ إنّ كليهما يجتمعان حول هذه الخصّيصة كنصين يعبّران عن رغبات الدّولة وينفّذان مخطّطاتها ومراميها وخريطتها للبشرّية والمعمورة .ناهيك عن أنّ الرجلين موظّفان مخلصان وفيّان لسيّدتهما الدّولة أحدهما وهو صمويل هنتنغتون المفكّر الأمريكي شغل يوماً خبيراً في مكافحة التمرّد في فيتنام إبّان إدارة الرئيس جونسون، كما عمل فيما بعد مديراً لمعهد الدراسات الاستراتيجية في جامعة هارفارد.والآخر وهو المفكر الأمريكي ذو الأصل الياباني فرنسيس فوكوياما الذي كان يعمل موظفاً لدى الخارجيّة الأمريكيّة ؛وأستاذ السياسة العامة بجامعة جورج ماسون؛ومدير برنامج المعهد للتجارة الدولية والسياسات المرتبطة بها.

إنّ هذا يفسّر لدينا سر ذلك الرواج الذي وجدهُ العملين ؛إذ إنّ الدّولة قد أوّلتهما رعايتها الخاصة.وهذه هي نفس المبررات والمسوّغات التي أدت إلي أن يسيّطر كلا العملين ليس وحسب على السوق الفكري والثقافي بل على عقول و

حوارات المثقّفين والمناقشين لمسائل الأيديولوجيا والاقتصاد والاستراتيجيّة، كما اهتم بهما معظم صحفيّو الأرض فأصبحا لفترة غير قصيرة الغذاء اليوميّ لكل النقاشات والمجادلات الثقافيّة والفكريّة؛ لهذا أطلقنا عليهما (سلطة النص).

وبين هذا وذاك ؛أي ما بين نصّ السّلطة وسلطة النصّ يقبعُ خطاب العنفِ الشّره بملامحهِ وسحناتهِ القاسية كابوساً على صدر البشريّة لا يعبّرُ إلا عن مشاريعه الكولونياليّة القديمة، وهو المشروع الذي نسمع كل يوم ضربات معاولهِ ونبضاتِ قلبهِ على مسرح المعمورة البائسة التي تدّعي بأنّ الغرب وحدهُ هو الذي قدّر أهميّة الفرد والدستور وحقوق الإنسان والمساواة والديموقراطيّة؛ كما هو الأمر عند فوكوياما وهنتنغتون و كلاهما يهيئان الغرب للتعامل العسكري مع الحضارات الأخرى.كما زوّد كلا النصّين عواصم الغرب بغطاء كافٍ إلى اعتبار أنّ الإسلام يُشكّل تهديداً للعالم وعيونهم كانت مركّزة على اقتصاد العالم الإسلامي.

إنّنا وإنْ اعتبرنا أنّ كلا النصّين قد كُتبا بمدادٍ واحد هو المداد الغربي الطامح إلى السيّادة الاقتصاديّة؛ ونهلا من رحمٍ واحد هو رحم الأيديولوجية الطامحة بدورها إلى الريّادة والهيّمنة ؛إلا أنّنا سنتناول أحدهما دون الآخر حسب الفصل الذي تسوده أطروحتاهما؛وإنّ كثيراً ما جمعنا بينهما في فصل واحد مع إظهار تفاوت رأي الرجلين.

إنّ العنف المنّظم الذي لا ينكرهُ كلا الرجلين كان الوسيلة التي تغلّب الغرب من خلالها على العالم ؛وليس من خلال أفكاره وأطروحاته كأنّما العنف أطروحة ثقافيّة ابتكرها الغرب لتحسين أوضاعه هو،ملحّاً على أن يسمي هذا العنف بالثورة تارة ،وبالحراك الدافع للتقدم تارة أخرى ؛حتى يجعل منه قدراً

إنسانيّاً محتوماً لترسيخ الرأسماليَّة بصيغتها الليبراليَّة، ومواصلةً لتحجيم دور العالم، وليّ عنق الثورات لكي تكون ثورات غربيّة.

و إننا سنتبع المنهج التحليلي النقديّ في إنجاز هذه الأطروحة ،وسوف لن ندّخر جهداً في اتباع سنّة الموضوعيّة قدر الإمكان للوصول إلى نتائج أكاديميّة مقبولة.

كما أنّنا سوف لن ندّخر جهداً أيضاً في اللجوء إلى الأدبيّات المهمّة من أجل إنجاز أفضل لهذا البحث الذي سنصل به إلى تلمُّس الملامح الأساسيّة لحلول تلك الإشكاليّات التي أفرزتها خطوات الديموقراطيّة الليبرالية المترنّحة ،وهنا سنضع اليد على بواطن الثّقة والإشباع في النظريّة العالميّة الثالثة وخطابات القائد: عارضين حلولهُ لهذه الإشكالات وهذا ما فضّلنا الإشارة إليه في الخاتمة لهذه الأطروحة .

وسنقوم بتقسيم الأطروحة إلى الأبواب والفصول التالية:

البابُ الأولُ: (نقد الخطاب الغربي الأيديولوجي)حيث يحملُ هذا الباب ثلاثة فصول هي كالتالي:

الفصل الأول: المشروعُ الكولونيالي(أزمةُ التاريخ وتاريخُ الأزمة)

سيتعاملُ هذا الفصل من الأطروحة مع ما نعتقده من أن أطروحة فوكوياما (نهاية التاريخ وخاتم البشر) إنعاش للذاكرة الكولونياليَّة وبما تحملهُ تلك الأطروحة من نزعة للعنف التي تبررها الذاتُ الغربيةِ الباحثة عن التقدير(الثيموس) ،وكيف إننا بتْنا نعتقد أنّ الديموقراطية قد انتصرت وأنّها تفرضُ نفسها اليوم باعتبارها الشكل الطبيعي للتنظيم السياسي .فضلاً عن كونها المظهر السياسي الذي تتجلّى من خلاله حداثة قائمة على اقتصاد السوق من حيث شكلها الاقتصادي وعلى العلمانية من حيث هي تعبيرها الثقافي.

وسوف يتناول كذلك كون الرأسماليّة سواء في تاريخها القديم الذي امتد حتى شيد مصرع خصمهِ الأيديولوجي أو في تاريخها الاقتصادي الذي بدأ بنهب أراضي الغير و انتهى بنهب أوسع عن طريق العولمة وجوقتها لم تورثْ كما نرى في هذا الجزء من الأطروحة سوى أمراض متعددة انعكستْ سلبًا على حياة الشعوب وخيراتها .إلا أنه من أكثر هذه الأمراض انتشاراً وهي التفاوت ما بين العالم المتقدم والنامي .هذا بالإضافة إلى العنف الذي سبّبتهُ في العالم كالذي شَهِدَتْهُ كُوبَا ونيكَارَاغْوَا ،ويعرض الفصل أيضاً أهم ما يخفيهِ النظامُ الرأسماليّ من مثالب :والمظهر الخادع ذي الرفاهيّة والازدهار السطحيين.

الفصل الثاني في الباب الأول:(تاريخُ الغربِ وإرهاصاتُ الحداثةِ):سيتعامل هذا الفصل من الأطروحة مع ما نعتقد أنهُ يشكّل جذوراً لخطاب العنف ،وبواكير أُولى لتاريخهِ الحديث - وسيتناول الكشوفات الجغرافيّة التي نَشَطَتْ خلال القرون السابع عشر والثامن عشر وحتى التاسع عشر مع الهولنديين والأسبان والبرتغال والإنجليز و التي نعتبرها ضمن البدايات الأولى التي ركبت موجة الحداثة (مبكراً)من أجل السيَطَرة والهيْمنة التي نعتقد أنَّها تشكّل أبجديّات هذا المشروع الكولونيالي.وكيف أن أمريكا قد عرفتْ منذُ فجر التاريخ الأول بأنَّ الاقتصاد يلعب دوراً كبيراً في تأسيس الدولة :وأنَّ تاريخها يبدأ مع حقيقة غزوها لأرض الغير .والعنف الذي مارسهُ أولئك الوافدين على سكّان أمريكا الأصليين (الهنود الحمر) ،وتهجير العبيد لأمريكا.

كذلك سيتناول الفصل النشاط الرأسمالي التجاري(الماركنتاليّة) الذي ازدهر أبّان أوجْ نشاط الرأسماليّة التجاريّة ورحلات البحث عن الذهب التي أدت إلى أن يجلبُوا معهم خلفيّاتهم الثقافيّة وأيديولوجيّاتهم وفرضها على

الشعوب ،وكذلك سيتناول أيضاً التيار الفزيوقراطي وظهوره كامتداد آخر لهذا النشاط .

وسيبينُ هذا الفصل كيف أن تاريخ الديموقراطيَّة الليبراليَّة هو تاريخ غزو ونهب وسيطرة؛وإبراز رأي كل من فوكوياما وهنتنغتون فيما يخص الغرب والحداثة؛وسيتناول كذلك الأزمة الاقتصاديَّة التي برزت في النظام الرأسمالي عام 1929م ،وعواقبها وانعكاساتها؛والحرمان والبؤس الذي شهدتهُ أمريكا الوسطى ،وانعكاسات التقدم التكنولوجي السلبيَّة على أرزاق الناس على البيئة .

الفصلُ الثالث في البابِ الأول:(خطابُ العنف من التفريغ الأيديولوجي إلى التفريغ الاقتصادي):

إنَّ خطابَ العنفِ الذي تمثلهُ أطروحتيّ فوكوياما وهنتنغتون يربطهُ والعديد من الأطروحات حبلٌ سُرّي يتغذى من خلالهِ في مقدمة هذه الأطروحات أطروحة التفريغِ الأيديولوجيّ التي سيتناولها هذا الفصل وكيف أنها تدعو إلى تهميش دور الأيديولوجيّات في العالم ويضربون بها عرض الحائط منطلقين في ذلك من موقف اقتصادي عولمي مهيمن يحققُ مصالح الديموقراطيّة الليبراليّة الغربيّة. وسيتناول كذلك المؤسسات العالميَّة التي جنّدها الغرب لربط العالم بخطّتهِ الاقتصاديَّة ؛وهي المؤسسات الاقتصاديَّة الضخمة التي أعطتْ زخماً قويّاً لأطروحات فوكوياما وهنتنغتون ،وما انتهى إليهِ المشروع الغربي من معاهدات واتفاقيّات ومنظّمات كمعاهدة الجات - برايتن وودز ، ومنظّمة التعاون الاقتصادي والتنميَّة ؛واتفاقيَّة النافتا؛ ومنظّمة التجارة الأوروبيَّة الحرّة (ايفتا) ؛ وعرض حالة المكسيك ومعارضتها للولايات المتحدة الأمريكيَّة بشأن دخولها للنافتا ؛ وما لاقته نتيجة ذلك من تشرُّد ومجاعة.وكذلك سيتناول كلاً من البنك

الدولي وصندوق النقد الدولي ،والدور الذي اتخذاهُ في اللعب بمقدرات الشعوب وخيراتها،بالإضافة إلى منظّمة التجارة الحرّة العالميّة ،والشركات المتعددة الجنسيّات.

كما أن الفصل سيتناول الخلفيّة الأم لتلك المؤسسات التي تمثّلت في المشروع الغربيّ الأمريكيّ ونقصد هنا (مشروع ألفرد مارشال) لتعمير أوروبا،وكيف إنّ هذا المشروع طوّع من أجل تحقيق أهداف الأيديولوجيا الأمريكيّة لا من أجل الأهداف التي أنشئ من أجلها.وطرح فكرة الاقتصاد المهيمن على السياسة من أجل تحويل العالم إلى قريّة كونيّة ،واختزال الاقتصاديّات المحليّة إلى اقتصاد عالميّ شموليّ واحد عن طريق تحرير الدول وحريّة تنقّل رؤوس الأموال وأمميّة رأس المال التي اقتلعتْ (وما انفكتْ) دولاً بأكملها .فسنطرح في هذا الفصل بعض الاقتصاديين الكبار بدءاً من ممثليّ الاقتصاد الكلاسيكي (سميث وريكاردو) مروراً بكينز الذي أراد أن ينقذ الدولة من الزوال ،فعندما لم تسعف الكنزية تحول عنها إلى الكنزيّة العالميّة أو الليبراليّة الجديدة مع رائدها (ملتون فريدمان) التي تؤيد حريّة السوق وترفض تدخّل الدولة ،ليطرح أفكاراً ترسّخ وتخدمُ خطاب العنف بوجهيهِ الاقتصادي والأيديولوجي ،وسيتناول الفصل كيف أن تلك المؤسسات ما هي إلا مؤامرة دُبّرتْ بما يخدم المصالح الغربيّة وقيمها وممارساتِها.

البابُ الثاني:(السوق و ميتافيزيقا نهايَةُ الإنسان) سيتناول هذا الباب أيضاً ثلاثة فصول وهي:

الفصل الأول في الباب الثاني:(الالتحاق بالغربِ والأيديولوجيا الخرساء):

سيتناول هذا الفصل كيف أن كلاً من عمليّ فوكوياما وهنتنغتون يهيّآن لحلبةٍ واسعة مترامية الأطراف لإجراء سجال عنيف في السوق العالمي :وآليّة

عمل السوق التي يتم بموجبها تدميرُ الإقتصاديّات السابقة ،وكيف أن عمليّهما بصرف النظر عن أوجه الاتفاق والاختلاف ما بينهما فإنّهما يرعيان خطاب العنف في إطارهِ الاقتصادي،وكيف إن العملين يمثلان معاً حضارة القمع التي تورثنا إنساناً أحادي البعد قد استنزفهُ الاقتصاد ،وسيتناول عمليّة التأثير والتأثُّر ما بين السوق والحكومة وكيف أنَّ الولايات المتحدة تهدف لطرح منتجاتها في السوق العالمي لاستغلال الشعوب المستهلكة بتأسيسها مراكز تصريفيّة لذلك تحقق مرادها وتكون قريبة من المستهلك الأجنبي،وسيتناول الفصل ما يخص ديكتاتورية السوق مع بيان آراء فوكوياما وهنتنغتون فيه ،واستخدام الولايات المتحدة الأمريكية لقوّتها العسكريّة لكي تُهيمن على السوق العالميّ.وأيضاً سيتناولُ الديموقراطيّة التي تصونُ وتحمي مصالح الأثريّاء والذين يرون بأنَّ السوق هو الذي ينظّم نفسهُ بنفسهِ ،واختلافها عن الديموقراطيّة الحقّة التي تخدم الفقراء.

الفصل الثاني في الباب الثاني: (أيديولوجيا الخصم ومطاردةُ التاريخ):

الماركسيَّة ليستْ بدعة في التاريخ ،كما أنّها ليست زائراً طارئاً ،إنها جزءٌ أساسيٌّ من خطاب العنف .سيتناول هذا الفصل كون الماركسيّة لم تكنْ تقلُّ رغبةً عن الخصمِ الأيديولوجيّ (الليبراليُّ) في إنهاءِ حركةِ التاريخ لكن بطريقتها الخاصّة ،وكيف أنّها تهدفُ أيضاً للعالميّة ،وإنهاء الأيديولوجيا ،وكيف إنّها لجأتْ إلى العنف ،تلك الأداة التي اشتهرتْ بها الرأسماليّة.وسيبين كيف أنَّ الأطروحة الفوكوياميّة ذات أصول ماركسيّة وأنَّ أطروحة هيغل تمثّل الجذر الأساسيّ لمقولةِ نهاية التاريخ ،وسيتناول الفصلُ أيضاً ما نعتقدهُ حول أنَّ (الرأسماليّة والماركسيّة) كليهما مذهبان شموليّان ،ليتناول علاقة الأيديولوجيا

بالثقافة ،و كيف أن المنظومة الإشتراكيّة كانتْ جزءاً من خطاب العنف إلاّ أنهُ قدر له أنْ يُدحر مُبكِراً .

الفصل الثالث في الباب الثاني: (العرقيّة من الذهن إلى التاريخ):

سوف يتناول هذا الفصل كيف أن وجهتي نظر فوكوياما وهنتنغتون حول مسائل تحديث اليابان وآسيا وتركيّا ،وفهمهما للديموقراطية الليبرالية الذي قد يتباعد أحياناً ويتقارب أحياناً أخرى،كذلك فهمهما لمضمون الحضارات وأقسامها ،وكيف أن كل هذا قد يكون له بعد عرقي يتعلق بالوازع الإثني لكليهما.

الباب الثالث والأخير في هذه الأطروحة(العنف من تثقيف السياسة إلى تسييس الثقافة): سيتضمن هذا الباب فصلين هما :

الفصل الأول: (نوستالجيا الغرب واللقاطة الثقافيّة): سنتناول في هذا الجزء من الأطروحة موضوع السيطرة الثقافيّة كأحدِ معالم (الآخر) الغربيِّ الرافضِ للمختلف ،وكيفيّة تغيُّر الصراع من استخدام أسلحة وعتاد وجيوش إلى استهداف عقول البشر،وكيف أنّ إمبرياليّة الثقافة تعني إفراز إنسان فاقد لملامحهِ ،وطرح أوجهِ الاتفاق ما بين فوكوياما وهنتنغتون هنا،وكيف إنّ الإستعمار يعني سيطرة مركزيّة ثقافيّة ،كما سيتناولُ أهميّة الثقافة في تشكيلِ كينونة الإنسان،وسيتناول الارتباط ما بين الأيديولوجيا والثقافة في طرحيهما.

الفصل الثاني في الباب الثالث: (الإسلامُ: حربُ الغربِ الدائمة):

سيتناول هذا الفصل دورَ الدينِ في تطورِ الأحداثِ الاقتصاديّة ،كما سيتناول موقف كلٍ من فوكوياما وهنتنغتون العدائي من الإسلام ،وهجوم الغرب (بما فيهم فوكوياما وهنتنغتون) على الأصوليّة الإسلاميّة متجاهلين ذكر الأصوليّة البراجماتيّة وحركة الكوكلاس كلان الأمريكيّة العرقيّة والأصوليّة المسيحيّة.

هذا كله ما سيتم استعراضه ومناقشة وجهات نظر وآراء متعددة حول ما طرح في الفصول السابقة.

📖كما أن هناك بعض المصطلحات سنورد مفهومها حسب استعمالها في الأطروحة مثل:

1)ـ ميتافيزيقا نهاية الإنسان:/ سيطرة التكنولوجيا على حياة الإنسان.

2)ـ مطاردة التاريخ:/ محاولات من أجل استرجاع المجد القديم.

3)ـ العنف من تثقيف السياسة إلى تسييس الثقافة:/ استغلال الثقافة لخدمة مرامي الغرب .

4)ـ نوستالجيا الغرب :/ الحنين إلى الماضي الإستعماري.

5)ـ التفريغ الأيديولوجي/التفريغ الإقتصادي:/ وجود أيديولوجيا واحدة هي الديموقراطية الليبرالية،واقتصاد واحد هو اقتصاد السوق.

6)ـ الأيديولوجيا الخرساء:/ الأيديولوجيا العقيمة.

7)ـ العرقية من الذهن إلى التاريخ:/ تطبيق النزعة العرقية الشوفينيةفي الواقع.

8)ـ اللقاطة الثقافية:/ الإنخلاع عن الثقافة الأصلية ومحاكاة ثقافة الغرب.

9)ـ المشروع الكولونيالي:/ المشروع الإستعماري الإستيطاني القديم.

10)ـ كثلكة السياسة:/ أي التزمت السياسي واستغلال الدين لخدمة السياسة.

11)ـ العدمية الثقافية:/ نبذ التراث الأصلاني.

والله الموفق

فروض الدراسة:

وضعت للدراسة عدد من الفروض التي سنتناولها بالتحليل والنقد وتتمثل في:

1ـ إن إطروحتيّ فوكوياما وهنتنغتون هما جزءان من خطاب جديد للعنف ،وهو العنف السياسي والاقتصادي و الثقافي الذي تمثل مع فوكوياما في ذلك الانسان الأخير الباحث عن الثيموس وتقدير الذات الذي ينتهي عنده تطور الأيديولوجيا أي الديموقراطية الليبرالية ،وحركة التفريغ الأيديولوجي ،وجليّاً مع هنتنغتون في اشارته إلى انتصار الحضارة الغربية التي تسود الحضارات والثقافات الأخرى.

2 ـ كليهما أي نهاية التاريخ وصدام الحضارات لهما جذورهما في التاريخ الحديث للغرب المتمثل في الكشوفات الجغرافية ،البحث عن الذهب ،الماركنتالية.

3ـ كما إن هناك أوجه للإتفاق بين النصين هناك أيضاً أوجه للإختلاف ما بينهما تتولى الدراسة تعقبها .

4ـ إن ما يجري الآن على الساحة الإستراتيجية يشكل غطاءاً وستراً لحقيقة موقف الأطروحتين من الإسلام ،إذ إن هذا الأخير (الإسلام) يشكل العدو اللدود والأيديولوجيا المناوئة لخطابيّ فوكوياما وهنتنغتون.

5ـ إن الخصم الأيديولوجي الإشتراكي كان يعد بدوره نهاية للتاريخ ،وبسقوطه ساد خطاب العنف الرأسمالي .

6ـ طرح البديل الموائم الذي يستشرف الكفاءة في تقديم نفسه للمحافظة على الكينونات الذاتية والخيارات الأيديولوجية المحلية ،وهو المشروع العربي

الأفريقي الذي اعتبر فضاءاً لا تكتلاً من أجل ترسيخ الهويات دون التضحية بابتكارات العقل الإنساني ،ذلك المشروع الذي طرحه القائد "معمر القذافي".

7ـ كلا النصين جاءا تفنيداً لأطروحات السلطة ،ولهذا هما نصان للسلطة سادا وراجا حتى أصبح لهما تأثير على الحوارات الثقافية والأيديولوجية ،وهذا ما أطلقنا عليه سلطة النص.

8ـ على هذه الأسس تولينا إجراء حوار عريض ساخن مع كلا وجهتي النظر التي تتبنى احداهما تأكيد ما ذهب إليه النصان ،والأخرى التي تعارضهما.

الدراسات السابقة

صحيح أن هناك دراسات متعددة ومختلفة تناولت أركان الدراسة :

1)خطاب العنف.

2) نهاية التاريخ وخاتم البشر ل(فرانسيس فوكوياما).

3)صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي الجديد ل(صموئيل هنتنغتون).

ولكن لا توجد حسب علمنا ومحاولتنا جاهدين الوصول إلى دراسة بهذا العنوان الذي تحمله الأطروحة: **خطاب العنف**

(من نص السلطة إلى سلطة النص)

دراسة نقدية تحليلية لأطروحتيّ نهاية التاريخ وصدام الحضارات

أو حتى بنفس المضمون فلم نجد؛ولهذا نرى وبكل تواضع بأن الموضوع يجمع ما بين الأركان الثلاثة السابقة في عمل واحد : خاصة أنه لا توجد دراسة تتناول أوجه الإتفاق والإختلاف ما بين المفكرين :فوكوياما وهنتنغتون،أو تقدم البديل الذي وجدناه في (الفضاء العربي الأفريقي).إلا أنه هناك مراجع أفادت الدراسة ودعمتها نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1ـ توفلر: ألفن ـ تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة ـ ت: فتحي حمد ونبيل عثمان ـ ط(2) ـ مكتبة طرابلس ـ 1996م.

2ـ أرندت: حنة ـ في العنف ـ ت: إبراهيم العريس ـ ط(1) ـ الفكر الغربي الحديث ـ دار الساقي ـ بيروت ـ 1992م.

3ـ ثورو: ليستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ ت: عزيز سباهي ـ دار الثقافة والنشر ـ سوريا ـ 1998م.

4ـ ديمون: رينيه ـ نقد العالم المعاصر ـ ت: جورج طرابيشي ـ ط(1) ـ المؤسسة العربية للنشر والإبداع ـ الدار البيضاء ـ 1993م.

الباب الأول: / نقد الخطاب الغربي الأيديولوجي:-

- الفصل الأول: / المشروع الكولونيالي (أزمنة تاريخ وتاريخ الأزمنة).

- الفصل الثاني: / تاريخ الغرب وإرهاصات الحداثة.

- الفصل الثالث: / خطاب العنف من التفريغ الأيديولوجي إلى التفريغ الإقتصادي.

ـ الفصلُ الأوّل: /المشروعُ الكولونياليّ(أزمةُ التّاريخ وتاريخُ الأزمة):ـ

إنّ مفهوم نهاية التّاريخ الذي نظّر لهُ فوكوياما في كتابهِ"نهاية التاريخ و خاتم البشر" :و مقولتهِ بأنّ التاريخ البشريّ قدْ انتهى في سلّم تطوره عند نظام أيديولوجيٍّ واحد سوف تسير على هداهُ وتنظّم بفضل إيقاعاتهِ مستقبلها :والإعلاء من شأن أيديولوجيا بعينها هي الديموقراطيّة الليبراليّة التي أغرقها الكتاب مدحًا جاعلاً منها الفردوس الموعود التي سوف يعمُّ بفضلهِ الهناء كافة البشرية :كل هذا ليسَ سوى إنعاش للذاكرة الكولونياليّة: وترتيب لمسرحها العتيق لكي تعاود العرض نفسهُ من تحويل العالم إلى مزرعةٍ لأحلامها في السيطرة.

هذه المقولة لم تكن بدعة في عالم الفكر أو صيحة جديدة بل تمتدُ إلى ماضٍ يمتد لأكثر من قرنٍ و نصف وتستعيد الآن رباطة جأشها على نفس الوتيرة و من خلال أبطال من طينةٍ مختلفة (1).

لقد شَهِدَ التاريخُ العديد من الاطروحات التي أرادتْ أن ينتهي التاريخ عند عتبة دارها: إلا أنّها هذه المرة تصاحبها مرحلة إمبرياليّة تميّزتْ بالاحتكار السياسيٍّ والاقتصاديٍّ بعد أنْ أنهى النظير الأيديولوجي الاشتراكي نفسهُ:ولهذا أتى كتاب فوكوياما"نهاية التاريخ و خاتم البشر" نعياً له و دفاعاً عن رأس المال والرأسماليّة (2). إنهُ نصٌ من نصوص الدولة ،البيان الرأسماليّ الذي يبشّر

1ـ لمزيد من المعلومات انظر رمعد الإله بلقزيز،أيديولوجيا نهاية الإيديولوجية) ـ مأزق الايدولوجيا، الفكر العربي ـ العدد(68) ـ معهد الإنماء العربي ،بيروت ـ لسنة 13 ،ابريل ـ يوليو ـ 1992م ، ص21 وما بعدها .

2ـ لمزيد من المعلومات انظر ها ردت ،انطونيو-إمبراطورية العولمة الجديدة ـ ت :فاتسل جتكر ، مكتبة العبيكان ،2002م ، ص346.

بالنظام العالميّ الجديد القائم على الاقتصاد الوحيد غير الشيوعي والذي ليس بمقدور أيّ بلدٍ منافستَهُ، إذ إنّ أهميّتهُ تأتي من كونهِ نسخةً معاصرة من مشروع ألفرد مارشال* في إعادةِ تعميرِ أوروبا وتتويجاً لانتصارها في حلبة الصراع الأيديولوجيّ بين النظام الشيوعيّ و النظام الرأسماليّ (3). وها هي اليوم تعاودُ تقديمهُ لإنقاذ العالم من فقرٍ مدقع كانتْ هي من أهم أسبابهِ من خلال مؤسسات عملاقة قادتْ الكثير من دول العالم إلى الدّمار الاقتصاديّ (4).

لهذا فإنّنا لا نكتفي بالاسم الذي أطلقهُ جاك در يدا** علي عمل فوكوياما بأنهُ(إنجيل الرأسماليّة) في قولهِ :"فهذا الكتاب يجمّل إجابة إيجابيّة على سؤال لم يُتساءل تكوينهُ وصيغتهُ قط تساؤلاً خاصاً بهما.وتكمن القضية في معرفة إذا كان تاريخ الإنسانيّة المتماسك والموجه سينتهي إلى قيادة ما يسميهِ المؤلف بهدوء و إلغاز وبشكل حيّ ومتغافلٍ في الوقت نفسهِ الجزءِ الأعظم من الإنسانيّة نحو الديمقراطيّة الليبراليّة" (5). لنضيف بأنّهُ دفتر ذاكرة الذهنيّة الكولونياليّة

---

* ألفرد مارشال :(1843-1924) الاقتصادي المعروف وصاحب المشروع الأمريكي في إعادة تعمير أوروبا المتضررة من الحرب وهو المشروع الذي رفضه الاتحاد السوفيتي في عهد ستالين .

3- لمزيد من المعلومات انظر ثورو ،ليستر مستقبل الرأسمالية ـ ت: عزيز سباهي ـ دار الثقافة و النشر ـ سوريا ـ 1998م ـ ص160 وما بعدها .

4- لمزيد من المعلومات انظر المرجع السابق ـ ص72 .ونفس الكاتب ، المتشائمون ـ ت: محمد فريد حلا ـ مركز الإمارات لدراسات البحوث الاستراتيجية ـ أبو ظبي ـ 1995م ـ ص53.

** جاك در يدا: مفكر فرنسي ولد بالجزائر عام 1930يرى أن الفكر الغربي كله منضبع بما يسميه بمركزية الكلمة أو ميتافيزيقا الحضور وأن الإطروحات الفلسفية الغربية هي صوت لنظام واحد.من أهم أعماله :أطياف ماركس ـ الكتابة والإختلاف...

5- در يدا، جاك ـ أطياف ماركس ـ ت: مفتر عيا ش ،مركز الإنماء الحضاري ـحلب ـ1995م ـ ص113 ولمزيد من المعلومات انظر ص114.

العتيقة التي لا تقلُ شناعتها عن شناعاتِ النازيَّة والفاشيَّة ومذابح بـول بـوت** من حيث اعتبار الكرة الأرضيَّة مزرعة لصالحها الخاصة .

إنَّ هذا يفسر لدينا بأنَّ أطروحة فوكوياما وإنْ كانتْ حفراً جديداً لـنفس المفهوم عند هيغل وشروح ألكسندر كوجيف*** ، إلا أنهُ أضاف بعداً أساسيَّاً على هذه الأطروحة استقاهُ من نفس النزعة الكولونياليَّة التي أشرنا إليها، نعني مقولة العنف التي تبررها الذات الغربيَّة الباحثـة عـن التقـدير(الثيمـوس) : "الثيمـوس الساعي وراء العدالة هو وحـدهُ مصـدر التعصُّـب والبغضـاء والأفكـار المتسلِّطة " (6). ولهذا جاء كتاب فوكوياما هذا يحملُ نفس السـمات مـن خـلال سـياحتهِ الفكريَّة لمعظم بلدان الأرض ليقتلع مشروعيتها وخياراتها الأيديولوجيَّة من خلال سـردٍ عنيف لتواريخها وسياساتها ؛ فليستْ ثمةَ إشارة مثلاً يباركُ مـن خلالهـا فوكوياما لحركات التحررِ فإنَّ ما يعتبرهُ تشومسكي نجاحاً للحركـةِ الشـعبيَّة في أوروبا الشرقيَّة والوسطى وإنجازاً تاريخيـاً في النضـال الـدائم مـن أجـل الحريَّـة والديمقراطيَّة في أرجاء العالم كافة(7).

** بول بوت : زعيم الخمير الحمر المعروفة بجرائمها في كمبوديا ولد بشمال بنم بنة 1928 وقد حكم كمبوديا لثلاث سنوات من 75 ـ 1978 ارتبط اسمه بأقسى مرحلة مرت بها كمبوديا وأكثرها عنفاً وبطشا وقد اشتهر هو وجماعته بقتل مليونين من الكمبوديين عن طريق محاكماتهم جماعية، أشرفوا القبض عليه وحكموا عليه بالإقامة الجبرية إلى أن مات في منتصف أبريل (نيسان)1998م.

*** ألكسندر كوجيف :(1902 ـ 1968) فيلسوف فرنسي من أصل روسي ومن أكبر شارحي فلسفة هيغل.

6 ـ فوكوياما . فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ ت: حسين أحمد أمين ـ ط1 ـ مركز الأهرام بالقاهرة ـ 1993م ـ ص191.

7 نعوم تشومسكي: كاتب ومحلل سياسي أمريكي معاصر وأكثر المفكرين الغربيين نقداً للنظام الأمريكي الرأسمالي، من أهم أعماله :إعاقة الديموقراطية ،الصدمة.

7 ـ تشومسكي ،نعوم :إعاقة الديموقراطية ـ ط2) ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ 1998م ـ ص16 ولمزيد من المعلومات انظر ص248، 249، 252 عن دور الولايات المتحدة السلبي في غواتيمالا وأمريكا اللاتينية بصفة عامة وقمع الحركات الشعبية بها .

يجد فيه فوكوياما فشلاً وانحداراً في المستوى الاقتصادي والقنموي والسياسي؛ نسبة للنموذج الاشتراكي الذي تبنّتهُ هذه البلدان ككوبا ؛ليقدم البديل وهو الديمقراطيَّة الليبراليَّة التي يرى فيها فرانسيس فوكوياما حلاً لإشكاليَّات عدة خاصة الاقتصاديَّة و السياسيَّة ؛إذ إنهُ يرى في هذهِ الأيديولوجيَّة مصدراً لكل الأيديولوجيَّات الراهنة ؛ولهذا أعطاها فوكوياما الحق في استعمال العنف لفرض هيمنتها السياسيَّة والاقتصاديَّة والأيديولوجيَّة(8).

لهذا كان الكتاب بمثابة رسم خريطة جديدة للعالم بموجب النظام العالميِّ الجديد الذي انتقل فيهِ فوكوياما من التاريخ إلى الجغرافيا أي من تاريخ أيديولوجيا بعينها وفرضها هذا التاريخ على واقع آني ، وتلك هي الهيمنة التي توضح ما يقصدهُ فوكوياما من حديثهِ عن الثيموس (إنسان العنف الغربيِّ) "بإمكان الثيموس التي بدت أول ما بدت في صورة نوع متواضع من احترام الذات أن تبدو أيضاً في صورة الرغبة في الهيمنة على الآخرين " (9). والذي فتح شدقيهِ واسعتين بعد الحرب الباردة "ضد الاتحاد السوفيتيِّ الذي انتهى به الأمر إلى الزوال بعد أن فقد إمبراطوريَّتهِ وحزبهِ الكلِّي القدرة وتقدمهِ التكنولوجيِّ ؛ فقد بتْنا نعتقدُ أنَّ الديموقراطيَّة قد انتصرتْ ؛ وأنَّها تفرضُ نفسها اليوم باعتبارها الشكل الطبيعي للتنظيم السياسيِّ ؛ فضلاً عن كونها المظهر السياسي الذي تتجلّى من خلالهِ حداثة قائمة على اقتصاد السوق من حيث شكْلها الاقتصادي ، وعلى العلمانيَّة من حيث تعبيرها الثقافي .لكن هذه الفكرة التي يرتاح إليها الغربيون هي من الخفَّة بمكان بحيث ينبغي أنْ تكون مدعاة لقلقهم

---

8 ـ لمزيد من المعلومات انظر فوكوياما ،فرنسيس نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص240 وما بعدها .

9ـ المرجع السابق ـ ص166.

فلا السوق السياسيُّة المنفتحة والقادرة على المنافسة هي الديموقراطيَّة ؛ ولا اقتصاد السوق يشكّل بحد ذاتهِ مجتمعاً صناعيّاً "(10). ومن ثمّ نتساءل الآن وقد انهارتْ المنظومة الاشتراكيَّة بانهيار الاتحاد السوفيتيّ وجاز للثيموس بسط سيطرتهِ ؛ فهل ساد الأمن والوئام والاستقرار بعصاةُ السحريَّة ؟ آلا نرى العالم مازال يعجُّ بالصراع والضياع ؟ الأمر الذي يجدُ له فوكوياما مبررات وأعذاراً في التاريخ الغربيّ "لقد عرف العالم بطبيعة الحال نظماً دمويَّة كثيرة قبل القرن العشرين غير أنَّ هتلر وستالين وضعا التكنولوجيَّة الحديثة والتنظيم السياسيّ الحديث في خدمة الشر ؛ إذ استهدفتْ الإبادة الجماعيَّة للسكان المدنيين وتدمير الموارد الاقتصاديَّة ؛ مما جعلنا نسميّها بالحروب الشاملة وقد أدتْ رغبة الديموقراطيَّة الليبراليَّة في الدفاع عن نفسها ضد هذا الخطر إلى تبنيها لاستراتيجيَّات عسكريَّة مثل قصف مدينة در سدن أو هيروشيما بالقنابل وهو ما كان يسمّى في العصور السابقة بالإبادة الجماعيَّة "(11) .وهذا ما يتناقض مع رسالة الديموقراطيَّة نفسها التي تعني التوجه نحو إزالة القسر والإكراه وزرع ثقة المواطن في حكومته وفي نفسه ، وهذا ما يتناقض مع جوهر الأطروحة الفوكويامية التي تستبطن العنف في فرض أيديولوجية الديموقراطيَّة الليبراليَّة محوّلةً العالم إلى خريطة مضاءة بعدة ألوان كل لون يحدد موقع الديموقراطيَّة في هذه الخريطة

---

10 ـ تورين ، آلين ـ ما هي الديموقراطية ـ حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية ـ ت :إحسان قبيسي ـ ط2) ـ بيروت ـ2001م ـ ص13.

11 ـ فوكوياما ، فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص23.

: فإنَّ ميزة الديموقراطيَّة وخاصيَّتها على حدِ تعبير ألان تـورين* " هـي الحـد من العنف : كما هي الحد من السُلطة المطلقة فإذا كان لا مفر من العنـف فـلأنَّ المجتمع الذي يتعلَّق على مفاوضاتهِ الداخليَّة سرعان ما ينشـل بفعـل سـعيهِ إلى إيجاد تسويات يجعلـها غيـاب الضـغوطات الخارجيّـة مسـتحيلة الوجـود هـذا وتنعكس الآيـة عنـدما تـؤدي المجابهـة المباشـرة بـين عنـف المهيمـنين وعنـف المقهـورين ، هـي في حـال وجـود التسـويات والهـدنات إلى القضـاء علـى الديموقراطيَّة ، ولكن أيضاً على الحركات المجتمعيَّة نفسها ، إذ تحبسـها ضـمن استراتيجيَّة تفـرض عليهـا رفـض أي احتكـام للصـالح المشـترك والخـير العـام" (12). إننا نرى اليوم أوروبا الشرقيَّة تتـأرجح بفعـل عـدم الاسـتقرار ، وبولنـدا تواجه انهياراً اقتصاديّاً شاملاً وحشود الرومانيين تقاتل في الشـوارع ... ورئـيس يوغسلافيا يحذر بـأنَّ الأحـزاب اليمينيـة المتطرفـة والقـوى الانفصـالية الموتـورة يمكن أن تشعل حرباً أهليَّة وتفسح المجال للتدخل الأجنبي ؛ ومعاداة السـاميَّة والضغائن القديمة تنتشر انتشـار النـار في الهشـيم ... وحـدود مـا قبـل الحـرب تتعرض للتساؤل والتشكيك ؛ إنَّ انهيار الهيمنة السوفيتيَّة على أوروبـا الشـرقيَّة هو أبعد من أن يكون ضماناً للديموقراطيَّة بل إنهُ أحدث فراغـاً قـابلاً للاشـتعال سيندفع إليه على ما يبدو الحمقى ومثيرو الفتن (13). مما يخيب ظن فوكوياما

---

* ألان تورين ولد عام 1925م وهو رجل التركي لسن عام 1958 معمل علم الاجتماع الصناعي بعد فترة لصناعا في دراسة عمل الصناعة الفرنسية ، شرع في تأسيس مركز دراسة الحركات الاجتماعية قبيل التمرد العفوي الذي قام به الطلاب والعمال 1968م يعمل تورين لسنة للحركات الاجتماعية، ويقوم بتدريس علم اجتماع الثورة منذ عام 1968م .

12 ـ تورين . آلين ـ ما هي الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص82، ص83.

13 ـ تودتر . أنتن ـ تحول السلطة بين العنف والتبرؤة والمعرفة ـ ت: فخري حسد ونبيل عثمان ـ ط2) ـ بمكتبة طرابلس ـ 1996ـ ـ ص318.

في كـون "الديموقراطيـة الليبراليـة أحـدثت تغـييراً جوهريـاً في الغرائـز ذاتهـا واستأصلت الحافز على الإمبريالية"(14).

وهـي النزعـة التبشـيريّة الطوباويـة الـتي تكثـرُ في أطروحـة فوكوياما في البحث عن عالم يتجاوز التاريخ يعيش فيـه خـاتم البشـر في دولـة الرفـاه الـذي يضمن من خلالها الحصول على التقدير " فحياة خاتم البشر هي حيـاة الأمـن و الوفرة الماديين وهو ما يميلُ السياسـيُّون الغربيـون إلى أن يعـدوا النـاخبين بـه " (15).

فإنَّ الليبراليَّة هي السعي وراء الاعتراف الرشيد بحيث يعـترف الجميـع بكرامة كل امرئ وباعتبـاره إنسـاناً حـراً ومسـتقلاً ذاتيّـاً ، إذْ إنَّ الديموقراطيَّـة الليبراليَّة تتيحُ لهُ حريَّة الحركة وكسـب المـال وإشـباع حوجـة الإنسـان الماديَّـة والمعنويَّة في شعور الإنسـان بذاتـه ؛إلا أنَّ فوكوياما هنـا يتجـاوز التـاريخ كمـا تجاوز الجغرافيا ؛فإنَّ الأزمـات الاقتصـاديَّة وحركـات اضـطهاد البشـر والـرأي الفكري تميّز التاريخ الغربي الحديث والمعاصر ؛فـإنَّ الأمـر لا يخـرج عـن كونـه أحـد أهـم إفـرازات نتيجـة ذلـك الصـراع الأيـديولوجيّ الـذي انتهـى بهيمنـة أيديولوجيَّة الديموقراطيَّة الليبراليَّة(16).حتى أن أمريكا اعتقدتْ بأنَّهـا المشـرِّع الحقيقي للكون ، وتطمحُ لأمركة العالم(17). ومـنْ ثـمَّ أصـبح المجـال مفتوحـاً

---

14 ـ فوكوياما ، فرنسيس نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص231.

15 ـ المرجع السابق ـ ص271.

16 ـ لمزيد من المعلومات انظر زكي ،رمز ـالليبرالية المستبدة ـ سهنا للنشر والتوزيع ، الوحـدة ـ 1993م ـ ص من ص15 :ص18 حول البطالة والفقر في الدول الرأسمالية .

17 ـ لمزيد من المعلومات أنظر لا توش ،سيرجي ـ تقريب العالم ـ ت : هاشم صالح ـ ط (1) ـ المؤسسة العربية للنشر والإبداع ـ الدار البيضاء ـ 1993م ص24.

للهيمنة الأمريكيّة على العالم ؛ولقد وجدت هذه الهيمنة مجالها الأمثل و مرتعها المفضل لنشر خطاب العنف "الثيموس الفوكوياميّ" الذي بموجبهِ أعادتْ الهيمنة الأمريكيّة قصة الكولونياليّة القديمة التي كان جُلّ همّها الحصول على المواد الخام ولا تُمانع في الوقت نفسهِ من توسيع حلبة السجال. مثل تلك التي حدثتْ حول نفط الشرق الأوسط الذي يعتبر المصدر لتحريك تلك الهيمنة كان في البداية بأيدي انجلترا و فرنسا ،ثم انضمت إليها فيما بعد الولايات المتحدة بموجب ترتيب اتخذ شكلهُ في اتفاقيّة الخط الأحمر سنة 1928و أُستبعدت فرنسا بعد الحرب العالميّة الثانيّة بحيلةٍ شرعيّة ؛فاتخذتْ الولايات المتحدة موقع الصدارة وكانتْ السياسة التي يسترشدُ بها على الدوام تقضي بأنْ يكون نفط الشرق الأوسط تحت سيطرة الولايات المتحدة وحُلفائها وعُملائها وشركاتها النفطية الكُبرى ؛وبأنّ النفوذ "الوطني الراديكاليّ " المستقل لا تسامح فيهِ ؛ وهذا المذهب جاء نتيجة طبيعيّة للعداء العام للقوميّة المستقلّة في العالم الثالث ولكنهُ مذهب ذو مغزى استثنائي فالولايات المتحدة تسعى للسيطرة التامة على الثروة النفطيّة بواسطة الشركات الاقتصاديّة العالميّة الكبرى(18). إنّها البراجماتيّة قصيرة النظر التي لا يمتدُ تطلعها إلاّ إلى مصلحتها الراهنة ولو كان ذلك على حساب القيم والمثل الإنسانية ؛ولهذا أعطتْ الرأسماليّة للفرد الحريّة في أنْ يوظف رأسمالهِ من أجل المنفعة الشخصيّة والتي حتماً و بموجب قانون اليد الخفيّة" يرتد هذا إلى المجتمع ككل لكن هذا يظل تنظيراً لرومانسيّة اقتصاديّة ؛فإنّ الرأسماليّة على حد تعبير ليستر ثورو""مثلاً "غير معنيّة بالكفاءة

18- تشو سكي ،نعوم ، إدانة الديموقراطية ، مرجع سابق ، ص207.

" ويعني قانون اليد الخفية أن المصلحة الفردية تحقق مصلحة المجتمع إذ بقت تتحكم في الحياة الاقتصادية ، في السوق والانتاج وبأن بمقدورها إيجاد التوافق بين المصلحة الخاصة والعامة وركز عليها آدم سميث في نظريته الاقتصادية.

"ليستر ثورو : اقتصادي أمريكي من أهم أعماله مستقبل الرأسمالية ،المتشائمون وهو ناقد للرأسمالية الامريكية التي أصبحت عاجزة أمام ما تواجهه من تحديات.

المجرَّدة ،بل إنَّها معنيَّةٌ فقط بإعطاء الفرصة لكل واحد من أجل أن يزيد منافعهُ إلى أقصى حد وذلك من خلال ممارسة تفضيلاتهِ الفرديَّة الشخصيَّة ؛ فأمرٌ مشروع سواء يكون مجرماً أو رجل دين ، ويمكن للمرء أنْ يفعل مثل ما يفعل دعاة الاشتراكويَّة ويناقش أنَّ مجتمعاتنا كانتْ أكثر كفاءة وإنسانيَّة سابقاً ويمكن أنْ تكون أكثر كفاءة و إنسانية مستقبلاً إذا ما عملنا على غرس القيم الاجتماعيَّة في أذهان الشباب والصعوبة في كيفية تحديد هذه القيم(19).

لقد كان من أهم عيوب هذا النظام العالمي الذي يؤسسهُ النظام الديمقراطي الليبرالي تأسيس البون الشاسع ما بين الفقراء والأغنياء سواء على المدى الفردي أو الجماعي أو حتى على مستوى الدول والشعوب ؛فإن السوق الذي يشنُف به آذاننا النص الفوكوياميِ مؤسس على حلبة متراميَّة الأطراف لا يدخلها إلا الأغنياء ،كما أنه من ناحية أخرى تقوم على ديمقراطيَّة تخلُو من مفهومها الحقيقي لتنزوي في إجراء تقليديٍ يتمُ كلَّ أربع سنوات لانتخاب رئيس الولايات المتحدة(20). كما أنْ هذا يعطي المواطن الحق ـ كما يذهب فوكوياما نفسهُ ـ "في أنْ يكون لهُ نصيبٌ في السلطةِ السياسيَّة أي حق كافة المواطنين في الاقتراع والمشاركة في النشاط السياسي ، ويمكن اعتبار حق المشاركة في السلطة السياسيَّة حقاً ليبراليَّاً آخر (بل هو أهم الحقوق الليبراليَّة) ولهذا السبب كانتْ الليبراليَّة وثيقةُ الصِّلة تاريخيَّاً بالديموقراطيَّة "(21). إنه

---

19 ـ توورو ،الهستر بمستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص309.

20 ـ لمزيد من المعلومات انظر فوكوياما .فرانسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر مرجع سابق ـ ص52 حول ديموقراطية السوق وازدهارها .

21 ـ المرجع السابق ـ ص54.

يُفارق بطريقةٍ واضحة رسالة الثورة الأمريكيّة فهل هذه هي رسالة الثورة الأمريكيّة التي لم تكن ضد الاستعمار الإنجليزي فحسب ولكن كانت ضد الفقر ولم تكن لها من شعار سوى الحريّة والمساواة ؟ كما نصّت مبادئ جون لوك* رسول الثورة الديموقراطيّة في أمريكا وبريطانيا حيث إنّ السلطة القائمة حسب عقد لوك إنّما هي سلطة ديمقراطيّة يحق للأفراد الخروج عليها إذ أساءت استعمال بنود العقد ؛ وإنّ أي دولة إذ أتمتْ مهمتها وجب سقوطها(22).* يذهب جاك دريدا ـ "فعندما يصف هذا كمال الدولة العالميّة وتجانسها فإنهُ يستوحي كثيراً من لوك ومن نموذج انجلوسكسوني .كان هيغل نفسهُ قد نقدهُ ؛ونجد على العكس من هذا أنهُ محق عندما يؤكد أنّ أمريكا بعد الحرب أو أنّ المجموعة الأوروبيّة تشكّل التحقق الكامل والمتجانس للدولة العالميّة ؛ دولة النهضة العالميّة وإنّ هذا ليعني إقامة دولة مسيحيّة ؛كما يعني إقامة تحالف مقدس "(23).*

كما أنّ لوك يرى بأنّ الوظيفة العليا للدولة هي حماية الحياة والثروة وهي الحماية التي لكل إنسان الحق فيها ؛وفي حالة انتهاك الحقوق الطبيعيّة للجنس البشري فإنّ للشعب الحق في إلغاء أو تغيير الحكومة(24).*

---

* جون لوك (1632-1704)فيلسوف تحريبي إنجليزي من عائلة أرستقراطية صاحب كتاب رسالتان عن الحكومة المدنية مقال في الفهم البشري.

22ـ لمزيد من المعلومات انظر لوك،جون ـ في الحكم المدني ـ ت:ماجد فخري ـ بيروت ـ1959م ـ ص6،ص139 ،ج144 .ولمزيد من المعلومات أنظر عبد المعطي،علي ـ تيارات فلسفية حديثة ومعاصرة ـ دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ـ 1991م ـ حول الحكومة وفصل السلطات ـ ص114 ،ص117 ،ص118.

* 23ـ دريدا ،جاك ـ أطياف ماركس ـ مرجع سابق ـ ص121.

* 24 ـ تيفينز ،كوما جر ـ موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ ت : محمد خليل ـ ط (1) ـ الدار الدولية للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ 1990م ـ ص84.

فعندما تمّ لبريطانيا عام 1648السيطرة على معظم الأجزاء الشرقيّة للعالم الجديد حتى فرجينيا في الجنوب ؛ وسيطر الأسبان على مناطق الجنوب حتى فلوريدا ،كما سيطر الفرنسيس على أقصى الشمال والبحيرات الكبرى وحوض الميسيسبي حتى خليج المكسيك في أقصى الجنوب وسيطر الألمان أيضاً على هتسون وما جاورها(25).

تعرفتْ أمريكا على أهميّة الحريّة ونشر السعادة الإنسانيّة .إلا أنّ هذا المفهوم قد أُستعمل كمُبرر في التدخل العسكري في مناطق العالم ،وقد برّر الكثير من رؤساء أمريكا أفعالهم بناءً على وصايتهم على العالم في القرن التاسع عشر والعشرين. فقد رأى روزفلت* أنّ للولايات المتحدة مسؤولية تجاه العالم ؛ وكان روزفلت الذي تأثّر بنظرية دارون**.يرى في الحروب عنده ظاهرة صحية لحفظ الأمن والاستقرار العالمي لدرجة أنه وصف الحرب الأمريكية الأسبانية عام 1898 على أنها أجود عمل طبيعي يحدث في هذه الفترة.

ومع هذا يَعتبر فوكوياما أنّ رسالة الحرية لا تتوفر لها عوامل حياتها إلا بنشر أيديولوجيا الديمقراطيّة الليبراليّة لينهي بها التاريخ . ولكن هل ينتهي التاريخ بقتل الأطفال بالمدارس وتدمير الهويات والخيارات الاقتصادية والإيديولوجية إنها لا تعدو أن تكون إحدى تلك النظريات السياسية التي

---

25 ـ لمزيد من المعلومات انظر ديمون ،وينيه ـ نقد العالم المعاصر ـ ت: جورج طرابيشي ـ ط1 ـ المؤسسة العربية للنشر والإبداع ـ الدار البيضاء ـ 1993م ـ ص16.

* روزفلت الرئيس الأمريكي الذي كان خريج مدرسة هارفارد لو في سن مبكرة لن يقتني خطوات قريبة في البيت الأبيض خدم في الجمعيّة التشريعيّة لو لاية نيويورك رشح لمركز نائب الرئيس في سنة 1920 ثم أصيب بشلل الأطفال وقد ناضل في نزوة حتى استرد صحته وأخذ يدرك التاريخ السياسي الأمريكي في سنة 1928 سبق المرشحين معه إلى الفوز بمنصب حاكم ولاية نيويورك ثم أعيد انتخابه بعد عامين بأغلبية أكبر كان أفضل زعيم من الديموقراطيين معرفة وإطلاعاً في البلاد في سنة 1932.

** تشارلز دارون(1809-1882) عالم جيولوجي إنجليزي اشتهر خصوصاً بمذهب التطور ولد في شرلبوري وتوفي في 19 أبريل.

تهدف إلى تطبيق فكرة العالمية من خلال حكم الدكتاتور الذي تكرر على مدى التاريخ .

يرى تشو مسكي بأنه " لم يكن لدينا خيارات حقيقية حين غزونا فيتنام الجنوبيَّة ، وقلبنا الحكومة الرأسماليَّة الديمقراطيَّة في غواتيمالا في سنة 1954 وحافظنا فيها على حكم رجال العصابات القتلة منذ ذلك الحين وأدرنا أوسع عمليات الإرهاب الدوليَّة في التاريخ ضد كوبا من أوائل الستينيات وضد نيكاراغوا خلال الثمانينيات ، وسعينا إلى اغتيال لومومبا فنصبنا مكانهُ دكتاتوريَّة موبوتو الوحشية والفاسدة وحافظنا عليها .وهكذا باستمرار فليس بوسعنا أن نفعل شيئًا آخر بالنظر إلى الخطر الذي يتهدد وجودنا ، أما الآن فقد تراجع العدو لذا لعلَّ بإمكاننا أن نرضي توقنا إلى حالة اللا تورط في شؤون الآخرين ، هذا وإن كان توقنا إلى الديمقراطيَّة كما يضيف الآخرون قد يضطرنا إلى الإصرار على مساعينا النبيلة "(26). فسياسة الولايات المتحدة في مجملها اعتمدت على العنف السياسي والعسكري لكي تجبر شعوب الأرض على اتباع أيديولوجيتها المطروحة على الساحة والذي يُعبِّر عن أحلام قديمة حملها العقل الغربي في فرض سيطرتهِ وليس التبشير بالمجتمع السعيد الذي يُبشرنا به الخطاب الفوكوياميِّ إنها بتعبير أوضح " وليدة مجتمع قديم حامل بمجتمع جديد هذا وننظر للعنف باعتبارهِ أداة وليس غاية فهو عند القوي وسيلة لتثبيت

26ـ تشو مسكي ،نعوم ـ إعادة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص25 ،ص26. .ولمزيد من المعلومات أنظر هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي ـ ت: أبو شهبة،خلف ـ ط(1) ـ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ،مصراتة ـ 1999م ـ ص334 .

واقع عدم التكافؤ وتشريع المقتضيات الضامنة لاستمراريتهِ ؛ وهو لدى الضعيف واحدة من الوسائل الكفيلة باسترداد مكانتهِ وصيانة قيمهِ "(27).

حيث لجأ أولئك الذين قاتلوا من أجل السيطرة على المستقبل إلى استخدام العنف والثروة والمعرفة ؛واليوم بدأتْ ثورة مماثلة لتلك وإن كانتْ أشدُ تسارعاً وعنفواناً حتى إننا منذ أن كنّا أطفالاً نجد نتيجة لما تعرضهُ هوليوود من أفلام أنَّ السلطة تأتي من العنف(28).

فحقيقة وجود السلطة يكمن أساساً في العنف الملازم لها ولايمكن تصورها دون ذلك ؛والسلطة السياسيّة في الحضارة الغربيّة منذ نشأتها لا تفكر إلا من خلال مصطلحات العلاقات التراتبيّة والتسلّطيّة ؛والقيادة ؛ والخضوع(29).

إنَّ مجتمعاً ما هو مجتمع ديمقراطي إلى الحد الذي يقوم فيه مواطنوهُ بأداء دور مجد في إدارة الشؤون العامّة . فإذا جرتْ السيطرة على فكرهم ؛أو تمّ تحديد خياراتهم كثيراً؛ فهم عندئذ لا يقومون بأداء دور مجد . فالذين يقومون بذلك هم أصحاب السيطرة ومن يخدمون . ومن هنا يتضح التناقض. مع هذا هناك تيار كبير يحمل رأيّاً فكريّاً مناقضاً يقول إنَّ السيطرة على الفكر أمر جوهري في المجتمعات ذاتها التي هي أكثر حريّة وديمقراطيّة ؛حتى حين تقوم المؤسسات بتقييد الخيارات المتاحة عمليّاً تقييداً بالغاً ؛ولعلّ مثل هذه الأفكار وتطبيقها أكثر تقدماً في الولايات المتحدة منها في أي مكان آخر الأمر الذي يعكس حقيقة بعينها هي أن هذه البلاد هي في نواحي مهمّة أكثر المجتمعات

27ـ الذكي ، أحمد ـ العنف في العلاقات الدولية ـ الوحدة ـ العدد (67) ـ مجلة ثقافية فكرية شهرية تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية ـ السنة السادسة ـ لبنان 1990م ـ رمضان 1410ه ـ ص6.

28ـ توفلر، ألفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص26.ص27.

29 ـ كلاستر ،بيير ـ مجتمع اللا دولة ـ ت: محمد دكروب ـ بيروت للدراسات والنشر والتوزيع ـ 1991م ـ ص11.ص17.

حرية في العالم(30). كما أنَّ الصراع الراهن تجاوز فكرة السجال الحاد ما بين الأيدولوجيا الديمقراطيَّة الغربية وخصمها الاشتراكي إذ أنَّ حلبة هذا السجال قد اتسعتْ وترامتْ أطرافها ليكون سجالاً ما بين عصر و عصر : فالصراع الآيدولوجي الرئيسي ليس هو بين الديمقراطيَّة الرأسماليَّة والشموليَّة الشيوعيَّة بل بين ديمقراطيَّة القرن الحادي والعشرين وظلام القرن الحادي و العشرين (31). إلا أننا نجد تناقضاً في ذلك البلد من خلال تطبيق للديمقراطيَّة الليبراليَّة حيث لا يتوافق تلازم الديمقراطيَّة الأمريكيَّة والليبراليَّة فكما يوضح فريدمان* "كما تطور الأمر في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر فإنَّ الحركة الفكريَّة التي انطلقتْ تحتَ اسم التحرريَّة قد أكدتْ على الحريَّة كهدف مطلق ، والفرد كوجود مطلق في المجتمع ،وقد دعُمت هذه الحركة سياسة عدم التدخل الحكومي في الشؤون الاقتصاديَّة في البلاد كوسيلة لتقليل وإضعاف دور الدولة في الشؤون الاقتصاديَّة وبالتالي توسيع دور الفرد وقد دعمتْ هذه الحركة التجارة الحرة عبر البحار كوسيلة لربط أمم العالم بسلام وديمقراطية أمَّا في الأمور السياسيَّة فقد دعمتْ هذه الحركة تطور حكومة تمثيليَّة ومؤسسات برلمانيَّة والتقليل من السلطة التعسفيَّة للدولة وفي أواخر القرن التاسع عشر وخاصة بعد 1930 كانت عبارة التحرريَّة في الولايات المتحدة مرتبطة بتأكيد مختلف وخاصة في سياسة الاقتصاد بل كانت مرتبطة باستعداد أكبر للاعتماد

30ـ تشو سكي ، نعوم ـ إعادة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص17.

31 ـ توفلر. ألفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص503 .

* ميلتون فريدمان: اقتصادي وأكاديمي معروف وراند مدرسة شيكاغو ولد عام 1912م حاز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام 1976م لدراساته في تحليل الاستهلاك والنظرية النقدية والاستقرار الاقتصادي.

على الولاية في الدرجة الأولى عوضاً عن اتفاقات طوعيّة خاصة لتحقيق الأهداف التي تعتبر مرغوبة ، وأمسى شعار الإنعاش والمساواة عوضاً عن الحريّة"(32).

ـ إنّ ما يذهب إليه فوكوياما بأنّ: " التاريخ الطويل للممارسة الديمقراطيّة الليبراليّة بأنّهُ قد تغلغل في النفوس فترتبط ارتباطاً وثيقاً بأقدم التقاليد القوميّة وارتباط الديموقراطيّة الليبراليّة بالقوميّة يقوّي من جاذبيتها الثيموسيّة وإغرائها للجماعات حديثة التحرر بتبنيها بأنْ تربطهم بالمؤسسات الديمقراطيّة برباط هو أوثق مما لو أنهم شاركوا فيها منذ البداية "(33): لا يُعبر إلا عن مفارقات الديمقراطيّة الليبراليّة التي لم تكن ثابتة في تعاملها مع الآخر فإنها كثيراً ما تعاونت مع الأيديولوجيّات المتعددة ،فقد ناصرت الديمقراطية حيناً ،وما يتماشى مع نصيحة فوكوياما :"على المرء أن يتعلم قيماً ديموقراطية جديدة ، كأن يصبح مشاركاً وعقلانياً وعلمانياً ومتحركاً ومتحمساً ومتسامحاً ولم تكن هذه القيم الديموقراطية الجديدة بالقيم على الإطلاق في البدء؛فيما يتعلق بتعريف الفضيلة والرذيلة الإنسانيتين تعريفاً قاطعاً . وإنما ظهرت هذه القيم باعتبار أن لها وظائف عملية بحتة ، وباعتبارها عادات لابد للمرء من أن يكتسبها إن هو شاء النجاح في العيش في مجتمع آمن يعمّهُ الرخاء" (34): وأحياناً تساند الثورة والمؤسسات الدينية حتى عمّقت ذلك الشعور بالاغتراب واليأس والإنفصال عن الذات مما يؤكد القول بأنّ: "بالأمس القريب فقط كان الغرب يتخذ من الإسلام حليفاً له ضد الشيوعيّة ؛ على مستوى

---

32 ـ فريدمان ،ميلتون ـ الرأسمالية والحرية ـ ط(1) ـ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ـ سرت ـ أبي النار ـ 1426، ص12.

33 ـ فوكوياما ،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص195.

34 ـ المرجع السابق ـ ص191، ص192.

الشعارات الأيديولوجية كما على مستوى تأييد وحماية حكومات تحكم باسم "الإسلام" وساند بالمال والسلاح والخبرة حركات ثورية ترفع راية الإسلام ؛ كما فعل في أفغانستان أيام الحكم الشيوعي ،فأصبح الإسلام العدو الأول بعد أن مارستْ دول إسلامية حقها في امتلاك بترولها والاستقلال بسياستها"(35).

إنَّ العصرَ الجديد يرفعُ نداء "لينقذ نفسهُ من يستطيع ذلك ؛ فانتصار الرأسماليَّة لايعني أبداً نهاية التاريخ التي تحدَّث عنها الفيلسوف الأمريكي فرنسيس فوكوياما عام 1989 ،وإنَّما يعني نهاية ذلك المشروع المسمَّى بكل جرأة وغرور الحداثة ؛ هناك تحول تاريخي بأبعاد عالمية ؛ لم يعد التقدم والرخاء بل صار التدهور الاقتصادي و التدمير البيئي والانحطاط الثقافي هي ما يخيِّم على الحياة اليومية للغالبية من البشر"(36).

إنَّها تعني وحسب سقوط المنافس الآيدولوجي الاشتراكي ،حيث" كان الصراع بين الرأسمالية والشيوعية صراعاً اقتصادياً أيديولوجيا وعسكرياً ؛ فالرأسمالية و الديموقراطية و مجموعة أحلاف عسكرية منتشرة في العالم مثل حلف شمال الأطلسي"NATO"على سبيل المثال وقفت ضد الشيوعية والكلّانية"" ومجموعة أحلاف منتشرة في العالم حلف وارسو على سبيل المثال وفي النهاية

---

35 ـ الجابري، محمد ـ قضايا في الفكر المعاصر ـ ط1) ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ ـ 1997م ـ ص126. ص127.

36 ـ بيتر، شومان ـ فخ العولمة ـ ت: عدنان عباس ـ عالم المعرفة ـ العدد(238) ـ سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ 1998م ـ ص69.

" الناتو: North Atlantic Treaty Organization (NATO)
حلف سياسي عسكري غربي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية ، انشئ بموجب معاهدة عرفت بهذا الاسم في نيسان/أبريل 1949م بمدينة واشنطن ، ويتكون من الولايات المتحدة ، بريطانيا ، فرنسا ، كندا ، إيطاليا ، بلجيكا ، هولندا ، البرتغال ، لكسمبورغ، أيسلندا ، النرويج ، الدانمارك ، ثم انضمت إليه بعد ذلك كل من ألمانيا الغربية وتركيا واليونان ، تعود جذور الحلف إلى الحرب العالمية الثانية وتحول الحلف عام 1952م إلى منظمة دولية إقليمية دائمة مقرّها باريس ـ برز إلى الوجود على اثر الابتداد وطأة الحرب الباردة وازدياد الصراع بين المجموعة الاشتراكية بقيادة الإتحاد السوفيتي والمعسكر الغربي في أوروبا ورغبة الولايات في التصدي للنفوذ السوفيتي .
"" الكلانية يقصد بها المذاهب التوتاليتارية الشمولية كالنازية في ألمانيا، الفاشية في إيطاليا، البلشفية في روسيا.

أدى الضعف الاقتصادي للشيوعية إلى انتصار الرأسمالية: وانتشار الديموقراطية والتخلي عن حلف وارسو في آذار ـ مارس ـ 1991م وتفكك الإتحاد السوفيتي نفسه نهائياً"(37).

كما من ناحية أخرى تعمل الرأسمالية على توسيع التفاوت ما بين العالم الأول والثالث ، حيثُ إنَّ هذا الأخير يشهد شيوع العديد من حالات الفشل مقابل ما يشهدهُ العالم الأول من نجاح ،أما ما يخص العالم الثاني الشيوعي سابقاً فهناك صعوبة أمامهُ لكي يتمكن من اللحاقِ بركبِ الرأسماليّة . بجانب الأسواق الحرة التي تعملُ على خلقِ تفاوتٍ في الدخل لا تتماشى وتطبيقها في جو ديموقراطي ، ناهيك عن حالات الفشل وعدم المساواة والتشرد في الولايات المتحدة .

"فإذا ما تركتْ الرأسمالية بدون قيود فإنَّ لديها ميلاً إلى الانجراف إمَّا نحو عدم الاستقرار المالي وإمَّا نحو الاحتكار .وقد عرف القرن التاسع عشر العديد من حالات الخوف والذعر والاحتيال المالي ،كما كان انهيار سوق الأوراق المالية عام 1929م مقدمة للورطة الحالية للأسواق المالية الأمريكية المضطربة أو غير المنظمة"(38). فالمؤسسات الحرة الرأسمالية المتنافسة- كما يرى فريدمان ـ "تحاول أن تستبدل الواحد منهما بالآخر : ونجد أنَّ التفاوت في المجتمعات اللا رأسمالية يبقى دائماً ، إذ إن المجتمعات الرأسمالية فإنَّها تدخل حركة الانتقال الاجتماعية وتُضعِف المنزلة الرفيعة للمجتمع "(39).

---

37 ـ توربو ،ليستر ـ المنتفعون ـ مرجع سابق ـ ص236،ص237.

38 ـ المرجع السابق ـ ص17.

39 ـ فريدمان ، ميلتون ـ الرأسمالية والحرية ـ مرجع سابق ـ ص155.

حيث يحرم النظام الرأسمالي العامل جزءاً من قيمة عمله ،والنظام الرأسمالي الذي يقوم أساساً على المنافسة الحرة يخلق صراعاً بين المنتجين ينتهي بإفلاس صغارهم وتشكيل اتحادات في ملكية المصانع بين أقويائهم ومن ثم تنتهي المنافسة الحرة إلى الاحتكار ويصبحُ مآل صغار المنتجين أنْ يصبحوا جزءاً من البروليتاريا فيزداد الصراع حدةً بين الرأسماليّة والعمّال ليكون النص الماركسي أكثر واقعية في وصفه لحالة الإعتداء على الديموقراطية.

"رأس المال الذي يملك أسباباً وجيهةً جداً لينفي وجود آلام عند السكان العمال الذين يحيطون بهِ ،لا يهتمُ إلاّ قليلاً أو مثلَ اهتمامهِ في الحياة العمليّة لمنظر تعفّن البشرية ، وفي النهاية فناء السكان ، وإلا مثل اهتمامهِ الضئيل بإمكانية سقوط الأرض على الشمس ، ففي كل عملية من عمليات المضاربة المالية ،يعرف كل إنسان بأنَّ التدهور سوف يحلُ يوماً من الأيام ولكن كل إنسان يأمل في انهُ سوف يودي بجاره ، بعد أنْ يكون هو نفسهُ قد جمع الأمطار الذهبية في طريقهِ ووضعها في مأمنٍ وثيق و بعدى الطوفان ، هذا هو شعار كل رأسمالي ،وشعار كل أمة رأسمالية ،فرأسُ المال لا يهتم ـ إذن ـ لصحةِ العامل ومدة حياتهِ إلاّ إذا أرغمهُ المجتمع على ذلك "(40).

ولهذا كانتْ المجابهة ما بين المواطن والدولة في ظلِ النظام الرأسمالي دائماً مستعرةً في سياق أنَّ نجاح السلطة السياسيّة داخل الدولة لا يعني بداهةً رضي المحكومين عن هذه السلطة .فإنَّ المحكومين الذين يعانون غالباً من التفاوت الطبقي في ظل النظام يسمح بحرية إنشاء تراتبية داخل المجتمع ، يلجأ بدورهِ إلى نفس الوسيلة التي رسّختها آليّات العنف داخل هذه الدولة

---

40 ـ ماركس ،كارل ـ رأس المال .نقد الاقتصاد السياسي ـ ت: محمد عيتاني ـ الجزء الأول ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ 1988م ـ ص373.

،فيلجأ من ثمَّ إلى العنف ضد الدولة ومنشآتها أو ضد المجتمع الذي تضمهُ هذه الدولة .

إنّنا هنا نرى أنَّ السلام الذي يعمُّ مجتمع الرفاهية ذلك المجتمع الطوباوي الذي يبشُّرنا به فوكوياما في نهاية التاريخ هو سلامٌ ظاهريٌ شعاريٌ لا يدلُ على اختفاءِ العنف .

"وطبيعي أنَّ إحلالَ السلم لايعني اختفاء العنف داخل الدول ، ويتسقُ هذا تماماً مع شنَّ الحروب على الساحة الدوليّة ؛ وتُشير العبارة هنا في هذا السياق إلى نجاح السلطات السياسيَّة داخل الدول في احتكار وسائل العنف بدرجة ما ، وتواكبتْ عملية إحلال السلم داخلياً مع عملية تشكيل مهنة أداء الخدمة العسكريَّة ؛وتوجيهِ النظر إلى خارج البلاد نحو الدول الأخرى بدلاً من الانشغال بحفظ النظام الاجتماعي الداخلي ؛وتلاقي تطور الرأسماليَّة والديموقراطيَّة البرلمانيَّة مع نشوءِ منظومات القانون المركزي ؛وكان لهذا التلاقي دور رئيسي في بزوغ العنف من بين آليات الحكم المباشرة"(41).

فإنَّ من أشهر سمات هذه الدولة الرأسمالية التي يتخذها فوكوياما مثالاً أوحداً الإرهاب الداخلي للمواطن على المستوى الإداري أو القانوني وحتى الاقتصادي حيثُ إنَّ المواطن مكبَّل بلوائحِ الدولة وقواعدها التي لا تسمحُ لهُ بحريةِ الحركةِ كما يدعي فوكوياما على أنَّهُ أهم سمة من سمات الليبراليَّة والديموقراطيَّة . فقدْ أخذتْ الدولة الرأسماليَّة من الديموقراطيَّة معناها المظهري الخارجي المتمثِل في صناديقِ الاقتراع وتماهت مع الليبراليَّة الاقتصاديَّة مما يخدمُ مصالحها هي سواء على الصعيد الداخلي أو الصعيد الخارجي حيث -

---

41 - لمزيد من المعلومات انظر جهدار ،أنطوني - بعيداً عن اليسار واليمين - ت:شوقي جلال - عالم المعرفة - العدد (286)- سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - أكتوبر - 2002م، ص278.

كما يرى تشو مسكي ـ بأنّ "رعاية الإرهاب الدولي التي تقودهُ الدولة والإدارة الاقتصادية المصمّمة على الكسب قصير الأجل لمصلحةِ الأغنياء هم أشهر سمات الإدارة الأمريكية "(42).

إنّ مواطن الولايات المتحدة ـ كما يرى فريدمان ـ يخضعُ لقوانين ولايات مختلفة ،فلا يستطيع أن يزاول المهنة التي يختارها إلاّ إذا حصل على ترخيص لذلك ، وكذلك نجدهُ قد حُرِمَ منْ جزءٍ مهم من حريتهِ ،هناك رجل من كاليفورنيا أدخل السجن بسبب قوانين التجارة المتّفقة بين المنتج والبائع ،وهكذا يظهر بوضوح أنّ الحريّة الاقتصادية تمثلُ قلباً وقالباً جزءاً مهماً من الحرية الشاملة .

إنّ التسويات الاقتصادية تعتبرُ وسيلةً للقضاءِ على الحريّة السياسيّة بسبب تأثيرها على تركزِ القوى وتبديد السلطة .و نوع المنظمة الاقتصادية التي تتحكم بالحرية الاقتصادية بصورةٍ مباشرة والمسمّاة بالرأسماليّة التنافسيّة هي التي تقرر حدود الحرية السياسية لأنّها تفرق بين السلطة الاقتصادية والسلطة السياسية(43).

"لقد طابَ لوسائل الإعلام حتى اليوم أنْ تَتَشَدّق في الحديث عن الفشل الشيوعي ، ولكن علينا أنْ نواجهَ إفلاسَ نظامنا الرأسمالي الذي يجدُ نفسهُ أسيرَ تناقضٍ جوهري : فهو مضطرٌ ،كي يزيد أرباحهِ ،إلى تقليصِ كتلة أجورهِ ،ولكنهُ بفعلهِ هذا ، يُقلّص سوقهُ الداخلية ،وبالنظر إلى عجزهِ عن تصريف إنتاجهِ في هذه السوق ،فإنّه يزيد من أخطارِ الانكماش. ويخيل إليّ أنّنا نعودُ

---

42 ـ تشو مسكي ، نعوم ـ إعادة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص106.ولمزيد من المعلومات أنظر فوكوياما.فرانسيس نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص54.55.

43 ـ فريدمان ،ملتون ـ الرأسمالية والحرية ـ مرجع سابق ـ ص20 .

أدراجَنَا إلى عام 1933يوم احتججت على إتلاف جزء من الإنتاج بهدف رفع قيمة الباقي"(44). لقدْ صدَّرت هذا العنف إلى دولِ الجوار.فلقدْ شهدتْ كوبا في الستينيات ونيكاراغوا في الثمانينيات أوسع العمليات الدولية في التاريخ ضدها حيث اقتصرت الولايات المتحدة على الإرهاب الدولي الواسع النطاق بدلاً من الغزو المباشر ، وهناك تنويع أعنف للسياسات المصممة للمجتمعات الصناعيَّة ، والدافع لها هو النظرة العالميَّة والمثل العليا الاجتماعية والسياسية ذاتها كما أنَّ الإجراءات الأعنف التي ارتأى أنَّها تناسبُ العالم الثالث ساعدتْ كذلك على التغلب على القلق الذي يعبِّرُ عنهُ السجلُ الداخلي بشأنِ الليبراليَّة الفائقة عن الحد لحكومات أمريكا اللاتينية والحماية التي تُوَفِّرُهَا أنظمتها القضائية للحقوق والانتشار الحر للأفكار ، وهو أمر يقف بوجهِ الجهود الأمريكية الراميَّة إلى اشراب الأذهان بالمعتقداتِ الغربيةِ وإلى السيطرة العقائدية حيثُ أقيم في نيكاراغوا بعد سو موزا* بأنْ أصبح من الضروري الإطاحة بالحكومة وتأسيس جيش كفوء على نمط الحرس القومي الذي أسسهُ سو موزا وهو المفضل من الولايات المتحدة أمداً طويلاً(45).

إنها أمريكا التي وحدها تستطيع قيادة العالم ؛ وهي أمريكا الحضارة العالميَّة الشاملة الوحيدة في تاريخ البشرية ؛ ومن دون حضارة أمريكية نابضة بالحياة تزداد البربرية والعنف والدكتاتورية في كوكب الأرض " فالخطر

---

44 ـ ديسون ،دينيه ـ نقد العالم المعاصر ـ مرجع سابق ـ ص240.

* سو موزا اغتصب هذا الحكم على حكومة نيكاراغوا وزاد من كمية المعارضين ووسع نفوذ عائلته وثروتها حتى انتشرت ممتلكاتها في خارج نيكاراغوا واستطاع النجاة من أكثر من عشر محاولات لاغتياله حتى كان حظ أفضل الحزب الليبرالي المواني له عام 1956 فاغتنم أحد الثوار تلك الفرصة لإطلاق النار عليه وبصعبه وتوفي بعد بضعة أيام وافق انتصار الثورة الساندنستية في نيكاراغوا التي انطلقت في عام 1979م نير الدكتاتورية السوموزية الذي دام سنين طويلة عديدة وحقد واشنطن التي وسعت النشاط الإجرامي التخريبي لمنع استقرار الحكومة الساندنستية.

45 ـ تشومسكي ،نعوم ـ إعاقة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص26، ص42، ص68.

الخارجي للشيوعية دفع إلى وحدة البلدان في الكتلة الأمريكية بعضها كان ديموقراطياً وغيرها لم يكن كذلك بعضها يؤمن باقتصاديات السوق وبعضها لا، بعضها غني وبعضها فقير وفقط ما يجمع بينهم هو الرغبة في العيش خارج الفلك الشيوعي لكن من دون ايدولوجية موحّدة ؛ فتتلاشى هذه الوحدة بمجرد اختفاء هذا الخطر الخارجي"(46). إنَّ استخدام الولايات المتحدة لعمليات الإرهاب والاضطهاد بالقمع بالإبادة، المذابح إلى آخره هذه الوقائع لنْ تُكذب تراكماتها أبداً في التوجه المثالي للجزء الأعظم من الإنسانية نحو الديموقراطيّة الليبراليّة .إن هذا التوجه سيمتلكُ شكل نهاية مثاليّة وإنَّ كلّ ما يبدو مناقضاً له فسيصدرُ عن التجريبية التاريخية وانْ كانتْ ثقيلةً جداً ، ومفجعة ؛وعالمية ومتواترة(47).

إنَّ الولايات المتحدة كما يرى تشو مسكي غالباً ما تنظر إلى الدول الإرهابية القتّالة نظرة حسنة إذا كانت تلبّي دواعي المعيار المؤثر (48). وفي أوائل عام 1990 سقطتْ حكومة الساندنيستا في نيكاراغوا وحلَّ محلّها ائتلاف بعد انتخابات حرّة ،حيثُ كان هناك قلة ثقة في امكان استمرار الديموقراطيات الجديدة في أمريكا اللاتينيّة مقارنةً بثقتهم في ديموقراطيات أوروبا الجنوبية ؛ بالنظر إلى أنَّ الديمقراطيات في هذه المنطقة كانتْ دائماً تأتي وتمضي إن كافة الديموقراطيات الجديدة تقريباً جابهتْ أزمات اقتصادية حادّة أهم مظاهرها هو

---

46 ـ ثورو ، لهستر ـ ستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص186.ص 181.

47ـ دو بها ، جاك ـ أطياف ماركس ـ مرجع سابق ـ ص114.ص115.

48 ـ تشو مسكي ،نعوم ـ إعاقة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص277.

أزمة الديون :إن دولاً مثل بيرو وكولومبيا واجهتْ تحدياً داخلياً خطيراً يتمثلُ في التمردِ وانتشارِ تجارة المخدرات(49).

كما يمكن القول بأنَّ تدخل الولايات المتحدة لصالح عصابات الكونتراس في نيكاراغوا هو محاولة لفرض الهيمنة السياسية :فإن نيكاراغوا شاهدت في عام 1966 حرس سوموزا القومي يجري عرضاً في شوارع ماناغوا وهو يهتف "نحن نمور عطشى إلى دم الشعب " ومن ثمَّ حق لنا أن نتساءل كيف يمكن تصوير رجال الكونتراس على أنَّهم هم المدافعونَ عن الديموقراطيَّة(50).

وقدْ دعمتْ أمريكا لعدة سنوات نظام سوموزا الفاسد في نيكاراغوا وزوَّدتهُ بالأسلحة الحديثة وبتدريب ضباطهِ :بينما في يوليو 1979 بدأت الثورة الجامحة تجتاحُ البلاد وبعد فترة طويلة انتصرتْ على سوموزا وأجبرتهُ على الفرار خارج البلاد ،مستولياً على جزء لا يستهان بهِ من السيولة النقدية(51)؛ وكانت محكمة العدل الدولية في لاهاي قد أدانتْ من قبل مسلك الولايات المتحدة تجاه نيكاراغوا : وهو مسلك غير قابل للدفاع عنه(52)؛كل هذا العنف كان بصدد مطاردة وملاحقة الخصم الايدولوجي الشيوعي متمثلاً في الاتحاد السوفيتي من أجل إخضاع العالم لسلطة النظام الرأسمالي ،وهذا ما يروِّج له

---

49 ـ فوكوياما ، فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص29،ص30.

50 ـ ديمون ،روبنه ـ نقد العالم المعاصر ـ مرجع سابق ـ ص229 ولمزيد من المعلومات أنظر مورلايهه ،كولينز ـ صناعة الجوع (خرافة الندرة) ت:أحمد حسان ـ عالم المعرفة ـ سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ أبريل(نيسان) 1983م ـ ص136 وما بعدها حول دور الاستعمار في البرازيل وأمريكا اللاتينية..

51ـ نيفينز ،كوناجر ـ موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ مرجع سابق ـ ص699.

52ـ ديمون ، روبنه ـ نقد العالم المعاصر ـ مرجع سابق ـ ص229.

فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ مركزاً على أمريكا اللاتينية(53). "وفي أوروبا ما بعد الشيوعية أو في بلدان الغرب الغنية "يستخرج " العنف والنزاع ، وينزع عنهما الطابع المجتمعي ،فمخيالنا المجتمعي حافل بالعنف الإجرامي أو بالجنسية العدائية اللذين تطرحهما أكثرية متعطشة للأمن(54). وفي آسيا على الصين خاصة حيث ينفي فوكوياما أن الصينيين قد تحولوا إلى الشيوعية للتغلب على تراث طويل من السيطرة والتخلف والمذلّة التي سببها النظام الرأسمالي ،وهذا ما ينطبق أيضاً كما نرى على كوبا و نيكاراغوا اللتين كانتا ضحية للإمبريالية الأمريكية وعلى الفيتناميين الذين اعتبروا الشيوعية تراثاً قومياً يقيهم شرور النظام الرأسمالي .

إنَّ الرأسماليّة نظامٌ آنيٌّ براجماتيٌّ يتعلقُ بالكسبِ الحالي والمظهر الخادع ذو الرفاهيّة والازدهار ولا تملك الرؤية المتكاملة بخلاف ما يردده فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ وخاتم البشر" .يرى ليستر ثورو إنَّ الرأسمالية " تفتقدُ الرؤية الثاقبة بشأنِ تحليل المستقبل على المدى البعيد ، ويختفي فيها المحتوى الاجتماعي لتكوين الأفضلية الفردية ، كذلك لا يعترفُ بأهميةِ التنظيم الاجتماعي في تقرير الطبيعة المعقّدة للعقلانية والمصلحة الخاصة ؛ و الرأسماليّة لاتملكُ أساساً للمطالبة حتى بالتقيد الذاتي مالم تكن أعمال الفرد تلحق الأذى مباشرة بشخص آخر ،لقد رأى آدم سميث* قبل مئتي عام بأنه يمكن أن يوثق وبأمان في كون الناس يسيرون وراء مصلحتهم الذاتية دون أن يلحقوا بالجماعة

---

* 53 ـ لمزيد من المعلومات انظر فوكوياما ،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص26.

* 54 ـ توربين ، آلين ـ ما هي الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص83.

* آدم سميث يشهر في أواخر القرن الثامن عشر وك في اسكتلندا وتعلم في جامعة جلاسجو في عام 1751 عين أستاذاً للمنطق ثم أستاذاً للفلسفة الأخلاقية لأكثر من ثنتي عشر عاماً من أهم مؤلفاته : ثروة الأمم1772م.

أذى ليس فقط بسبب القيود التي يفرضها القانون ؛ وإنما كذلك لأنهم مضطرون إلى إقامة كابح داخلي مشتق من الأخلاق والدين والعادات والتعليم"(55).

كما رافق تطور الرأسمالية انكماش أساسي في المدى الذي تعمل فيه مجموعات اجتماعية وجنسية ودينية تحت عوائق معينة بالنسبة للنشاطات الاقتصادية ؛فنجد أنَّ حفظَ القوانين العامة للملكية الخاصة وللرأسمالية كان مصدراً لمناسبة رئيسية للزنوج كي يحققوا تقدماً كبيراً في حياتهم وهكذا نجد أنَّ التمييز ضد المجموعات من لونٍ خاص أو من دين خاص يقل في المناطق التي تكثُر فيها حرية المنافسة(56). وبالتالي فإنَّ قولنا بوجود تلازم بين تأصيل النظام الرأسمالي وسيادة قيم مشروعهِ الحضاري ؛يجعلُ من العنف وأشكالهِ من قوة و إكراه ؛واضطهاد مسألة مقنّنة ومشروعة ؛وتثبت صحته من الناحية التاريخية ... انهُ التلازم الذي تعكسهُ مجمل المبادئ ؛القواعد ؛ الأعراف ؛الممارسات ؛ التي تندرج ضمن ما أصبح يسمى اليوم بالقانون الدولي التقليدي (57) ؛وإنْ كنا لا نرى أنَّ الرأسماليَّة التي أنتجت العنف و العنصرية هي نفسها التي " أرجعت للعقل مكانته الحقيقية حين مدته بمفاهيم و فلسفات لم يعد ممكناً اليوم أن نجادل في قيمتها التاريخيَّة كالعقلانيَّة ؛العلمانيَّة ؛التقدُم ؛ الحريَّة ؛ الديموقراطيَّة ؛وحقُوق الإنسان "(58). فهذه القيم الإنسانية في

---

55 ـ لوزو ،ليستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص337.

56 ـ فريدمان ،ميلتون ـ الرأسمالية والحرية ـ مرجع سابق ـ ص109.

57 ـ الذكي ، أحمد ـ العنف في العلاقات الدولية ـ مرجع سابق ـ ص10.

58 ـ المرجع السابق ـ ص12.

التقدم والحرية وحقوق الإنسان ؛قيم بشّرتْ بها الأديان قبل ظهور الديموقراطية الليبرالية وفي مقدمتها الإسلام الذي ناصبه فوكوياما العداء.

إنّ العنفَ آليةٌ هامة من آلياتِ النظام الرأسمالي .حيثُ إنّهُ يبدو واقعياً كما ترى آرندت** أنهُ يكون فعالاً في الوصول إلى الغاية التي من شأنها أن تبررهُ ويمكن اعتبارُهُ سلاح إصلاح أكثر مما هو سلاح ثورة ؛كما يمكن للعنف أن يبقى عقلانياً فقط في متابعته لأهداف على المدى القصير (59). في حين يراهُ ماركوزا ***بأنّهُ استخدام لاعقلاني تقوم بهِ الرأسمالية المتقدمة في جهازها الإنتاجي (60). ذلك المجتمع الصناعي المتقدم يحرم النقد من أساسه الحقيقي ؛ فالتقدم التقني يرسخ دعائم نظام كامل من السيطرة والتنسيق .

إنّ هذا النظام يوجه بدورهِ التقدم ويخلقُ أشكالاً للحياة وللسلطة تبدو وكأنّها منسجمة مع نظام القوى المعارضة ، وتبطل بالتالي جدوى كل احتجاج باسم الآفاق التاريخية ؛باسم تحرر الإنسان(61). "يعتقد المرء أنهُ يموت من أجل الطبقة ؛وهو في الواقع يموت من أجل رجالات الحزب ؛ويعتقد أنهُ يموت من أجل الوطن ؛وهو يموت من أجل أرباب الصناعة ؛و يعتقدُ أنهُ يموت من أجل حرية الناس ،وهو يموت من أجل أرباح الشركات ؛ويعتقد أنهُ يموت في

** حنة أرندت :فيلسوفة أمريكية واحدة من أبرز علماء الاجتماع السياسي في القرن العشرين من مؤلفاتها في العنف .لمس التوتاليتارية ولدت في مدينة هانوفر الألمانية عام 1906م من عائلة يهودية وقد التجأت إلى فرنسا عام 1933م هربا من النازية وقد غادرت أوروبا نهائيا عام 1941م لتستقر في الولايات المتحدة ، حتى وفاتها عام 1975م بعد27عاما من وفاتها لا تزال آرنت تحظى في العالم وبخاصة في فرنسا باهتمام كبير في عالم النشر .

59 ـ آرندت ،حنة ـ في العنف ـ ت: إبراهيم العريس ـ ط (1) ـ الفكر العربي الحديث ـ دار الساقي ـ بيروت ـ 1992م ـ ص72.

*** هربرت ماركوزا:(1898- 1979) فيلسوف ومنظر سياسي وعالم اجتماع من أصله ؛المانى والثورة ـ الحب والحضارة ـ فلسفة النفي ـ الإنسان ذو البعد الواحد ـ نحو التحرر ـ الثورة والثورة المضادة ـ الماركسية السوفيتية ـ نظرية الوجود عند هيغل .

60 ـ ماركوزا ،هربرت ـ الإنسان ذو البعد الواحد ـ ت: جورج طرابيشي ـ ط(3) ـ دار الآداب ـ بيروت ـ 1988م ـ ص58.

61 ـ المرجع السابق ـ ص28.

سبيل البروليتاريا ؛وهو يموتُ في سبيل بيروقراطيتها ؛ويعتقدُ أنهُ يموتُ بناء على أمر من دولة وهو يموت من أجل المال المسك بتلابيب هذه الدولة ؛يعتقد أنهُ يموت في سبيل الأمة ؛وهو يموت في سبيل اللصوص الذين يكممون فاهه ؛ويعتقد .... ولكن لم الاعتقاد في عالم مظلم داج إلى هذا الحد ؟ الإيمان ؛الموت؟ ....ولكن ألم يحن الأوان لنتعلم كيف نحيا ؟"(62).

من أهم سمات الرأسمالية أيضاً التي من أجلها نرفض فيه أطروحات فوكوياما حول الدولة الرأسمالية الليبرالية العنف الاقتصادي الذي تشنهُ الدولة الرأسمالية في العالم ؛فنجد أنَّ الرأسمالية ـ كما يرى تشو مسكي ـ "ما إن حازت على انتصارها العظيم حتى انخفضت الحصة التي تسيطر عليها الأقطار الفقيرة والأقطار ذات الدخل المتوسط من ثروة العالم من 23٪ إلى 18٪ (1980ـ 1988) كما يقول البنك الدولي" "(63). حتى أننا نجد في الولايات المتحدة كما في بلدان عديدة أخرى تطفح الحركة العمالية بالعنف ومن حين لآخر بالإرهاب ؛ وحتى أواخر الثلاثينيات فقط ظلت الشركات في الولايات المتحدة تستأجر الرجال الأشداء لفض الإضرابات أو لترويع النقابات وأتباعهم(64). فالاضطهاد الاجتماعي سمة ملازمة للمجتمع الرأسمالي(65).

---

62 ـ المرجع السابق ـ 224 .

* البنك الدولي :World Bank(WB) لا يمول سوى تلك المشاريع التي لا يمكن للبلد أن ينهض بها ـ تمويل مشاريع عامة حكومية ويقدم المساعدة للدول المختلفة لإعادة بناء اقتصادها وتقوية بنيتها التحتية وذلك بتوفير الضمانات الرأسمالية طويلة الأجل وقد أنشأ في 27ديسمبر 1945م.

63 ـ تشو مسكي .نعوم بإعادة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص277.

64 ـ تومار، أنتن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص58 .

65 ـ ليسينيفسكي .ايفانوف ـ تاريخ الإرهاب الأمريكي ـ ت: غسان سلان ـ دار الحوار ـ سوريا ـ1983م ـ ص159.

"فتلك البرجوازية الرأسمالية قد فقدتْ وعيها الطيب أقصد الثقة بالتطابق ما بين ممارساتها ومبادئها أو قيمها ،وبالتالي فقد لزم عليها أن تستخدم العنف والنفاق لكي تستطيع المحافظة على السلطة "(66). فيكون العنفُ أحياناً في شكلِ ممارسة القنابل والصواريخ أو غيرها لإقامة حكومة جديدة للمستعمرات ؛ وأحياناً لا يحتاج العنف لأن يكون فعلياً إذ إنَّ التهديد باستخدامهِ غالباً ما يكفي للحصول على التجاوب والإذعان ويمكن أن يكمن التهديد بالعنف وراء القانون أيضاً(67). لتميط أطروحة فوكوياما اللثام عن وجهها ، حيث يقف العنف فيها يرغي ويزبد بعد إزالة مساحيق الكولونيالية الأمريكية الجديدة.

ـ إنَّ الرأسماليَّة الليبراليَّة التي ولدتْ في النصف الثاني من القرن الثامن عشر كتثوير لا سابق له لقوى الإنتاج ؛ قد فارقتْ المهمة المنوطة بها ، وقد تحولتْ مع توسعها على أساس النمو اللا متكافئ،إذ إنَّ التوسع الرأسمالي في جوهرهِ والذي يقسّم العالم إلى أطراف ومركز جعل من النمو اللا متكافئ قاموساً لهذه المنظومة الذي يهيمن على مركزها الاقتصاد الغربي الذي تولتْ زعامتهُ الدول الغربيَّة ثم ورثتهُ الولايات المتحدة الأمريكية(68).

إنَّ هذه العربدة الاقتصادية التي تدير مسرحها الرأسماليَّة الليبراليَّة الأمر الذي يسميهِ إدوارد لوتاك*"الرأسمالية النفّاثة"** "ذات السرعة المروعة التي تتم

---

* 66 ـ لاتوش ، سمير جي،تغريب العالم،مرجع سابق ـ ص27.

* 67 ـ توفلر ،الفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص28.

* 68ـ لمزيد من المعلومات انظر أمين،سمير ـ ما بعد الرأسمالية ـ سلسلة كتب المستقبل العربي ـ ط1 ـ (9)ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ ـ بيروت ـ 1988م ـ ص13.

* ادوارد لوتاك : اقتصادي أمريكي رومانى الأصل نال شهرة واسعة كمؤرخ ومحلل من واحد من أكثر دعاة الحرب الباردة فيما سلف إلى واحد من أكثر نقاد التوجه الاقتصادي الجديد بشدة.

** الرأسمالية النفّاثة: أي الرأسمالية المصاحبة بقوة متفاعلة شبيهة بالقوة التي تندفع بها الطائرات النفاثة الحديثة.

بها التحولات قد غدت صدمة لشطر عظيم من السكان ":ويستشهد لوتاك لبيان النتائج التي تفرزها الرأسمالية النفّاثة بتحرير النقل الجوي في الولايات المتحدة الأمريكية من التدخل الحكومي ، فهذا التحرير أدى حقاً إلى تخفيض أسعار الرحلات إلاّ أنهُ أفرز اندلاع موجات تسريح من العمل وشركات نقل جوي تعمها الفوضى : وتعاني من انعدام الاستقرار :إنّ ما تفرزهُ الرأسمالية النفاثة في واقع الحال نكتة خبيثة ، فما كان يزعمهُ الماركسيون قبل مئة عام من مزاعم كانت خاطئة آنذاك أضحى الآن حقيقة ، فالرأسماليون يزدادون ثراء : والطبقة العاملة تزداد فقراً ،وأنّ المنافسة المعولمة تطحن الناس طحناً وتدمر التماسك الاجتماعي(69)." بحيث أصبح العالم الآن يشهد تفاوتاً واضحاً في موارده الاقتصادية وعائداته المادية ،"حيث هناك 20٪ من دول العالم هي أكثر الدول ثراء وتستحوذ على 84,7٪ من الناتج الإجمالي للعالم وعلى 84,2٪ من التجارة الدولية ويمتلك سكانها 85,5٪ من مجموع مدخرات العالم ، وانطلاقاً من عام 1960م تضاعفت الهوة بين ذلك الخُمْس من الدول الذي يعتبر أغنى الدول ؛ والخُمْس الذي يعتبر أفقر الدول ،وفي الواقع فإنّ هذه الإحصائيات أيضاً دليلٌ على فشل مساعدات التنمية التي كانتْ تُبشر بالإنصاف والعدالة"(70)." وكان من نتيجة ذلك أن انتشرت المجاعة وعمّ الشقاء "وتزايد تركيز الثروة بأيدي القلة خلال حقبة " الديموقراطية" وعانى 70٪ من السكان سوء التغذية ؛ وبالرغم من المساعدات الأمريكية المتواصلة وعدم وجود نزاع مع رجال العصابات فإن الاقتصاد يسير إلى الانهيار مع هروب رأس المال والانخفاض في الاستثمار

---

69 ـ لمزيد من المعلومات انظر بيتر شومان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص225. ص324،ص325.

70 ـ المرجع السابق ـ ص70.

الأجنبي"(71). إنه حسب تعريف ماركس* "تحول دم الأطفال إلى رأس المال" (72). إن أمريكا الوسطي مثلاً تشهد وضعاً اقتصادياً سيئاً نتيجة للتوزيع اللا متكافئ للمساعدات الأمريكية على المناطق المختلفة فكما يورد تشو مسكي "أن خمسة عشر مليون نسمة في أمريكا الوسطى أي نحو 60٪ من السكان يعيشون في فقر منهم 9 ملايين وسبعمائة ألف يعيشون في فقر مدقع ؛ ويتفشى سوء التغذية الشديد بين الأطفال ؛ وأن 75٪ من الفلاحين في غواتيمالا ،و60٪ في السلفادور ،و40٪ في نيكاراغوا ،و35٪ في هندوراس يفتقرون إلى العناية الصحية ؛ ومما زاد الطين بلّة أن واشنطن طبقت نظام حصص شنيع على المنتجات الزراعية والصناعية"(73). حيث إن الرأسماليّة تؤدي إلى اتساع حلقة المحرومين ؛ فتحت تأثير الركض وراء جني الأرباح العالية التي أصبحت تتحقق في الأسواق النقدية والمالية ، راحت جميع القطاعات تتنافس وتتصارع من أجل خفض كلفة الإنتاج ؛ وكان التنافس قوياً والضغط شديداً على عنصر العمل للوصول ببند الأجور إلى أدنى مستوى ممكن الأمر لم يعد يقتصر على ذوي الياقات الزرقاء الذين أبعدوا عن أعمالهم بعد أن حلت الآلات الحديثة والمتطورة مكانهم في مواقع الإنتاج المادي بل امتد الأمر ليشمل ذوي الياقات

---

71 ـ تشو مسكي ،نعوم ـ إعادة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص169.

* كارل ماركس:(1818 -1883) فيلسوف اشتراكي الماني مناضل ثوري ، من اهم اعماله رأس المال (1867-1894) ـ الصراع الطبقي في فرنسا (1850) ـ الحرب الأهلية في فرنسا (1871) ـ مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي (1859) ـ العمل المأجور ورأس المال مؤلف لشغلة مخطوطات (1844) .....

72 ـ ماركس ،كارل ـ رأس المال .نقد الاقتصاد السياسي ـ مرجع سابق ـ ص51.

73 ـ تشو مسكي ،نعوم ـ إعادة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص251.

البيضاء: فالمنافسة المعولمة أصبحت تطحن الناس طحناً وتدمر التماسك الاجتماعي وتتسع الهوة في مسألة توزيع الدخل والثروة بين البشر (74).

إنَّ البون الشاسع ما بين الأغنياء والفقراء الواضح في العالم يؤدي إلى تهيئة الظروف لظهور حركات التمرد التي بدورها تهدد الاستقرار الإقليمي وتهدد منافسة الدول الغنية لكي تحصل على الموارد الاقتصادية والعسكرية الأساسية(75). إذ إنَّ التقدم الرأسمالي في بعض البلدان لم يكن ممكناً إلا على حساب دمار الدول الأخرى واستنزافها وإخضاعها لمتطلبات تراكم رأس المال في هذه البلدان(76). هذا التوسع العالمي للرأسمالية يعمل على توطيد هذا التكيف اللا متكافئ للتشكيلات الاجتماعية داخل النظام العالمي ، ويكون ذلك التكيف عملية تفترض تغلغل رأس المال داخل المجتمع المسيطر عليه :مما يؤدي لانعقاد تحالفات طبقية تخرج عن نطاق الوطني لتشمل النظام العالمي حيث تبرز خلال ذلك عملية التمييز ما بين المراكز والأطراف ،حيث تحكم القوى الاجتماعية الداخلية المنتمية لدول المركز بشكل أساسي عملية تراكم رأس المال وتخضع العلاقات الخارجية لكي تخدم هذا المنظور الداخلي(77). إذ إنَّ طبيعة

---

74 ـ بيتر شومان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص14 ،ص15. ولمزيد من المعلومات أنظر زكي رمز ـ الليبرالية المستبدة ـ مرجع سابق ـ من ص4: ص15 حول فشل الليبرالية الجديدة ونموها المتسرع والبطالة والتضخم وزيادة الفقر .

75 ـ لمزيد من المعلومات انظر نشو مسكي ،نعوم ـ إعاقة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص45،ص46.

76 ـ لمزيد من المعلومات انظر زكي، رمز ـ الليبرالية المستبدة ـ مرجع سابق ـ ص33 وما بعدها.

77 ـ أمين ، سمير ـ ما بعد الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص18 ـ ص64 ولمزيد من المعلومات أنظر مرسي ،فؤاد ـ الرأسمالية تجدد نفسها ـ سلسلة عالم المعرفة ـ عدد(147) ـ الكويت ـ1990م ـ في أكثر من موضع حول مقدرة الرأسمالية على التكيف ،ولمزيد من المعلومات أنظر ثورو ،ليستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص16 وما بعدها ـ حول أن الرأسمالية غير قادرة على التكيف وعن مدى الصعوبات التي تقابلها مما يعقد رأيها المذكور.

الرأسمالية كما يوضح سمير أمين* طبيعة زراعية تُضحيّ في سبيل الوصول إلى مصلحتها وأهدافها بالفرد ذلك الذي تدعي كما جاءت في النص الفوكوياما أنها تحرره من براثن العبودية "تسعى كافة المجتمعات الليبرالية الحقيقية من حيث المبدأ إلى استئصال الأسباب التقليدية لعدم المساواة ،كذلك فإن دينامية الاقتصادات الرأسمالية تميل إلى الإطاحة بالكثير من العوائق التقليدية والثقافية في سبيل المساواة بفضل التغير الدائب في طلبها للأيدي العاملة ،وقد عودنا قرن من الفكر الماركسي على فكرة أن المجتمعات الرأسمالية لا تعرفُ المساواة ، غير أنَّ الحقيقة هي أنَّها تعرف قدراً من المساواة في آثارها الاجتماعية أكبر كثيراً مما كان قائماً بالمجتمعات الزراعية التي حلت الرأسمالية محلها ؛ فالرأسمالية قوة دينامية تشن هجوماً مطرداً ضد العلاقات الاجتماعية التقليدية المحضة ؛ وتحل محل الامتيازات الموروثة تقسيمات طبقية جديدة أساسها المهارة والتعليم"(78) ،ولكنها في الواقع تشكل في حد ذاتها سجناً مترامي الأطراف لا يحق للفرد ممارسة حريته إلا داخل أسواره.إلا أن الاقتصاد الليبرالي الذي لا يرحم يطرد من لا أرض لهم من أرضهم ... والليبرالية لا تذبح ؛ ولكن أمام فوهات الجوع أو فوهات مسدسات المرتزقة فإن الموت هو ما ينتظر الفلاح البرازيلي الفقير(79). فإن "التفاوتات بين البلدان الغنية والمدقعة لا تني تتعاظم.. وقد يكون التفاوت أحياناً أشد بروزاً داخل تلك البلدان الفقيرة ؛ ولا

---

* سمير أمين: ولد في القاهرة عام 1931م حصل على دكتوراة في الاقتصاد من جامعة باريس 1957م عمل في المؤسسة الاقتصادية في القاهرة من 1957م إلى 1960م ثم في وزارة التخطيط لجمهورية مالي من 1960م إلى 1963م كما عمل أستاذ اقتصاد في جامعتي باريس وداكار ،ومديراً للمعهد الأفريقي للتخطيط والتنمية الاقتصادية التابع للأمم المتحدة من 1970 م الى1980م ويعمل منذ 1980م مديرا لمنتدى العالم الثالث ويشرف على برنامج بحوث عن استراتيجية للمستقبل الأفريقي لتابع لجامعة الأمم المتحدة، من أهم مؤلفاته :مابعد الرأسمالية ، التطور اللامتكافئ و غيرها.

78 ـ فوكوياما ، فرانسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص253،ص254.

79 ـ ليمون، ريتيه ـ نقد العالم المعاصر ـ مرجع سابق ـ ص214.

سيما في أمريكا الجنوبية فـ"العنف " في كولومبيا : والصراع المسلح في البيرو : يجدان ما يبررهما ؛ رغم أنهما بحد ذاتهما قمينان بالإدانة ؛ في تفاوت لا يطاق في المداخيل ، فمظاهر الترف والفخفخة تتحاذى عن مسافة أمتار أحياناً مع البؤس المدقع ؛ والنظام الاقتصادي السائد يحابي هذه الاختلالات"(80). فالاستعمار زاد من حدة التفاوتات ؛ بيد أنه في مطلع القرن الثامن عشر ؛ وعلى الرغم من المبادلات التي كانت منذ ذلك الحين غير متكافئة ؛ بقيت فروق الثروة معتدلة للغاية بالمقارنة مع تلك التي تقوم اليوم(81).

إنّ الدول الاستعمارية الأوروبية وأمريكا استنزفتْ ثروات الدول المستعمرة إلى أبعد الحدود في أثناء فترات الاستعمار ؛مما أدى إلى زيادة ثرواتها ؛ولصلاح أحوالها الاقتصادية مبكراً ؛ بحيث لما استقلت البلدان المستعمرة وجدت البون الشاسع بينها وبين الدول الاستعمارية في جميع المجالات الاقتصادية والعسكرية ؛ فصار يطلق مسمى الدول المتقدمة على دول الغرب الأوروبية وأمريكا ،ومسمى الدول المتخلفة أو النامية على الدول التي كانت مستعمرة والدول الفقيرة(82). حلبة السجال التي شيدتها نصوص الدولة ليسرح الثيموس ويمرح على تربتها.

---

80 ـ المرجع السابق ـ ص18.

81 ـ المرجع السابق ـ ص17.

82 ـ المرسي،كمال الدين ـ الخروج من فخ العولمة ـ ط1) ـ المكتب الجامعي الحديث ـ الإسكندرية ـ 2002م ـ ص15.

ـ الفصلُ الثاني: /تاريخُ الغرب وإرهاصاتُ الحداثة: ـ

إنَّ الديموقراطيَّة الليبراليَّة التي يُبشّرُنا بها النص الفوكوياميّ أو سرديَّة التاريخ الغربي "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" يبدأُ تاريخها مع تاريخ الروح الهمجي الذي ينطلقُ من ذات الحريَّة الاقتصاديَّة الفرديَّة والتي كما يذهب فوكوياما نفسهُ تُشكّل فلسفة أمريكا الشماليَّة وتقاليدها وثقافتها(83). والتي يُفاخر النص بأنَّها ديدن الديموقراطيَّة الليبراليَّة ومقولتها الأولى ،المأخوذة من أوروبا، فلقدْ دفعتْ نفسُ هذهِ الحريَّة الاقتصاديَّة الفرديَّة الأنجلوسكسون الأوائل إلى اكتشاف العالم الجديد أرض الموعد الاقتصادي فهاجروا أفراداً وزرافات إلى أرض الحلَم الاقتصادي .

لقدْ عرفتْ أمريكا منذُ فجر التاريخ الأوّل أنَّ الاقتصاد يلعبُ دوراً كبيراً في تأسيس الدولة ،لهذا كانتْ أمريكا دولةً بلا تاريخ إذْ إنَّ تاريخها يبدأ مع حقيقةِ الغزو لأرض الغير . فإنَّ الأمريكيين كافة فيما عدا الهنود مهاجرون أو أنسال من مهاجرين ،قد توافدوا في فترات مختلفة وظروف مختلفة ومن أرجاء مختلفة من المعمورة ،بيدَ أنَّهم جميعاً اجتازوا تجربة واحدة ، اقتلعتهم من أوطانهم الأولى وغرستهم في وطنٍ جديد ، ولقد جلبُوا معهم جميعاً حتى الجهلة والسفلة منهم ،مقدرتهم وثقافتهم وإيمانهم فإذا بهم جميعاً في بوتقة أمريكا العملاقة(84)، حيثُ نَشأ التفوق الاقتصادي الأمريكي من واقع أنَّ الأمريكيين كانوا أعظم المستفيدين من ذبح الهنود.إن المستوطنين الأوائل لأمريكا لم يكونوا بدائيين ، وإنَّما كانوا متحضرين ، فغرسوا فيها ثقافة لها من العمر قرون

83ـ لمزيد من المعلومات انظر فوكوياما ،فوكس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص104.

84ـ نيفنز ،كوماجر ستوجز تاريخ الولايات المتحدة ـ مرجع سابق جـ334. ص335.

(85) .وتهجير العبيد إلى أمريكا ثم من المذبحةِ الأوروبيَّة في الحربين العالميتين . وقدْ عادتْ على الولايات المتحدة بريعٍ يفوقُ ريع مناجم الذهب(86). جاءَ مطلع القرن السادس عشر ليبدل الاتجاه الاقتصادي في العالم وقد اضطلع المحيط الأطلسي بالدور الأساسي في المبادلات الاقتصاديّة على حسابِ البحر الأبيض المتوسط الذي عرفتْ شواطئهُ ركوداً كبيراً(87). هكذا فإنَّ كشوفات مع وراء البحار التي تمّتْ إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر أسهمتْ في إدخال أراضٍ جديدة في إطار السوق .وكانَ لانجلترا دوماً قصب السبق(88). في شمال القارة الأمريكيّة حطَّ المهاجرون من ذوي الأصل الأوروبي ركابهم حاملين معهم عتادهم: فأس الروّاد ثم محراثهم . ولم يحاولوا استخدام الهنود .بل شنُّوا عليهم حرباً ضارية . وقد كسبوا أراضيهم على حساب أولئك الهنود .ولكنهم عملوا أيضاً بشظف وتعب وبمفردهم وبأيديهم .ثم سعوا بسرعة .بعد أنْ تدبروا لأنفسهم أدواتهم ثم صنعوها . إلى الاقتصاد في تعبهم ومعاناتهم وبالتالي إلى بناء اقتصاد حديث .أما في الجنوب فقد جاء المعمّرون القادمون من أسبانيا والبرتغال كفاتحين .فنهبوا البلاد واستغلّوا حتى الموت السكّان الأصليين .ثم الرقيق الأسود المجلوب من أفريقيا .والحال أنَّ الاقتصاد الرّقيّ .لا يزال يبيمن عملياً حتى الآن في جنوب القارة الأمريكيّة .وهو يمتدّ ليشمل اليوم لا جماعة إثنيّة بعينها .بل شريحة اجتماعية بكاملها من خلال هوّة

---

85 ـ المرجع سابق ص5.

86 ـ لمزيد من المعلومات انظر غار ودي .روجيه .حوار الحضارات ـ ط4) ـ عويدات للنشر والطباعة ـ بيروت ـ 1999م ص 71 وما بعدها حول فوز الأمريكان لغنائم الهنود الحمر والأرتك بحثاً عن الذهب .

87 ـ ونعلو .فتح الله ـ في فلسفة الاقتصاد ـ ط2) الجزء الأول ـ دار النشر المغربية ـ الدار البيضاء ـ ـ 1974م ـ ص55.

88 ـ بايبك .أوين ـ ارتقاء التقدم ـ ت :محمد عبدا لقادر صندوقة ـ دار الشروق ـ بيروت ـ1995م ص25.

التفاوتات التي لاتني تتسع .وبما أنّ الفقراء هم الذين يتحملون كلفة الأخطاء الاقتصادية فإنّ الأقوياء لا يجدون أنفسهم معنيين بما فيه الكفاية بتصحيحها (89).

كانتْ لأخلاق رجال الحدود المتمرّدة على الترويض عواقب مأساويّة في معاملاتهم مع الهنود بوجهٍ خاص فكانوا يتعدون دائماً على أراضي الهنود ويقضون على حيوانات القنص التي كان الهنود يعتمدون عليها في مأكلهم وملبسهم ، كما أنّ الكثيرين كانوا على استعداد لقتل ذوي الجلود الحمراء بمجرد وقوع أبصارهم عليهم فإذا ما حاول الهنود الدفاع عن أنفسهم ، اشتعلت الحرب ؛ بيدَ أنّ اندفاع البيض نحو الغرب دون هوادة كانتْ السبب الرئيسي لكثير من الاشتباكات(90). فحينما اكتشف الهنود الحمر التفوق النتاجي لفؤوس البيض رغبوا في استعمالها لاختصار الوقت وتحقق الإنتاج الوفير ولكن ما حدث كان عكس ذلك إذْ تمّ مع الفؤوس المعدنية هذهِ اكتساح العالم البدائي بواسطة العنف ؛ القوةِ :السلطة التي مارسها على الهمجيين أولئك المتحضرون القادمون الجدد(91) :ونجد أنهُ عن طريق العنف استولى الرجل الأبيض على ملكيّة الهنود وبُنيَتْ أول مستعمرة إنجليزية في فرجينيا عام 1607 وسيطرتْ بعضها على مساحة كبيرة من الأراضي حتى أتتْ الثورة الفرنسيّة و كانتْ بريطانيا تُسيطر على كامل الأراضي الأمريكية الواقعة شرقيّ الميسيسبي ؛و قد حصل تعاون من قبل بعض الدول الأوروبية كانجلترا وفرنسا والبرتغال لإنعاش

---

89 ـ ديمون ،رتيه نقد العالم المعاصر مرجع سابق ـ ص231.

90 ـ تيفينز ،كوناجر موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ مرجع سابق ص211.

91 ـ لمزيد من المعلومات انظر كلاستر ،بيير مجتمع اللا دولة ـ مرجع سابق ص192.

عملية التجارة في ذلك الوقت(92)؛ وإنَّ هؤلاء الهنود الحمر ومعهم الأليتوس والبوشمن كانوا يعيشون بغير ربح ولا خسارة لكنهم يحبّون العمل ويعتزون به حيث إنَّ المجتمع الأمريكي يتشكّل في الواقع من خليطٍ عجيب من شعوب عديدة توافدتْ إلى القارة الأمريكية بحثاً عن الغنى أو هرباً من الاضطهاد في أوروبا، ولقد فتح اكتشاف أمريكا من طرف كولومبس 1492م الآفاق ومهّد الطريق لانتقال الحضارة الأوروبية إلى هذه القارة الجديدة(93)؛ و "في سنة 1581 أكّدت الملكيّة الأسبانيّة أمام الأوديانسيا* لشؤون المستعمرات الأسبانية في أمريكا اللاتينية ؛أنه قد تمّت إبادة الثلث من سكان تلك القارة الأصليين من الهنود الحمر ؛ وإنَّ من بقي منهم على قيد الحياة ؛ يُرغمون على دفع الجزية عن الموتى ؛ كما أشارتْ إلى أنّهم يُباعون ويُشترون ؛ ويرقدون في العراء بلا مأوًى يحميهم ؛ وإنَّ الأمهات هناك يزهقن أرواح صغارهن إشفاقاً وعتقاً لهم من عذاب السخرة في بطون المناجم"(94).

إنّ الاتصالات بين هنود البرازيل والأوروبيين توطّدت باكراً خلال العقد الأول من القرن السادس عشر بواسطة تجار السفن الفرنسيين والبرتغال الذين جاءوا ليبادلوا أدواتهم المعدنيّة زهيدةَ السعرِ بخشبِ الغابات البرازيلية ؛حيثُ حدثَ الدخول الأبيض إلى قلبِ القارة أثناء النصف الأول منْ هذا القرن و حيثُ صعد الأسبان وصولاً إلى البارغواى خلال بحثهم عن ذهب جماعات الإنكا

---

92 ـ ولعلو ، فتح الله ـ مرجع سابق ـ ص48.

93 ـ المرجع السابق ـ نفس الصفحة .

* الأوديانسيا :جهاز تشريعي وإداري كان الملوك الأسبان يمارسون بواسطته جانبا من الحكم في الأراضي الأمريكية المكتشفة.

94 ـ وغالانو ، ادوارد ـ الابادة الجماعية لهنود أمريكا اللاتينية ـ ت :سمير عز الدين) ـ الثقافة العالمية ـ العدد (3) ـ تصدر دورية شهرية عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت ـ السنة الأولى ـ المجلد الأول ـ جمادى الأولى ـ مارس/آذار 1982م ـ ص226.

* Incas و تحالف الأسبان والهنود الذين كانوا أسياداً على كل المنطقة بهدف الغزو والسيطرة(95). حيثُ حدثَ أوّلُ انفصام كبير بعد إبادة هنود أمريكا ، وقد شرعَ غزاة كبار طغاة بهدم حضارات عظيمة عريقة وذبح شعوبها ، يمثلهُ ما حدث من عنف على الأزتك** في المكسيك وعندما تشتّت شمل الهنود نتيجة الأمراض الأوروبيّة التي لم تكن معروفة في الأمريكتين مثل الجدري أو الزهري : وقد أبيد السكان المحليّون الهنود إبادة تامة في جزر مثل كوبا وعندما وعى الفاتحون الامكانات الهائلة في القارّة الأمريكيّة من الذهب والفضة والمنتجات الاستوائية وجدوا أنفسهم عاجزين عن استغلالها ، لاسيما وأنّ الهنود كانوا يعيشون قبلئذ من الصيد ولا يستطيعون التكيُّف مع العمل في المناجم وفي المزارع (96). لقدْ اقترفَ الفاتحون الإيبيريون (ثم البريطانيون والفرنسيون) في أمريكا واحدة من أكبر المجازر في تاريخ البشرية . وفي البرازيل كان عدد ضحايا المجزرة أقل لأنّ الهنود ،المبعثرين في الغالب في الغابة ، ما كانوا بقادرينَ على التصدي للفتح بمقاومة مماثلة .ومع ذلك ، فإنهُ من أصل ستة ملايين هندي في البرازيل وهو عددهم المقدَّر لدى وصول الفاتحين ،لمْ يبقَ اليوم سوى مئتي ألف ؛أي إبادة مليون ونصف مليون هندي في كل قرن (97). إنهُ نفس المنطق الذي يعبّر عنهُ الكونت جوبينو* في اعتبارهِ هنود أمريكا جنساً مستقلاً: "إنّهم

---

* الإنكا : امتدت هذه الإمبراطورية من القرن الحادي عشر إلى عام 1531. معتدة من كولومبيا إلى تشيلي في أمريكا الجنوبية.

* 95 ـ لمزيد من المعلومات انظر كلاستر ،بيير ،مجتمع اللا دولة ،مرجع سابق ،ص89.

** الأزتك: حضارة عريقة امتدت شمالاً لتشمل الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة (قبل ظهورها) وجنوباً حتى أمريكا الوسطى وظهرت حين انهارت حضارة التيتيهوا في حوالي 0()(اسوالستمرت حتى عام 1531.

* 96 ـ غارودي ،روجيه ،حوار الحضارات ،مرجع سابق ،ص44.ص45.

* 97 ـ ليمون ، ريتيه ـ نقد العالم المعاصر ـ مرجع سابق ـ ص206.

* الكونت جوبينو (1753-1855) من الأرستقراطية الفرنسيين ويعتبر باعث النظرية العنصرية في علم الاجتماع بتأكيده على أهمية العامل العنصري في التطور الاجتماعي ، من أهم أعماله : مقالة في لا مساواة الجنس البشري .

مجرد خليط أو مزاج من الجنس الأسود والأصفر فكيف يتأتى لهؤلاء المعدمين وأولاد الحرام القدرة على حكم أنفسهم وأن يضعوا لأنفسهم نظماً"(98). وتبع ذلك أنْ اكتشف إنتاج الذهب في أمريكا والمكسيك والبيرو طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر مما شكّل ظاهرة تدفق ذلك الإنتاج إلى أوروبا ذلك التدفق الذي رافقهُ ارتفاع كبير في الأسعار وإغناء الطبقة البرجوازية الصاعدة مما مكّن من تحقيق عدة مشاريع تجارية (99)؛ وإنهُ عندما طوّرت أوروبا سفنها ومدافعها انطلقتْ لتغزو العالم ؛ وقضتْ أسبانيا والبرتغال باكراً على حضارات أمريكا الوسطي والجنوبية ـ من المكسيك إلى البيرو والبرازيل ـ وأبادتا غالبية سكانها الهنود ؛ ثم أقامتا بيوتاتهما التجارية حول أفريقيا وآسيا وجزر جنوب شرق آسيا ؛ وحذت انجلترا وفرنسا حذوهما من أمريكا الشمالية إلى الهند وأفريقيا ... ؛ وبعد نهب مناجم أمريكا جاء دور المزارع الكبيرة لقصب السكر والقطن ؛ التي كانت تزرع بواسطة اليد العاملة المسترقة السوداء ؛ مما اقتضى تطوير تجارة الرقيق الأسود التي حرمت القارة الأفريقية من القوى الحية التي يمكن أن تساعدها على التقدم (100).

إنّ تراكم الرأسمال الأولي ؛ ثم النتاج الموسع قد تطور خلال مراحل عدة: إبادة هنود أمريكا بدءاً من القرن السادس عشر ؛ نخاسة العبيد السود التي أصبحت ضرورية لاستغلال المعادن وأراض أمريكية التي قلّ سكانها نتيجة تلك الابادة الجماعية ؛ ثم بدءاً من الثورة الاقتصادية (التي جعلها التكديس أمراً

---

98 ـ كاسيرر ارنست «الدولة والأسطورة» ـ ت: أحمد حمدي محمود ـ الهيئة المصرية للكتاب ـ القاهرة ـ 1995م ـ ص304 .

99 ـ رلمو ، فتح الله ـ في فلسفة الاقتصاد ـ مرجع سابق ـ ص53.

100 ـ دبمون ،وجيه «نقد العالم المعاصر» ـ مرجع سابق ـ ص16. فاروقي ،روجيه ـ حوار الحضارات ـ ت: عادل العوا ـ منشورات عويدات ـ باريس ـ 1975م ـ ص51. ولمزيد من المعلومات أنظر ص94.

ممكناً) لم يعد الاسترقاق يسمح بالإفادة من التقنيات الجديدة ؛ وإن إلغاء الرق ،وبدء (الحركة الاستعمارية) بالمعنى الصحيح أي السيطرة السياسية والعسكرية على أفريقيا وعلى القسم الأكبر من آسيا لتأمين الاستثمارات ذات الريع الأعظم في الصناعة وفي التجارة ؛ ذلك بفرض السعر الأدنى على اليد العاملة والأسعار الأعلى للمنتجات المستوردة فرضاً بالقوة (101).

لقد أصبحنا جميعاً من وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية مثل (الهنود الحمر) أي أناساً لا تملك أي حق في الحياة إلا في الحدود التي لا تعوق تدفق رأس المال الأمريكي المتعدد الجنسيات ؛ ساعية بما تملك من قوة ونفوذ إلى إخضاع أي مقاومة حتى لو وصل الأمر إلى قيامها بعمليات إبادة جماعية .

واستمر العنف في مفعوله عبر الزمن حتى أصبح مصدراً رئيسياً من مصادر سلطة الدولة والتشريع لها ؛تتعرض طبيعة العنف ذاتها إلى تغيير عميق ؛ إذ باتتْ تعتمد بدرجة متزايدة على تقنيات المعرفة المكثفة كالالكترونيات المصغرة والمواد المتطورة والأجهزة البصرية والذكاء الاصطناعي والأقمار الصناعية والاتصالات والبرمجيات المتطورة (102). إنَّ ذلك يخالف ما ذهب إليه فوكوياما من أن "العالم الاقتصادي الإنتاجي الديناميِ العظيم الذي خلقته التكنولوجيا المتقدمة والتنظيم العقلاني للعمل يتمتع بقدرة عظيمة على تحقيق التجانس بين الشعوب والدول وعلى الربط بين المجتمعات المختلفة في عالمنا بفضل إقامة أسواق عالمية "(103).

---

101 ـ لمزيد من المعلومات أنظر غاري وندي ،روجيه ـ حوار الحضارات ـ مرجع سابق ص40.

102 ـ توفلر ،ألفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ص547.

103ـ فوكوياما ، فرانسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص107.

نجد أنّ العديد من الكتابات التي تناولتْ المجتمعات الأوروبية خاصة والغربية على وجه العموم تشهد وجود تراث حربي متميز ؛وتراكمات متعددة ومتنوعة في حقلي المنازعات واستخدام القوة لعل أولى النماذج الدالة على ذلك :أوروبا البربرية ؛هذه التي باجتياح القبائل النازحة من بطاح آسيا على العديد من مناطقها ؛تحولت إلى دائرة عنف مستديم وصراعات قلّما تستطيع عقلانية العقل المعاصر أن تستسيغها أو تجادل في ثبوتها من الناحية التاريخية . إنهم الرومان المعاصرون" الذين دمروا قرطاجة (146ق.م) وصبّوا الملح بأراضي شمال أفريقيا كي تغدو عقيمة غير قابلة للزراعة ؛بل الأكثر قضوا على كل مظاهر المدنية الوافدة مع دخول الفينيقيين أرض بلاد المغرب" (104).

وحيثُ إنّ الدبلوماسية إنما تفهم على أنها تمويه لحكم القوة (105) ؛وبالتالي فإنّ العنف لمْ يختفِ لكن شكلهُ ووظيفتهُ تغيّرا فيما أصبح المال الدافع الأساسي للقوة العاملة والأداة الرئيسية للسيطرة الاجتماعية خلال القرون الصناعية الثلاثة المنصرمة ، وهذا هو ما يفسر تميز مجتمعات المصانع ذات المداخن رأسمالية كانت أم اشتراكية بقدر من نزعة السيطرة والتملك وهوس المال أكبر مما كانت تتسم به مجتمعات ما قبل العصر الصناعي الأفقر منها بمراحل ؛والجشع لاريب يعود إلى أقدم الدهور لكن النظام الصناعي هو الذي جعل المال الأداة الرئيسية للسلطة (106).

---

104 ـ التالكي ،أحمد ـ العنف في العلاقات الدولية ـ مرجع سابق ـ ص8.

105 ـ تشومسكي ،نعوم ـ إعاقة الديموقراطية ـمرجع سابق ص13.

106 ـ توفلر،ألفن تحول السلطة ـمرجع سابق ص66.

فأصبح من ثم العنف مرآة عاكسة لاستخدام العلم والتقدم وتوظيفه تاريخياً "على أن هذه المغامرات الخطيرة (منذ الكشوفات الجغرافية ،واستخدام الأدوات العلمية،...) قد أسفرت عن تراكم المشاكل البحرية الهامة وتضمنت معلومات حول الأعماق والتيارات والرياح السائدة وزودت البحارة بوسيلة للعثور على موقع سفينة ما على الأرض (107)."

كان ظهور وتطور الرأسمالية التجارية التي تعرف بالمركنتالية في القرون : الخامس عشر ؛ والسادس عشر ،والسابع عشر ؛ إيذاناً بنهاية العالم الأخر الإقطاعي ؛ ونهوض قوي اقتصادية جديدة يافعة وبالغة التعقيد ؛ومع ذلك ظل الفقه الاقتصادي كما كان في المجتمع الإقطاعي ـ مجرد فرع تابع للأيدولوجيا السياسية المهيمنة . تشكل جدول أعمال المركنتالية الاقتصادية في الأساس وفقاً للضرورات السياسية لبناء الدولة الوطنية كما فهمها ـ وتصرف بمقتضاها النبلاء وأصحاب المصالح التجارية القوية (108)."

حديثاً كان الغزو الأمريكي الاقتصادي للعالم باسم العالم القرية أو العولمة الذي رفعت أمريكا شعاره بعد أن انزاح عنها الكابوس الماركسي إفرازا تاريخياً طبيعياً لأحداث تاريخية كما نرى وفي مقدمتها كما أشرنا حركة الكشوفات الجغرافية التي بدأت من القرن السادس عشر مع البولنديين والأسبان واكتشاف منابع الأنهار والمياه الذي تطور فيما بعد إلى حركات تجارية أكبر شكلت مرحلة هامة من مراحل الفكر الرأسمالي نفسه أو الرأسمالية التجارية

---

107 ـ بايبك ،أوين ،ارتقاء التقدم ،مرجع سابق ـ ص46.

108 ـ لمزيد من المعلومات أنظر كارسون ،روبرت ،هذا يعرف الاقتصاديون عن الشعبيات وما بعدها ـ ت: دانيال رزق ـ ط1 ـ الدار الدولية للنشر والتوزيع ،مصر ـ 1994م ـ ص30 .

(الماركنتالية) عندما عرف العالم الأوروبي تحولات كبرى بسبب الاكتشافات الجغرافية وتطور الرأسمالية التجارية .

لقد ساير الاتجاه المركنتالي كل هذه التحولات وعبر عنها بصفة عملية لأنه كان يدعو إلى مزيد من التفتح على التيارات التجارية وساد هذا الاتجاه الدول الأوروبية ثلاثة قرون كاملة من 1450الى 1750فالمركنتالية جزء من ايدولوجيا سائدة موضوعها الأساسي الإجابة عن :ما العمل لإغناء الأمة وإغناء الأمير الذي يجسمها ؟ وقد كانت تعمل على تركيز السلطة الملكية وقوة الدولة في ظروف تمكن فيها الأوروبيون من الاستيلاء على أولى المستعمرات على ثروات أجنبية فأقيمت صلات تجارية بين البلدان وسعت الدولة للهيمنة على أكبر قدر من الإمكانيات الاقتصادية .

هناك عدة أنواع من المركنتاليات :منها المركنتالية الأسبانية الذين يجدون أن الطريق الصحيح لغرض نفوذ أسبانيا يكمن من خلال العمل على تحصيل وحيازة أكبر قدر ممكن من الذهب داخل أسبانيا وتطويق السيطرة عليه لعدم خروجه منها وسمي هذا الاتجاه الأسباني بالمركنتالية المعدنية . لذلك نجدهم يسعون إلى تشجيع الواردات من الذهب مقابل صادرات من سلع أخرى .

وأما المركنتالية الإنجليزية التي لا تسعى وراء التصنيع بل كان هدفها يتمثل في الزيادة من صادرات السلع البريطانية وبيع الخدمات الخارجية للدول الأخرى بهدف ولوج المعادن النفيسة إلى داخل البلاد رافعين شعار "فلنبع أكثر مما نشتري "(109). والتي نشأ على أنقاضها النظام الأمريكي في التزامه

---

109 ـ ولتو .فتح الله ،في فلسفة الاقتصاد ،مرجع سابق ـ ص93، ص98 .

باستخدام قوة الدولة في تنظيم النشاط التجاري والمالي واستمرت الدولة في ممارسة دورها في تحديد سلوك السوق واتجاهاته (110).

فالمركنتالية نظرية تهتم بمواقع الأمة والاقتصاد الكلي وتبحث عن طرق إثراء الأمم وتعبر في الواقع عن سياسة معينة وهي تدعو لتدخل الدولة :فالفرد لا يلعب أي دور يذكر في الاتجاه المركنتالي كما أنه تعتبر أن للنقود في حد ذاتها دوراً في الحياة الاقتصادية(111). حتى أن التجار المركنتاليون كانوا أيضاً وفي ذات الوقت المنظرين الأوائل للاقتصاد السياسي ثم أنصار الدولة الحديثة (112).

في رأي المركنتاليين أنْ الأمة الناجحة هي التي تعمل بإصرار على تحقيق فائض مستمر في ميزانها التجاري والاستيلاء على المستعمرات وتقييد الأجور والحراك الاجتماعي للعاملين وإزالة القيود الداخلية المفروضة على التجارة والاحتفاظ بخزانة مليئة إلى أقصى حد ممكن بالعملات الذهبية والوطنية والاحتفاظ بجيش وأسطول قويين لحماية الأمة من منافسيها والحفاظ على تجارتها ومستعمراتها الخارجية (113).

أمّا التيار الفزيوقراطي الذي يعود إلى كتاب .د. كيني* المسمى جداول اقتصادية في عام 1750م ينادي بترك العنان للأفراد في حرية التحكم بسير

---

110 ـ كارسون .روبيرت ـ ماذا يعرف الاقتصاديون عن التسعينات وما بعدها ـ مرجع سابق ـ ص215 .

111 ـ لمزيد من المعلومات انظر وعلو .فتح الله ـ في فلسفة الاقتصاد ـ مرجع سابق ـ ص80.ص99 .

112 ـ لا توش .سيرجي ـ تقريب العالم مرجع سابق ـ ص132 .ولمزيد من المعلومات أنظر زكي،رمزي ـ الليبرالية المستبدة ـ مرجع سابق ـ ص23 وما بعدها حول حديثه عن المركنتالية.

113 ـ كارسون .روبيرت ـ ماذا يعرف الاقتصاديون عن التسعينات وما بعدها ـ مرجع سابق ـ ص30 .

* يد يكفي: شبه توزيع الداخيل في المجتمع الاقتصادي توزيع الدم بين أعضاء الجسم البشري

الأحداث الاقتصادية ؛وأنهُ يقدر ويعلي من شأن الملكية الفردية وحرية الفرد في استخدام ملكيته كيف شاء ؛في حين يقتصر دور الدولة في مهمة خطيرة وهي حماية النظام الطبيعي القائم على الحرية الذاتية ؛وأن المصلحة الفردية في نهاية المطاف تتوافق وتنظم مع المصلحة العامة(114).

ويهتم الفزيوقراطيون بالعمل ويولونه أهمية بشرط أن ينصب على الفلاحة ؛لما للأرض من طبيعة خلاقة في الحصول على العائد الصافي .

لقد ظهرتْ الفزيوقراطية في وقتٍ كان فيه الوضع الاقتصادي يشهد اضمحلالاً كبيراً وأزمة طويلة شكّلت واقعاً موضوعياً هيأ لنشوء الثورة الفرنسية 1789م؛ فجاءت رافعة شعارها الذي ينادي بالتمسك بالأرض باعتبارها مصدر كل خير ؛ وعدم الاتجاه ناحية سياسة التصنيع ؛ فينادون بالثورة وعدم الخنوع والعمل على تدعيمها ما تشهده الفترة من تقدم في العلوم والآداب والفنون والذي عرف بعصر الأنوار(115).

فأفكار ذلك العصر (عصر التنوير)"بموقعها مابين المركنتالية (الاستعمار ونهب مناجم الذهب) والاستعمار الصناعي الحديث الذي تولّد عن الرأسماليّة ؛ليستْ إلا اللحظة التقدمية القصيرة التي عاشتها الأفكار البرجوازية. صحيح أنّ "الليبرالية " المتأخرة ؛مفهوم التبادل الحر في العلاقات الدولية هي حصيلة التنوير ؛ولكن ذلك لا يصدق على التصورات الإمبريالية الضيقة ؛كما لا ينطبق

---

114 ـ ولعلو ،فتح الله ـ في فلسفة الاقتصاد ـ مرجع سابق ـ ص 101 ،ص104 .

115 ـ المرجع السابق ـ ص105 .

" يشار إلى القرن الثامن عشر على أنه عصر التنوير ،ويقصد بذلك سيادة فلسفة عقلية تحريرية مادية ترفض الميتافيزيقا والدين ، وتهتم بالرياضة والفلك والطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعي والجغرافيا والطب ،فلسفة تؤمن بالتغير وتسعى إلى التجديد في كل شيء تحدوها ثقة مطلقة في العقل ويدور التفكير فيها حول الانسان.

أيضاً على الليبرالية الاقتصادية التي تعتبر بمثابة تبرير للسيطرة والنهب الاستعماريين (116).

ويحمل الفلاسفة الفرنسيون (روسو*،فولتير **،مونتسكيو***) الذين هم من ألمع رجال الفكر نفس مبادئ التيار الفزيوقراطي حيث يعبرون عن أيدولوجيا تقديس الفرد واعتباره محور الحياة الاجتماعية وتحريره من كل القيود التي تحد من مبادراته ونشاطه وتنقص من قوة ابتكاره يتطلب هذا الوقوف أمام كل تدخل لدولة أو كل كيان اجتماعي يحول دون حرية الفرد المطلقة. هذه الأيدلوجية عرفت التطبيق بالعنف في فرنسا بعد اندلاع الثورة سنة 1789م (117). فحرية الفرد تلك أشبه بنبتة لينة نادرة ،فعقولنا تخبرنا والتاريخ يؤكد أن التهديد الأكبر للحرية هو تركيز السلطة في الأيدي السياسية ،فالحكومة ضرورة لصيانة حريتنا بل هي آلة نستطيع أن نمارس حريتنا من خلالها ،إذا ركزت السلطة في الأيدي السياسية فإن ذلك يعتبر تهديداً للحرية (118).

ـ إنّ ما سبق بالإضافة إلى منظري الإقتصاد الكلاسيكي(سميث وريكاردو) يمثل تاريخ الديموقراطيّة الليبراليّة : التاريخ الوحيد المتوفر لها : وهو تاريخ الغزو والسيادة والسيطرة ،ولهذا كما نرى وجب الكشف عن الزيف

---

116 ـ لكرك ،جيرا و ـ الأنثروبولوجية والاستعمار ـ ت: جورج كتورة ـ ط2) ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ 1990م ـ ص235 .

* جان جاك روسو: (1712-1778) ولد في سويسرا استقر في فرنسا وهناك ألف كتابه (العقد) 1752 والعقد الاجتماعي 1762.
** فولتير : (1694-1778) فيلسوف فرنسي وشاعر أديب ثائر على الملكي التي ظهرت في فرنسا .
*** شارلز سيكوندا بارون دي مونتسكيو: (1689-1755) أرستقراطي وفيلسوف فرنسي من أهم مؤلفاته روح القوانين .

117 ـ وايلو ،فتح الله ـ في فلسفة الاقتصاد ـ مرجع سابق ـ ص59.

118 ـ فريدمان ،ميلتون ـ الرأسمالية والحرية ـ مرجع سابق ـ ص5،ص6.

في الديموقراطية والليبرالية بالمعنى الغربي ؛ فإذا كانت الليبرالية هي التي حدت بالإنسان الأبيض إلى تنظيم الكشوفات الجغرافية وغزو العالم الجديد لابادة سكانه الأصليين وما تلي ذلك من نشاط رأسمالي تجاري تبلور في حركات المركنتالية الباحثة عن المعادن الثمينة ؛فإنها تكون اسماً آخر للعنف الاقتصادي الذي تواكب مع الحداثة ولهذا فإننا هنا نذهب إلى عكس ما ذهب إليه هنتنغتون من أن الغرب سابق على الحداثة.

يقول هنتنغتون :"الغرب كان الغرب لزمن طويل قبل أن يكون عصرياً ؛ إن الخصائص الجوهرية للغرب ؛ تلك التي تميزه عن غيره من الحضارات الأخرى سبقت التحديث في الغرب ؛ إن تعبير"الغرب" أدى إلى ظهور فكرة الغربنة أو التمدن على النمط الغربي مع التحديث ؛ إن الحضارة الأوروبية ـ الأمريكية ـ هي مع ذلك يشار إليها عالمياً على أنها حضارة غربية .التحديث بإيجاز لايعني بالضرورة التمدن على النمط الغربي ؛ ولا كان بإمكان المجتمعات غير الغربية أن تتقدم وأن تحقق التقدم بدون هجر ثقافاتها الخاصة بها وأن تتبنى القيم والمؤسسات والممارسات الغربية كلية؛ الأخير يكون على الأغلب مستحيلاً .العالم آخذ في أن يصبح أكثر حداثة وأقل نزوعاً نحو الغرب" (119).

في الواقع إنّ تاريخ الغرب بدأ (وسينتهي) مع ظهور الحداثة التي وظّفت من أجل نشر هذا الخطاب الغربي الوحيد المتوفر في التاريخ .

---

119 ـ هنتنغتون ، صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص113، ص149 ، ص163، ص164.

وهي الحداثة التي مكّنت الثيموس الفوكوياميّ في البحث المقتدر عن الذات ذلك الروح الأرستقراطي المتعالي عن المعنى الحقيقي للديموقراطية والتي بموجبها انتصرت ايدولوجية الديموقراطية الليبرالية .والتي ـ كما يذكر فوكوياما ـ:

"وقد سمح التاريخ الطويل للممارسة الديموقراطيّة الليبراليّة بأنْ تتغلغل في النفوس فترتبط ارتباطاً وثيقاً بأقدم التقاليد القوميّة ؛ وارتباط الديموقراطيّة الليبراليّة بالقوميّة يقوّي من جاذبيتها الثيموسيّة وإغرائها للجماعات حديثة التحرر بتبنيها ؛ بأنْ تربطهم بالمؤسسات الديموقراطيّة برباط هو أوثق مما لو أنهم شاركوا فيها منذ البداية "(120) .يبدو واضحاً أن على الليبرالية أن تتجاوز مبادئها من أجل تحقيق النجاح ،ولذا فإن نجاح الديموقراطية الليبرالية واستقرارها في حاجة إلى درجة من التوافق بين الشعوب والدول.

بينما الديموقراطيّة الليبراليّة ذات الإيقاع الأمريكي ما فتئت تقوم على أهمية تدخل الدولة ،وهي أهمية ظهرت ضرورتها إثر أزمة النظام الرأسمالي سنة 1929م ؛ ولقد كان من نتائج هذا التدخل أن أخذت الدولة بالبلاد الرأسمالية على نفسها وضع مخططات اقتصادية وطنية ؛ وظهر من المستحيل القيام بتنبيج الاقتصاد الوطني ولو كان هذا التنبيج مرناً كما هو الحال بالعالم الرأسمالي ؛ ما لم توجد بيد الدولة وسائل كمية تعرفها على الواقع الاقتصادي للبلاد ؛ إذ لا يعقل مثلاً القيام بوضع تخطيط وطني في حالة عدم معرفة مستوى الدخل الوطني والاستهلاك الوطني والاستثمار الوطني مثلاً. إن النظرية الكنزية* اكتسبت شهرة كبرى بعد الحرب العالمية الثانية لأنها طابقت السياسة التي

---

120 ـ فوكوياما . فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص191 ،ص198.

* النظرية الكنزية نسبة إلى موسسها كينز، وتدعو هذه النظرية إلى ضرورة تدخل الدولة في الاقتصاد، على عكس ما كان سائداً للقضاء على الكساد الاقتصادي الذي أصاب الولايات المتحدة في فترة الثلاثينات خاصة بضرورة قيام الحكومة بالإنفاق عن العجز من أجل وضع المال في جيوب المستهلكين الذين ما أن يصبح لديهم المال حتى يتجهون لشراء ما يحتاجون له من أشياء.

يجب اتباعها بالبلاد الرأسمالية أيام الأزمات الاقتصادية ؛ وكان لذيوع صيتها أن أخذت كل الدول تطبقها وأخذ جلّ الاقتصاديين يعملون على إغنائها (121).' إنّ انهيار أكتوبر 1929م جاء بمفاجأة درامية ومثيرة ؛ ففي الرابع والعشرين منه انتقلت ملكية ما يزيد على اثني عشر مليوناً من الأسهم ؛ من يد إلى يد ؛ في إقبال محموم عل البيع ؛ وفي التاسع والعشرين منه جاءت الطامة ؛وخسرت الأسهم المتينة المكانة ـ ولم تحن نهاية الشهر حتى كانت خسارة حملة الأسهم المحسوبة قد تجاوزت خمسة عشر بليوناً من الدولارات .

بيد أن دوامة الكساد الاقتصادي لم تتوقف عند هذا الحد ؛ فإذا بدور الأعمال تغلق أبوابها ؛ والمصانع تتوقف عن العمل ؛ والمصارف تهبط إلى الحضيض ؛ وفقدت مئات الآلاف من العائلات بيوتها ؛ وهبط تحصيل الضرائب إلى الدرجة التي عجزت عندها المدن والمقاطعات عن دفع رواتب المدرسين ؛ وتوقفت أعمال الإنشاء والبناء تماماً وتقلصت التجارة الخارجية(122)' ؛حيث انخفض حجمها أكثر من مرتين ؛ أما تفوق الصادرات التجارية على الواردات في عام 1931م فقد كان أقل ما وصلت إليه خلال كل فترة ما بعد الحرب ؛ كما توقفت تصدير الرساميل من الولايات المتحدة منذ النصف الثاني من عام 1931م (123)' ؛"فكانت نسبة صادرات البلدان الرئيسية الرأسمالية من الإنتاج الإجمالي في تلك الفترة أقل ب 1,5٪ إلى مرتين تقريباً مما كانت عليه قبل أزمة 1929 ـ1933م وقد انخفضت في أمريكا بشكل

---

121 ـ وتعلو فتح الله ـ في فلسفة الاقتصاد ـ مرجع سابق ـ ص440 ـ س509.

122 ـ نيفتز، كوماجر ـ موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ مرجع سابق ـ ص478 ـ س480.

123 ـ سيدلنيكوف ـ س يو ـ الشركات المتعددة الجنسيات وتوتر التناقضات الرأسمالية ـ ت: محمود شقير ـ ط1 ـ بيروت ـ 1984م ـ ص43 ـ س44.

خاص من 0.5٪ إلى 3,4٪ ؛ لقدْ توقفَ تزايُد الاستثمارات الأجنبية المباشرة بشكل عام"(124). إن ذلك الكساد استمر قرابة عقد كامل ؛ إذ لم يسبقه مثيل ، وفي الفقر الشامل والمأساة التي صبها على المجتمع ؛ ويختلف عن نوبات الكساد السابقة إذ أنه كان نتاج الوفرة لا العوز (125). وأيضا راحتْ بلدان المركز الغربي نتيجة لتلك الأزمة تتخلى عن التبادل الحر ؛وتتراجع على المستوى الداخلي حتى عن ميزات التنافس على المستوى الاقتصادي ؛ ففي كل مكان راحت ترتفع حواجز سياسة الحماية الاقتصادية ؛ وراحت كل الدول تتنافس على اتباع سياسة التدخل الزائد في الشؤون الاقتصادية ؛ وسياسة التخطيط والتوجيه الصارمة وتنكروا بذلك للإيمان باليد الخفية وبالتنظيم المزعوم أنه طبيعي وعفوي(126).

ودائماً ينوه دعاة الرأسمالية بأنَّ الرأسمالية تمتلك القدرة على أن تتجاوز كل العقبات التي تقيمها قوانينها ؛ هذا منذ أن استطاعت البلدان التي تتبع النظام الرأسمالي بتجاوز ذلك الكساد المخيف والرفع من الاقتصاد الذي أصابه الوهن ؛واتخاذ طريق التكنولوجية الحديثة منذ السبعينيات(127).

كما أنها أي الديموقراطية لا تقوم على الدولة التي فرضت بعد 1918م وجودها على الصعيد الاقتصادي ، وأخذت تتدخل سعياً وراء الحفاظ على التوازن العام بعد أن أصبحت تكون عنصراً مهماً في الحياة الاقتصادية بسبب

---

124 ـ المرجع السابق ـ ص44.

125 ـ نيفيلز.كوباجو ـ موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ مرجع سابق ـ ص480.

126 ـ لاتوش.سرجي ـ تقرير العالم ـ مرجع سابق ـ ص29.

127 ـ لمزيد من المعلومات انظر توريو.ليستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص6 وما بعدها .

تزايد نفقاتها الحربية؛ والتي تزايد ضرورة تدخلها مع تلك الأزمة بعد أن فشلت الليبرالية المطلقة في الحفاظ على معطيات النمو (128).

ويشير ملتون فريدمان هنا إلى ضرورة نشر سلطة الحكومة على نطاق أوسع ؛فإن كان على الحكومة ممارسة السلطة فإن ممارستها في الإقليم أفضل منها في الولاية ؛وممارستها في الولاية خير منها في واشنطن ؛وتكون وظيفتها الرئيسية حماية حريتنا من الأعداء خارج حدودنا وحماية القانون والنظام وتنفيذ العقوبة الخاصة وتقوية الأسواق المتنافسة(129)؛ ولقد كانت هذه فرصة قيام الثورات في دول العالم الثالث من أجل الكفاح لتحرير أوطانها من المأزق الاقتصادي ذلك الذي وقعت فيه الرأسمالية في عهد الرئيس الأمريكي روزفلت ؛خاصة الثورات الاشتراكية كبديل للمنظومة الرأسمالية التي فقدت تلك الشرعية والحصانة التي أتت بها نهايات الحرب العالمية الثانية(130).

لقدْ رعتْ أمريكا مبكراً خطاب العنف هذا الذي شهدت أدواته تطوراً تقنياً إلى درجة لم يعد من الممكن معها القول بأن ثمة غاية سياسية تتناسب مع قدرتها السياسية أو تبرر استخدامها حالياً في الصراعات المسلحة ؛ كما نجد أن ثورة التكنولوجيا كثورة في صناعة الأدوات اللازمة للعنف كان لها على الدوام أهمية فائقة في المجال العسكري ؛ فالحال أن جوهر فعل العنف نفسه إنما تسيره مقولة الغاية والوسيلة التي كانت ميزتها الرئيسية أن طبقت على الشؤون السياسية ؛ إن الغاية محاطة بخطر أن تتجاوزها الوسيلة التي تبررها والتي لا

---

128 ـ راجع ؛فتح الله ـ في فلسفة الاقتصاد ـ مرجع سابق ـ ص72.

129 ـ فريدمان،ملتون ـ الرأسمالية والحرية ـ مرجع سابق ـ ص7،ص8.

130 ـ أمين،سمير ما بعد الرأسمالية ـ سلسلة كتاب المستقبل العربي العدد (9) ـ عام1 ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ 1988م ـ ص13.

يمكن الوصول إليها من دونها :وإن أولئك الذين بذلوا الجهود من أجل تطوير وسائل الدمار توصلوا في نهاية الأمر إلى تحقيق مستوى من التطور التقني بات معه من المؤكد أن غايتهم نفسها ، أي الحرب باتت على وشك أن تزول بفعل الوسائل المتوفرة نفسها(131)". وهذا ما لا يواريه فوكوياما نفسه في ذهابه "وما كان يمكن لحروب القرن العشرين الشاملة أن تحدث لولا التقدم المهم في الثورة الصناعية في إنتاج الحديد والصلب ومحرك الاحتراق الداخلي والطائرة :ومازالت البشرية منذ هيروشيما تعيش في ظل أفظع تقدم تكنولوجي حتى الآن:آلا وهو الأسلحة النووية"(132)". وكان فائض القوة الذي تراكم خلال العقود الماضية لدى أمريكا في السياسة والاقتصاد وتحديداً في القدرات العسكرية والتكنولوجية نتيجة لسعيها للسطو والاستيلاء عنوة واستخدام القوة التي اتصف بها العقل (الكاوبوي) الأمريكي في تجربته :وإسباغه السبغة الشرعية على أي حرب يقوم بها:بما تملكه من عقدة التفوق المطلق على الآخرين وحيازتها على مقدرات العالم." لذلك يجب أن تكون الولايات المتحدة مستعدة لنزاع يشمل الإرهاب والتخريب والتمرد وتهريب المخدرات التي تهددها ومواطنيها ومصالحها بطرق مختلفة "(133)." نجد أن أمريكا الوسطى كمنطقة شهدت هيمنة دولة عظمى لمدة عقود وهي تشهد أنواع القمع الوحشي :قد أفاقت هذه من سباتها في الثمانينيات ، وبنمو الحركات الشعبية أخذ النظام التقليدي يواجه تحدياً غير متوقع حيث تهيأ الجو لتغيير اجتماعي ذي معنى حقيقي :

---

131 ـ لمزيد من المعلومات انظر أرنست جنة ـ في العنف ـ مرجع سابق ـ ص3، ص6.

132 ـ فوكوياما ،فرنسيس نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص24.

133 ـ نعوم سكي ،نعوم ـ إعاقة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص45.

وأدى الإطاحة بدكتاتورية سوموزا برد فعل تشاؤمي في واشنطن بحيث تمثل هذا الرد العنيف بفتك تلك المنظمات الشعبية في حين تزايد أفراد المنظمات الغذائية في الوقت الذي تزايد فيه إرهاب الدولة ، فشهدت الأغلبية الحرمان والبؤس في حين قويت شوكة العساكر وذوي الامتيازات مدعين بذلك إقامة شكل من أشكال الديموقراطية : إضافة إلى عمليات القتل والتشويه والتعذيب والتشريد والتخريب التي تطول البيئة كما طالت الإنسان والجماعات ، مترافقاً بشعور من الفخر والارتياح من جانب من يملكون تلك القوة لفعل ذلك.

اكتشفت ثلاث وثلاثون جثة عليها آثار التعذيب وقد مزقها الرصاص في غواتيمالا :حيث بقيت تلك الجثث في طي النسيان كغيرها من عمليات القتل الأخرى :وحيث ازدادت سريعاً نسبة السكان الذين يعيشون في فقر مدقع في غواتيمالا بعد إقامة الديموقراطية في سنة 1985م من 45٪ في تلك السنة إلى 76٪ سنة 1988م هذا من غير تفشي الأمراض وسوء التغذية ، وعدم توفر أشكال الوقاية (134). لقد ورث أبناء هذا الجيل عن جيل الآباء تجربة التغلغل الكثيف للعنف الإجرامي في العمل السياسي ، بالإضافة لتعلمهم فيما يخص معسكرات الإبادة والاعتقال والمجازر الجماعية وأعمال التعذيب :وعن المسالخ الجماعية للمدنيين خلال الحروب تعلموا كل ذلك في مدارسهم الثانوية والكليات :فكان أول رد فعل أبداه جيلنا الراهن انتفاضتهم ضد كل شكل من أشكال العنف .وانضمامهم التلقائي تقريباً إلى نشاطات اللا عنف السياسية(135). لقد أدى الانفتاح الاقتصادي القائم على الحرية الفردية إلى

---

134 ـ لمزيد من المعلومات انظر المرجع السابق ـ ص 250:247.

135 ـ أرنفت .حنة ـ في العنف ـ مرجع سابق ـ ص15.

توفر مجال كبير لإعادة تجسيد الظواهر السلبية القديمة وفي مقدمتها الجريمة :وانتشرت بل وتولت أمريكا أمر نشرها عن طريق الإعلام إلى خارجها وأصبح مرتكبو الجرائم متعددة الجنسية يتشفعون من إلغاء القيود القانونية المفروضة على الاقتصاد :وأصبح ما هو في مصلحة التجارة الحرة هو في مصلحة مرتكبي الجرائم أيضاً(136). هكذا لا يوجد موطن يبرز فيه التدهور الواضح للعيان - كما يرى تشو مسكي - كما هو في الموطن الأصلي للثورة الرأسمالية المضادة : الولايات المتحدة الأمريكية : حيث اتخذت الجريمة هناك أبعاداً بحيث صارت وباء منتشراً(137) :وتظل مشكلة المشردين في الولايات المتحدة ليست مشكلة عدم كفاية مساكن فحسب ؛ بل هي تابعة من عدة مشاكل مترابطة كإدمان الكحول والمخدرات(138) التي حسب تقديرات مجموعة خبراء شكلتها الدول الاقتصادية السبع الكبرى* عام 1989م ارتفع حجم المبيعات في السوق العالمية للهيروين حتى عام 1990م إلى 20 ضعفاً في خلال العشرين سنة الماضية أما المتاجرة بالكوكايين فقد ارتفعت إلى خمسين ضعف ومن هو قادر على المتاجرة بالمخدرات يستطيع أن يتاجر بأي شئ آخر منافٍ للقوانين(139).

وبالرغم من التقدم التكنولوجي الذي وصلت إليه الدول الغربية المتبنية الليبرالية الديموقراطية واقتصادها القائم على الجدارة العالية والتكنولوجية

---

136 - بيتر، شومان - فخ العولمة - مرجع سابق - ص35.

137 - تشو مسكي، نعوم - إعاقة الديموقراطية - مرجع سابق - ص138، ص147.

138 - أنتوني، توفلر - تحول السلطة - مرجع سابق - ص341.

* مجموعة السبعة أو (37): وتضم الدول الصناعية الكبرى بقيادة الولايات المتحدة - وهو تجمع تنسيقي للسياسات الاقتصادية لهذه الدول يجتمع رؤساء حكومات الدول المشاركة سنوياً في قمة اقتصادية وهؤلاء هم بالتداول نساء، المانيا، فرنسا، اليابان، بريطانيا، أمريكا، وبرغم بالكبار السبعة والآن أصبحت روسيا تدعى لحضوره أي كعضو مراقب ويطلق عليه ١-٧ أو مجموعة الثمانية.

139 - بيتر، شومان - فخ العولمة - مرجع سابق - ص367، ص368، ص370.

المتقدمة يتسبب عن طريق إعادة الهيكلة والتخلص من التعقيد الروتيني وما يتبع ذلك من تقلص فرص العمل وتسريح الأيدي العاملة في تفاقم البطالة وفي خفض عدد المستهلكين في مجتمع الرفاهية ، وبالتالي لاحت في الأفق بوادر هزة اقتصادية واجتماعية(140). وقد شكلت التكنولوجية الجديدة تهديداً لأرزاق الناس ، إذ إن الحرمان الذي أصاب كثيراً من الناس أن أصبح مادة للعديد من القصص المثيرة فيما غدت أصحاب الصناعات بدرجة هائلة من الثروة أنتجت الكثير من الحرفيين العاطلين من العمل ومن ثم ساد الفقر (141)، وتبدت من ثم قتامة المستقبل الرأسمالي ، إذ إن رجال الأمس هم أنفسهم رجال اليوم ، ولكن بأقنعة جديدة ، وأخذت تسود أنحاء العالم مدن ذات تقنية عالية وعديمة الاهتمام بالمشاعر الإنسانية ، برغم صورة أرخبيل العالم الثري هذا ،إلا أن هذه الجزر ظلت أجساماً غريبة عما يحيط بها من مجتمع وتنطبق هذه الحقيقة على الدول التي مازالت في مرحلة النمو ويسكنها مليارات من البشر لا يعدون رمقهم إلا بالكاد (142). كاستجابة للضغوط العمالية والاشتراكية أصبح إيمانهم بالقدرة للتكنولوجيا هو أفضل شكل للإيديولوجية البرجوازية في الرأسمالية المعاصرة ، فالفرد المغامر العنيد الذي كان يقود الرأسمالية السابقة يخلي مكانه في الرأسمالية المعاصرة لفريق الخبراء ومجالس الإدارة (143). إلا أن هذا أدى إلى تلك النزعة التكنوقراطية التي هيمنت على الحياة ، وأدت إلى ظواهر سلبية

---

140 ـ المرجع السابق ـ ص60،ص192.

141 ـ بنيت.سي.أوين ـ ارتقاء التقدم ـ مرجع سابق ـ ص64.

142 ـ بيتر.شومان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص60،192.

143 ـ ثورو.ليستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص158،ص159.

لرأسمالية اليوم بحيث تقلصت فرص العمل وأنه في القرن القادم سيكون فقط 20٪ من السكان الذين يمكنهم العمل والحصول على الدخل والعيش في رغد وسلام ؛ أما النسبة الباقية 80٪ فتمثل السكان الفائضين عن الحاجة الذين لن يمكنهم العيش إلا من خلال الإحسان والتبرعات وأعمال الخير(144) . فأغلب المصانع المتوضعة خارج حدود الولايات المتحدة كالشركات الأم ؛ قلصت إنتاجها وتكبدت خسائر فادحة "فالركود الطويل" ومن ثم التطوير السريع لنزعة الاكتفاء الذاتي في الميدان الاقتصادي الخارجي للاقتصاد الرأسمالي العالمي حددت الاتجاهات الرئيسية وطبيعة العمل الدولي للشركات الأمريكية في الثلاثينيات ؛وقد شرعت الحكومات البرجوازية لبعض البلدان استخدام سياسة فعالة لدعم الإنتاج الوطني حيث وضعت البضائع القادمة من الخارج وذات المنشأ الأجنبي في حالة أكثر خسارة(145).إن كل ذلك التخطيط والتقدم التكنولوجي قد أضر بالبيئة وكما يوضح لنا تشو مكي بخصوص أمريكا الوسطى " أما البيئة فمصيرها مصير الناس الذين يعيشون فيها ؛ فإزالة الغابات وتآكل التربة وآثار المبيدات السامة وغيرها من أشكال التدمير البيئي المتزايد خلال عقد الثمانينات الظافر ترجع إلى نموذج التنمية المفروض على المنطقة ؛واسباغ الطابع العسكري الأمريكي عليها في السنين الأخيرة أدى الاستغلال الكثيف للموارد بأعمال الزراعة والنتاج الموجه للتصدير إلى إثراء الأغنياء ورعاياهم الأجانب كما أدى إلى نمو إحصائي مع آثار مدمرة على الأرض والناس(146). فكما يقول فوكوياما "فإن للنمو الاقتصادي الهائل الذي

---

144 ـ بيتر دروكر ـ نهاية الدولة ـ مرجع سابق ـ ص60.

145 ـ ميلفيل كوف ،س.جو ـ الشركات المتعددة الجنسيات ـ مرجع سابق ـ ص44.

146 ـ تشو مكي ،نعوم إعادة الديموقراطية ـ مرجع سابق ص252.

حققه العلم الحديث جانباً مظلماً : حيث إنه أدى إلى أضرار خطيرة بالبيئة في كثير من بقاع كوكبنا : مما أثار احتمال وقوع كارثة بيئية عالمية في نهاية المطاف .في يومنا هذا نجد أن أوضح مصدر لمعارضة الحضارة التكنولوجية وأكثرها منطقية هو الحركة الداعية للحفاظ على البيئة"(147).في المستقبل ستعتمد الميزة التنافسية اللازمة للنجاح بدرجة أكبر على النظريات التكنولوجية الحديثة أو بدرجة أقل على المنتجات التكنولوجية :وستعتمد الصناعات الجديدة في المستقبل مثل التقنية الحيوية على القوة العقلية (148). إن العامل التكنولوجي لعب دوراً هاماً بالنسبة للشركات الأمريكية في التغلغل في الخارج : ومع انتشار الثورة التقنية العلمية في النصف الثاني من القرن العشرين تضاعف دور القيادة التكنولوجية كثيراً فتسريع قرارات التقدم التقني العلمي :وتأسيس فروع إنتاجية جديدة وإعادة بناء القديمة، والأسواق وضع مواقع الشركات في الاقتصاد الرأسمالي العالمي في اعتماد مباشر على المقدرة التكنيكية العلمية : وعلى المقدرة في إنشاء واستخدام التكنولوجيا المتطورة في الإنتاج (149).

إنّ تاريخ الغرب: منذ زمن الكشوفات الجغرافية حينما كانت الحداثة طفلاً يحبو إلى التقدم التكنولوجي الذي أضاف بهدي الآلة رعباً جديداً إلى خطاب العنف : الغربي يؤيد كما نرى ذلك الفصل ما بين الليبرالية والديموقراطية : فالليبرالية التي أعطت الفرد الحق في مغامراتها الاقتصادية والتجارية لا يتفق مضمونها مع مفهوم الديموقراطية .أما الباحثون عن الذهب والفضة فهم غير

---

147 ـ فوكوياما.فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص24.ص86.

148 ـ توروالبستر ـ التناخمون ـ مرجع سابق ـ ص150.

149 ـ ميدفيديكوف.س ، يور الشركات المتعددة الجنسيات ـ مرجع سابق ـ ص167.

جديرين بتأسيس الديموقراطية الرامية إلى العدالة والمساواة وصيانة حق الغير من حيث الرأي ومن حيث الوجود.

ـ *الفصل* الثالث : /خطاب العنف من التفريغ الأيديولوجي إلى التفريغ الاقتصادي :ـ

إنّ نهاية التاريخ عند فوكوياما وصدام الحضارات عند هنتنغتون يعتبران إفرازات لاتجاهات لا تقل عنها أهمية فيما يتعلق بالتبشير بالأطروحات الأمريكيّة في الديموقراطيّة الليبراليّة .

تلك الاتجاهات التي جاءتْ كإفراز طبيعي لمؤتمر الحرية * ،حينما اجتمع لفيف علماء الاجتماع البرجوازيين رافعين شعار التخلُّص من الانتماءات الأيديولوجيّة، و قد خبا واختفى الجدل الأيديولوجي في معظم المجتمعات الغربية وليس هناك من يدعي وجود بديل للأيدولوجيا الرأسمالية المتطورة : فيصبح نتيجة لذلك أن تكون"كل الأيديولوجيات دون استثناء حمراء لا من دم الذين خاطروا وضحوا بحياتهم من أجلها وحسب،بل أيضاً من الدم الأغزر للضحايا الذين قتلوا قرباناً لانتصارهم"(150).

لقد كان توجههم العام ليبرالياً معادياً للشيوعية ،و كان الجو العام يشبه حفل ما بعد الانتصار. شعار أولئك الذين شاركوا في المؤتمر كان القضاء على القلق الأيديولوجي باسم الثورة التكنولوجية التي نصبت من النجاح الاقتصادي صنماً للحداثة (151). فنجد مثلاً ريمون آرون"يرى أن "التقدم التكنولوجي

---

* وهذا المؤتمر الذي عقد في ميلانو بجنوب إيطاليا في سبتمبر/1955/ وأطلق عليه اسم مؤتمر الحرية للثقافة ،حضره لفيف من علماء الاجتماع الغربيين مثل:دانييل بل ،وريمون آرون وغيرهم الذين تداولوا فيه بضرورة انتهاء الحوار الأيديولوجي لتحل التكنولوجيا محله ولهذا عرف بـ(حركة التاريخ الأيديولوجي).

150 ـ (وسيان مونيه،بولية ـ التسلل والأيديولوجية)،كتاب طائفة من الباحثين ـ الأيديولوجيات في العالم الحاضر ـ سلاح الذين يرعبون ـ منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ دمشق ـ 1983م ـ ص25.

151 ـ لمزيد من المعلومات انظر جاكوبي،راسل ـ نهاية اليوتوبيا ـ ت: فاروق عبدالقادر ـ عالم المعرفة ـ عدد (269) ـ الكويت ـ 2001م ـ ص11،ص12،ص13.

* ريمون آرون: عالم اجتماع معاصر ،واحد أقطاب مؤتمر ميلانو للحرية الثقافية ونظهر مقالاته الدورية في عدد كبير من صحف أوروبا الكثيرة في الوقت الحاضر ،وقد شغل منصب بروفسور في جامعة السوربون قبل استيلاء فرنسا في الحرب العالمية الثانية

سيتطور إلى درجة أنه يمكن إعطاء الفرد دون الأخذ من الفرد الآخر: كلا ليس الجميع على هذه الشاكلة: مع التقدم زادت حاجات الفرد ،ومع استمراره: لابد أن تتزايد أيضاً .حتى ولو وصلنا إلى نقطة الإشباع فإن الرغبات تظل تتزايد بحيث تتعذر المساواة فيما بين الناس بخصوصها"(152) :وقد أيّد فوكوياما وريمون آرون: في كون أنّ التكنوقراطيين سيحفرون قبر الشيوعية: وأنه في النهاية ثبت صحة هذه التنبؤات(153) ما يناقض تنبوء هنتنغتون بأن:

"الأيديولوجيات السياسية الضخمة للقرن العشرين تشمل الليبرالية :الاشتراكية: الفوضوية: النقابية :الماركسية :الشيوعية :الديموقراطية الاجتماعية :المحافظة: القومية :الفاشية :والديموقراطية المسيحية :جميعها تتقاسم شيئاً واحداً مشتركاً: إنها منتجات الحضارة الغربية :لا توجد حضارة أخرى أنتجت أيديولوجية سياسية ذات أهمية"(154). لنجد أن الأيدولوجيا كانت تشكل خطاباً ثقافياً هاماً لهذا المؤتمر: إذ أنهم لا يستطيعون أن ينفوا دورها في بناء المجتمع في مختلف مجالاته تماشياً مع الرأي القائل: "من الغباء الاعتقاد بأن الانعكاسات الأيديولوجية لم تعد تلعب أي دور بالفعل في التعليل الاقتصادي :وصنع السياسة في وقتنا الراهن :إنها تلعب بالفعل دوراً :وستستمر في لعبه في المستقبل أيضاً :ولا يجب اعتبار هذه الحقيقة شيئاً محزناً لأن الجدل الأيديولوجي على ما يبدو :يثري المجتمعات الديموقراطية :ويثير الشغف

والتقى في الميدان الصحي بعد ذلك التاريخ وهو صاحب كثير من الخبرات العميقة في عالم السياسة والاقتصاد حتى أنه يعتبر خبير معتمد على الأحداث الأوروبية المعاصرة من أهم أعماله: فيون السكتين التي أصدرته عقب هذا المؤتمر.

152 ـ لمزيد من المعلومات أنظر آرون.ريمون ـ أفيون المثقفين ـ مرجع سابق ـ ص167.

153 ـ لمزيد من المعلومات أنظر فوكوياما.فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص96.

154 ـ هنتنغتون .صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص123.

والحماس ؛ويحرك الإنجاز الفكري"(155). إن إعلان نهاية الأيديولوجيا جزء من مقال هو ذاته أيديولوجي ؛ ذلك أنه نادى بالانتصار النهائي للأيديولوجيا ؛تعتقد أو تريد الحملة على الاعتقاد بأن الرقي العلمي والتقني يتحقق بالرخاء وبإيجاز ساعات العمل الإنساني ؛وبإشراك جميع الناس في ثقافة واحدة سيحل جميع المشاكل الاجتماعية ويتعقب جميع النزعات الممكنة بإرضائه جميع الحاجات(156). فكما يقول ماركوزا:

"إذا كان الواقع قد امتص الأيديولوجيا فهذا لا يعني أنه لم تعد هناك أيديولوجية بل يمكننا القول على العكس إن الثقافة الصناعية المتقدمة أكثر أيديولوجية من الثقافة التي سبقتها ؛لأن الأيديولوجية تحتل مكانها اليوم في صيرورة الإنتاج بالذات ، ومثل هذا القول يسفر النقاب على نحو مثير للمشاعر عن المظاهر السياسية للعقلانية التكنولوجية الراهنة"(157).

وهكذا يوظف الغرب التقدم التكنولوجي في خدمة خطابه السيادي؛ وقد حرص دائماً أن لا يتم هذا التقدم إلا تحت رعايته وإمرته وتوجيهه ؛فما أن يتم إنجاز أي تقدم في العالم إلا وتلاحقه سياط الغرب من أجل عرقلته إن لم يتوافق مع أهدافه ؛إذ إن هذا التقدم يعني كسب الدول الغربية لحق الاختلاف وفوزها في حلبة السباق الواسع؛ ولهذا جند لهذه المهمة مؤسسات عالمية كانت إفرازاً لهذا التقدم من أجل ربط العالم بخطته الاقتصادية .فالغرب يهيمن على المؤسسات الاقتصادية ؛تلك التي تعكس مصالح الغرب وتطرح زيفاً أمام العالم

---

155 ـ كارسون، روبرت ـ ماذا يعرف الاقتصاديون عن التسعينات وما بعدها ـ مرجع سابق ـ ص324.

156 ـ ولوسيان بوليه ،بوليه ـ المستقبل والأيديولوجية) ـ مرجع سابق ـ ص26.

157 ـ ماركوز، هربرت ـ الإنسان ذو البعد الواحد ـ مرجع سابق ـ ص47.

على أنها انعكاس لرغبة المجتمع الدولي ؛وبات اصطلاح المجتمع الدولي هو الكلمة الجامعة المخففة التي تحل محل اصطلاح العالم الحر لتضفي شرعية كونية على تصرفات تعكس مصالح الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى .ويستغل الغرب بفعل المؤسسات الدولية والقوة العسكرية والموارد الاقتصادية لإدارة العالم بطرق من شأنها الحفاظ على الهيمنة الغربية وحماية المصالح الغربية ؛وترويج القيم السياسية والاقتصادية للغرب ـ ليضيف هنتنغتون بعداً ثقافياً لها. يقول هنتنغتون :"إن نهاية الحرب الباردة قد أثارت جهوداً لخلق منظمات اقتصادية إقليمية جديدة أو إحياء ما كان منها موجوداً ؛نجاح هذه الجهود كان يعتمد بشكل كبير على التجانس الثقافي للدول المعنية"(158).

إنها المؤسسات التي تحافظ على الأهداف الإستراتيجية لأمريكا ـ فإن مهمتها كما يذكر سمير أمين:"هي مجرد حفظ الأمن من أجل ضمان استمرار التموين المعدني وذلك عن طريق ضمان استمرار نظم حكم الكولونيالية الجديدة وتدخل قوى التدخل العسكري إن لزم الأمر ذلك "(159).

و يتتابع خطاب العنف الذي يأخذ هذه المرة بعداً مؤسساتياً اتخذ من الاقتصاد مسرحاً له ؛وبدلاً أن تنتج المؤسسات التجارية عنفاً خاصاً بها عمدت في الواقع إلى الاستفادة من الخدمات التي توفرها الحكومة في هذا الشأن . إن عنف الدولة يحل الآن في كل الأمم الصناعية محل العنف الفردي الخاص ؛ وإن الدولة بأخذها تقنيات العنف في قبضتها المدرعة وبمحاولتها التخلص من كل أشكال العنف أو التحكم فيها ؛ تقلل الإنتاج المستقل للعنف من قبل

158 ـ هنتنغتون ،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص251.

159 ـ أمين ،سمير ـ ما بعد الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص45.

الشركات وغيرها من المؤسسات :والسبب الأهم وراء لجوء الشركات بل والحكومات إلى العنف العلني بدرجة أقل مما كان في العصور السابقة للعصر الصناعي هو أنها عثرت على أداة أفضل للتحكم في الناس آلا وهي المال (160). "وحدها تلك المؤسسات الاقتصادية الضخمة التي أعطت زخماً قوياً لأطروحات فوكوياما وهنتنغتون ـ فكما يقول هنتنغتون ـ :" انهيار الشيوعية في الاتحاد السوفيتي :وتحويرها القوي في الصين : وإخفاق الاقتصاديات الاشتراكية في تحقيق تطورات ثابتة قد خلقت الآن فراغاً أيديولوجيا : الحكومات الغربية والجماعات والمؤسسات الدولية الغربية ، مثل صندوق النقد الدولي والمصرفي الدولي" حاولت سد هذا الفراغ من خلال عقيدة الأرثوذكسية الجديدة والسياسات الديموقراطية"(161)."

وهي في إطارها العام حبائل الأطروحة الرأسمالية وتطويرٌ لمشروع ألفرد مارشال ومنها معاهدة الإنكتاد "ومعاهدة الجات ـ برايتن وودز"".

"التي أدت إلى تدفق رأس المال الاحتكاري المنتصر في العالم ممثلاً بشركات العابرة للقارات والجنسيات"" بحيث لا يعلو صوت على

" (160) ـ ألفن توفلر ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص61.

" صندوق النقد الدولي:(IMF)
International Monterey Fund مصمم لأجل تزويد الدول الصناعية المتنية برصيد موقت لتسديد ديونها في صورة تسهيلات سقرره في والشغل وتسيطر عليه الولايات المتحدة وله مشروعات عديدة في العالم ويمثل أحد أهم قوتين مصرفيتين عالميا.

161 ـ هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص198،ص199.

" (الإنكتاد) معاهدة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية تشكل في 1964م بعد حملة شنتها مجموعة دول عدم الانحياز بدعت للمؤتمر التنميةانعقد بالقاهرة في صيف 1962م انتهت بها إلى وثيقة سميت إعلان القاهرة.

"" الجات جراتن وودز ـ (GATT)
General Agreement For Tariff And Trade
المنظمة العالمية للتجارة وهي منظمة أقيمت بين الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية عام 1948،حيث يختص بند الاتفاقية بإدامه نظام موحد للتجارة الدولية حيث حصل الاتفاق بموجب هذه الاتفاقية بشأن تخفيض مستمر لتعريفات الجمركية في خلال السنوات القادمة للاتفاقية.وهناك المنظمة العالمية للتجارة وهي منظمة أنشأت عام 1995م على أثر جولة أورجواي من جولات اتفاقية التجارة سابقا التي قامت في الأربعينات وتتخصص في ميدان التجارة وأشاعت مبدأ الحرية التجارية بين أعضائها ويشترط في الانضمام إليها العمل بإجراءات رفع الحواجز والتنمية وتسهيل التبادل التجاري وينصوي في لوائها أكثر من 140 دولة ويعد أحد أهم معالم نظام الدولة الحديث.

صوتيا"(162). حيث أن كل شركة كبيرة لديها اليوم عدد من المستعمرات مستخفية في داخلها ؛يتصرف قاطنوها مثل السكان المستعمرين في أي مكان فتراهم مطيعين بل خانعين في وجود الصفوة الحاكمة أو مزدرين أو حانقين في غيابها(163). كما أن نضال الشعوب المظلومة أساسي سواء التي ضحاياها في أمريكا اللاتينية أو آسيا أو أفريقيا كذلك الشعب الأمريكي نفسه الذي يعد ضحية لذلك الخطاب والإمبريالية التي تمارسها الولايات المتحدة التي عن طريق الشركات المتعددة الجنسية كما يرى فوكوياما إنها تجبر دول العالم الثالث على انتهاج سبيل ما يسمى بالتنمية غير التوازنة ؛ أي تصدير المواد الخام والسلع الأخرى المماثلة التي تضم عنصر تجهيز ضئيل(164).

كما صاغت أمريكا والدول الغربية الاتفاقيات من أجل أن توظف نصوصها حتى تتمكن من إخضاع الاقتصاد العالمي تحت سيطرتها مدعية أنها تنادي بالتجارة الحرة ؛وهذا أمر يثبت التاريخ أنه ليس صحيحاً فقد أقدمت إدارتان أمريكيتان "تؤيدان مبدأ التجارة الحرة على إكراه حلفائها على تبني قيود تصدير تطوعية وخرقتا الاتفاقية العامة للتعرفة الجمركية والتجارة الحرة

*** الشركات المتعددة الجنسيات : وتسمى أيضا بالشركات العابرة للقارات أو الشركة العالمية والشركة الدولية أو المشروع الدولي وهي التي تعمل على أساس يتجاوز حدود القطر الواحد جميع الأمور التي تهم الاقتصاد الدولي والأوضاع المالية للاقطار المختلفة وهي تقوم بذلك على نحو سريع وفعال وهي مؤسسة لها مركز في بلد معين وعدة شركات فرعية موجودة في مختلف البلدان تعمل كلها في إطار استراتيجية عامة فهي تقوم باستثمارات داخل البلد وخارجها وتغذي مواردها من تعويلات تأتيها من مختلف البلدان وهكذا تفقد الوحدة الإنتاجية ارتباطاتها القومية الأصلية وتصبح ذات طبيعة عالمية لا وطن لها أي متعددة الجنسيات وهي قاعدتها في الولايات المتحدة تستحوذ على أكبر حصة من الاستثمار الأجنبي .

162 ـ توربو. ليستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص6.

163 ـ فوكوياما. فرانسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص100.

164 ـ توفلر. ألفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص244.

GATT من خلال فرضها لتعريفات جمركية مضادة لإغراق السوق بالسلع أذعنتا في اجتماعات الكونغرس لقوى الضغط"(165).

إنّ الجات في الحقيقة هي إطار يسهّل اندماج أسواق الدول النامية في الاقتصاد العالمي ويكرس لصالح الدول المتقدمة ؛وبالرغم من إنها دعوة لتحرير التجارة فإن هذه الدعوة لم تأت من اعتبارات ؛أو قناعات مذهبية ؛وإنما تأتي استجابة لاعتبارات مصلحية .أما نشأتها لم تكن إلا تعبيراً عن مصالح الدول الكبرى ؛وتحقيقاً لهيمنتها على الاقتصاد العالمي .إذ اهتمت بتحرير تجارة السلع الصناعية التي تنتجها وتتداولها ؛وتجاهلت المصالح التجارية للدول المتخلفة .فهي ثمرة تخطيط وتدبير الدول الصناعية الكبرى ومحصلة علاقات وقوى دولية ؛فهي بقدر ما تعبر عن غياب دور الدول المتخلفة في صياغتها ؛تعبر عن هيمنة الدول الصناعية الكبرى على الاقتصاد العالمي وإصدار تلك الدول على حماية أسواقها ومنتجاتها من المنافسة ؛ويتضح ذلك بجلاء من تواضع نسبة التجارة الدولية في السلع التي تم في إطار الجات عند نشأتها الأولى إذ بلغت نسبتها نحو 20٪ من إجمالي التجارة الدولية في السلع(166).

لقد كان نظام الجات ـ برايتن وودز ـ التجاري نظام تسوده أمريكا ويدور حولها لكن هذا النظام بلغ نهايته الطبيعية (167).فرجال العلم في الدول الصناعية الغربية هم الذين خلقوا ابتداء من تحريرهم المتاجرة بالعملات الأجنبية وعبر السوق الأوروبية المشتركة ؛وانتهاء بالتوسع المستمر لاتفاقية

---

165 ـ بابيك ،سي.أوين ـ ارتقاء التقدم ـ مرجع سابق ـ ص118.

166 ـ لمزيد من المعلومات انظر ابراهيم،محمد ـ الجات:الآثار الاقتصادية لاتفاقية الجات ـ الدار الجامعية ـ 2002.2003م ـ ص5.ص7.ص11.

167 ـ ثورو،ليستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص174.

التجـارة العالميـة المسـماة (الجـات) بانتظـام الحالـة الـتي يعجـزون الآن عـن معالجتها(168).

إنّ الجات التي كانت ترعى النظام الدولي والتجارة الدولية كانت تتطلع إلى ترأس مرتبة رجل القانون للنظام التجاري الدولي ؛ فمن الطبيعي أن يحدث ردة فعل من الطرف الأمريكي وهو الرفض لهذه المنظمة التجارية الدوليـة لأنهـا لا تريد أن تكون تابعاً لمنظمة أو طرف معين ،وإنمـا تريـد أن تحـرز هـي مكـان القوة وإصدار القرار،مع كل هذا فإنها تفتقد القوة التي كانـت تمتلكهـا ويـتقلص دورها لأنها لم تعد في وضـع يسمح لها بأن تمارس سطوتها كما في السـابق .

حيـث كانـت القواعـد المطبقـة حاليـاً في اللعبـة الاقتصـادية الدوليـة - الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة ونظام برايتن وودز قد وضعت بعـد الحـرب العالمية الثانية ؛ وقد صممت على قواعد أساسية لمساعدة أغلبيـة الـدول العالميـة الصناعية لتعيد بناء نفسها بعد تأثير الدمار عليها نتيجة للحرب العالمية الثانية ولكي تلحق بالولايات المتحدة .ولقد نجحـت هـذه القواعـد إلا أن هـذا النجـاح الكبير غير من طبيعة النظام ،فإن القواعد والإجراءات والمؤسسات الـتي صـممت لعالم أحادي القطبية لا تصلح للعمل في عـالم متعـدد الأقطـاب ؛ وبالتـالي فـإن النظام قد تغير ؛ فالنظام الذي حكـم الاقتصـاد العـالمي في النصـف الأخـير مـن القرن العشرين ليس هو نفسه الذي يحكم الاقتصاد العالمي في النصـف الأول مـن القرن الواحد والعشرين ؛ بل بضرورة الوضع سـينشأ نظـام يتماشـى مـع طبيعـة قيام التكـتلات التجاريـة ؛وسيسـجل التـاريخ أن نظـام الجـات - بـرايتن وودز التجاري كان أحد النجاحات العظمى التي أحرزها العالم ،فنلاحظ في السـنوات

168 - بيتر.نولان - فخ العولمة - مرجع سابق - ص33.

الأربعين التي أعقبت تبني هذا النظام أن الاقتصاد العالمي قد حقق نمواً يفوق ما حققته طوال التاريخ البشري بكامله(169). حيث إن منظمة التجارة العالمية ستتولى توقيع العقوبات على من لا يذعن لسياسة حرية التجارة ؛ففي كل هذه الأمور لم تكن هناك حتميات لا يمكن تجنبها ؛ بل إرادات سياسية واعية بما تفعل وعبرت عن مصلحة الشركات دولية النشاط(170)؛ وهل هناك حتميات أكثر مما يطلبه فوكوياما في قوله:" لا تتطلب الجات بطبيعة الحال من الدول الأعضاء فيها أن تكون ديموقراطية ؛ غير أن لديها معياراً صارماً بصدد ليبرالية سياساتها الاقتصادية"(171) .كما أنها من ناحية تعني الرجوع التقهقر إلى تلك التحالفات القديمة ما بين طبقة كبار الملاك العقاريين المحليين ورأس المال الصناعي كما حدث مع الطبقة المحلية الحاكمة في أمريكا اللاتينية في أوائل القرن التاسع عشر عندما هيمن رأس المال الصناعي (البريطاني ثم الأمريكي الشمالي) وقد أدى إلى مرحلة جديدة من التنمية ؛فالتصنيع الذي تم في هذه الظروف لم يؤد إلى نتائج مماثلة لما هو عليه في الغرب ؛ تم هذا التصنيع على أسس حكم طبقي ورجعي تفرض عليه تحالفات طبقية واسعة ومن جهة لم تتكون نتيجة حداثة التصنيع طبقة عاملة مهمة من حيث العدد وقوية من حيث التنظيم(172).

---

169 ـ لوروا لبستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص15، ص52.ولمزيد من المعلومات أنظر ص221.

170 ـ بيتر.دومان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص10.

171 ـ فوكوياما.فرانسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص344.

172 لمزيد من المعلومات أنظر أمين.سمير ـ ما بعد الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص39.

كما تواكب تطور الاقتصاد ذاك الموغل في الرمزية تحركات وهجرات سكانية وستكون سياسات الهجرة المثيرة للجدل العنيف في كل وقت - محلاً للاقتتال في خلفية تتسم بالقومية والعرقية الرجعية ، ولن يحدث ذلك في أماكن نائية بل أيضاً في نيويورك واليابان ...(173).

فإنّ أهمية هذه الاتفاقية جاءت من ضرورة خلق عملية النمو الاقتصادي خارج الولايات المتحدة لأنها كانت بحاجة لشركاء أغنياء يكون بإمكانهم الإسهام بحصصهم في مواجهة الخطر الأيديولوجي واحتواء الشيوعية وقد أصبح هذا الهدف مهماً للنهوض بمستوى الحياة داخلها فتقرر إنشاء نظام الجات - برايتن وودز.وكانت هذه الاتفاقية بمثابة موقف دفاعي لاقتصاد الرأسمالية لتكون موحدة الجانب لكي تكافح عقلية عالمية واحدة مقابلها إلى جانب خلق تحالفات عسكرية لها أبعاد عالمية(174) :وقد وُضع نظام الجات - برايتن وودز لمنع تكرار أحداث تزايد ضغوط الركود: وتساوي تدني الواردات :مع تدني الصادرات ،إلا أن هذا النظام - كما يذكر ثورو - انتهى نهاية طبيعية بعد قضاء فترة نجاح وتقدم :وظهرت الحاجة لظهور نظام جديد قائم على حقائق عالم اقتصادي ثلاثي الأطراف :وإذا لم تتم إزالة الضغوط بوسائل منطقية (مؤتمر برايتن وودز جديد) فإنها ستعالج بوسائل أخرى ، ومادام متعذراً عقد مؤتمر برايتن وودز جديد بدون وجود قوة مهيمنة لكي تفرض الاتفاقيات ستصبح المفاوضات الأوروبية في بر وكسل مؤتمراً لبرايتن وودز جديد ،وفي أثناء الانتقال من نظام الجات - برايتن وودز هذا إلى نظام تحكمه تكتلات تجارية سيتم

---

173 - توفلر،ألفن - تحول السلطة - مرجع سابق - ص324.

174 - ثورو،لستر - مستقبل الرأسمالية - مرجع سابق - ص137،ص138.

الموقف بقدر كبير من الغموض ؛ وفي حين يبدو واضحاً أن النظام القديم للجات لم يعد موجوداً فإن المتغيرات الدقيقة في نظام جديد يجمع بين أشباه الكتل التجارية والتجارة المسيرة لن تكون واضحة المعالم(175).

كما أن منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OCED بدورها تتنبأ بأن إبرام اتفاقية جديدة للجات من شأنها أن تضيف 195 بليون دولار للدخل القومي ؛وهو مبلغ زهيد للغاية حقاً إذا ما قورن باقتصاد عالمي يقاس بعشرات التيريليونات من الدولارات وهنا قد جف هذا المصدر من مصادر التقدم .لقد عاشت الدول الأعضاء في منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية بما في ذلك اليابان تجربة انخفاض عوائد الإنتاج في الثمانينيات مقارنة مع عقد السبعينيات(176).

إن نظام التجارة القائم الجات ـ برايتن وودز ـ كان قد صُمم لعالم أحادي القطبية ؛ والذي وجد في أعقاب الحرب العالمية الثانية ؛ وليس لعالم اليوم ذي الأقطاب المتعددة ؛ لذلك يتوجب إعادة النظر فيه حتى يلائم حقائق نظام تعدد الأقطاب الجديدة ؛ بما فيها التكتلات التجارية الإقليمية .فجوهر نظام الجات هو ما يعرف بالبلد الأكثر حظوة ؛يعني هذا أن كل دولة ستمنح جميع البلدان مهما كانت حظوة في التعامل على غرار ما تمنحه إلى شريكها التجاري المفضل ـ البلد الأكثر تفضيلاً وهذا مالا يمكن أن يفعله أي أحد ؛فألمانيا لا تمنح الولايات المتحدة التعامل الذي تمنحه لفرنسا ؛ ففرنسا في السوق الأوروبي المشترك بينما

---

175 ـ ثورو،لستر ـ المتنافسون ـ مرجع سابق ـ ص52،ص60،ولمزيد من المعلومات انظر ص70،ص71،ص79.

Organization Of Cooperation Economic And Development(OCED) منظمة انشئت بين الدول الصناعية الغربية كجزء من التكاتف الحرب الباردة وتضم جميع دول حلف الاطلسي الأوروبية بالإضافة الى الولايات المتحدة ، وتعد أكثر وأقوى تجمع اقتصادي.

176 ـ بايبت ـ سي ،أوين ـ ارتقاء التقدم ـ مرجع سابق ـ ص29،ص120.

الولايات المتحدة ليست فيه : والولايات المتحدة لا تعطي البرازيل التعامل الذي تمنحه للمكسيك لأن المكسيك في النافتا" بينما البرازيل لا(177). فكما يذكر هنتنغتون أن إنشاء منظمة النافتا أتى" على نحو مماثل مصحوباً بزيادة هامة في التجارة المكسيكية - الأمريكية :توسع التجارة يتبع التكامل الاقتصادي؛وخلال الثمانينيات ومطلع التسعينيات أصبحت التجارة العالمية أكثر أهمية بشكل متزايد بالقياس الى التجارة فيما بين الأقاليم "(178).

لقد شكلت اتفاقية النافتاNAFTA إحدى المؤسسات التي من خلالها تريد أمريكا أن تهيمن اقتصادياً لتوسع سيطرتها : فنجد على سبيل المثال أن في عام 1994قامت المكسيك بجهد هائل من أجل تحقيق توازن الميزانية ؛ وشجعت القطاع الخاص على القطاع العام ؛ بأن حولت أكثر من ألف شركة للقطاع الخاص ؛و قللت من تأثير القوانين الحكومية ؛وانضمت إلى النافتا .وبالتالي بدأ رأس المال الخاص بالتدفق ؛ إلا أننا نجد بعد هذا بستة شهور أي في أبريل 1995كيف شهدت المكسيك انهياراً مرعباً ؛ظهرت البطالة بفقدان نصف مليون عامل مكسيكي عملهم ؛ويتوقعون حدوث ذلك لنصف مليون آخرين(179). كما أن آلافاً من الفلاحين الذين عادوا من المكسيك على أثر الوعود بملكية الأرض وطمأنينة الأمن أخذوا يخططون للنزوح إلى معسكرات اللاجئين في المكسيك نتيجة العنف وإخفاق الحكومة في الوفاء بوعودها

---

* النافتا(NAFTA): North Amerka Free Trade Area منطقة التجارة الحرة لدول شمال امريكا و هي تجمع اقتصادي يضم دول الأمريكتين تقريبا وأنشأ لمواجه الاتحاد الأوروبي .

177 - لوروبستر - مستقبل الرأسمالية - مرجع سابق - ص152،ص163،ص174.

178 - هنتنغتون ،صموئيل - صدام الحضارات - مرجع سابق - ص253.

179 - لمزيد من المعلومات انظر لوروبستر - مستقبل الرأسمالية - مرجع سابق - ص14،ص15.

:فالمستبدفون هم الفلاحون والناشطون والمشتغلون بأعمال التنظيمات(180). فلا شئ يحمل على الدهشة فيما يخص مشاكل النافتا - فالرسوم المتبقية من مناطق التجارة الحرة تكون واطئة : حيث انهارت منظمة التجارة الأوروبية الحرة "EFTA" أمام السوق الأوروبية المشتركة : كما أن مناطق التجارة الحرة لم تستمر طويلاً : وإن كل جهود أمريكا الأولية لتأسيس ما هو في الجوهر منطقة تجارية حرة باءت بالفشل . فالنافتا إذا لم تدعم بنظرة واسعة وحتى ولو كان مجرد اتحاد سياسي في المستقبل البعيد فإن فرص بقائها غير مفرحة بسبب هبوط مستوى مناطق التجارة الحرة مع هبوط الأجور والأسعار (181). بينما يرى هنتنغتون أنه: "باستثناء النافتاNAFTAليس هناك منظمة كتلك استطاعت أن تخلق منطقة تجارة حرة ولا استطاعت بأقل من ذلك بكثير خلق شكل متسع من التكامل الاقتصادي"(182). إن الولايات المتحدة تريد أن تهيمن على أمريكا اللاتينية منذ أوائل القرن التاسع عشر ومن ثم تتعاطف مع الدول التي تدين لها بالولاء الأيديولوجي :حيث إن أمريكا اللاتينية تدفع حتى اليوم ثمن التحالف بين الرأس المال المهيمن (البريطاني ثم الأمريكي) وبين كبار الملاك العقاريين :وينعكس هذا الثمن في وراثة التقسيم الدولي الذي صاحب هذا التحالف وانعدام الديموقراطية(183). فكما يقول ثورو: "نجد أن أمريكا اللاتينية بعد أن

---

180 - نعوم سكي،نعوم - امانة الديموقراطية - مرجع سابق - ص134.

* افتا (EFTA) مجموعة دول التجارة للمتحدة الاوروبية وهي رابطة اقتصادية اوروبية غربية مكونة من النمسا،الدانمارك،النرويج،البرتغال،السويد،سويسرا،بريطانيا،قامت على أساس الغاء الحمارك والقيود على التجارة فيما بينها ضمن فترة زمنية محددة دون أن يعني ذلك اتحاد سياسات جمركية وتجارية موحدة إزاء الدول الأخرى.

181 - ثورو،ليستر - مستقبل الرأسمالية - مرجع سابق - ص142.

182 - هنتنغتون،صموئيل - صدام الحضارات - مرجع سابق - ص248.

183 - أمين ،سمير - ما بعد الرأسمالية - مرجع سابق - ص27.

قطعت عقدين من العمل الكفء والناجح قد انهارت"(184). قد تقوم دول بقيادة الحكومة الأمريكية بالدخول في اتفاقية بعيدة المدى ؛ مما يدل على عدم يقينية وضمان نتائجها ،وكأنهم ضامنين للمستقبل وما يحدث فيه من مفاجآت ؛فيكون دخول أمريكا مثلاً في اتفاقية مع مجموعة تجارية في آسيا ليس فيه مصلحة لها ؛لأن أمريكا لها نافتاها الخاصة بها ؛ رغم أن لها دور كجانب داعم للبلدان الأخرى باعتبارها الأقوى اقتصادياً ؛ بيد أننا نجد عكس ذلك في الدول الأوروبية إذ تتحقق مصلحتها في تعاملها مع الدول الأمريكية الخارجة عن إقليمها . هناك اعتقاد صحيح سائد لدى الكوبيكيين* باعتبارهم ضمن إطار النافتا بأنهم سيكسبون مهما كان الحجوم الاقتصادية ؛ وبإمكانهم المحافظة على مستوى معيشي معين من دون أن يكونوا مضطرين للاتحاد مع كندا الناطقة بالإنجليزية ؛ والمجموعات التي تريد أن تنال الحقوق في الأسواق العالمية ليس لديها الرغبة في أن تعيش مع من يقطن بجوارها ؛وإنما تكون مهتمة بالانضمام لمجموعات وتكتلات اقتصادية إقليمية كما هو الحال مع السوق الأوروبية المشتركة واتفاقية شمال أمريكا للتجارة الحرة (النافتا) حيث ترى في هذا التجمع الإقليمي ضماناً اقتصادياً لها يؤمن مشاركتها في الاقتصاد العالمي ؛ويفضلون أن يحكموا جزئياً من مكان بعيد من طرف لا تعرفه أفضل من أن تحكم كلياً من الذين يجاورونك وتعرفهم(185). كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد خرجت من سياسة الدولار من وقت قصير وكانت هذه السياسة قد

---

184 ـ توزو، ليستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص67

* الكوبيك: هم سكان مقاطعة كوبيك Quebec بكندا وهم مفرنسون ويتكلمون الفرنسية وتهيمن عليهم الثقافة الفرنسية ويطالبون حتى الآن بالانفصال عن باقي كندا.

185 ـ لمزيد من المعلومات انظر المرجع السابق ـ ص145،78.

أعطتها فرصاً لاستغلال الكثير من إمكانيات دول أمريكا اللاتينية بشكل أثار مشاعر هذه الدول دون أن تستطيع التصدي للعملاق الكبير الأمريكي ،خاصة وإن القوة العسكرية لدى الولايات المتحدة الأمريكية كانت قادرة على ضرب أي من الدول اللاتينية الفككة ،وعندما توالت الانقلابات الداخلية في المكسيك كان للرأسمالية الأمريكية دور في بعضها وظهرت عصابات قوية في منطقة الحدود المكسيكية الأمريكية(186)،وقد وضعت الولايات المتحدة سنة 1960م حداً لصفقاتها مع جزيرة كوبا الصغيرة التي كانت مزارع القصب لديها تشكل مصدر ثروتها الوحيد وهي التي أصبحت المصدر الثاني للسكر في العالم ،والولايات المتحدة التي كانت المشتري الوحيد عرضت بفعلها ذاك أربعة ملايين كوبي للمجاعة بين ليلة وضحاها (187).

لقد اعترفت الحكومة الأمريكية أنه ليس هناك قانون بالنسبة للحكومة في شمال أمريكا ،وإنما هناك إرادتها فقط حين تفرض مخططاتها على نصف الكرة الأرضية ، حتى بات يعبر الناس في هذا النصف من الكرة الأرضية بأنهم يعيشون في مناخ من العدوان وعدم الاحترام ،والشعور بالضعف والتواكل والفقر ،والخضوع لخدمة دولة عظمى .إن أمريكا اللاتينية تعاني الآلام في الوقت الذي نجد فيه الكونغرس الأمريكي يقف مشجعاً لحكومته على الانتصار المحتم(188). لقد وجد العمال الزراعيون من المهاجرين المكسيكيين منافسة شرسة على العمل من جانب العائلات الريفية التي طردت من الأرض بسبب

---

186 ـ نوال تعلبي ـ تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ (بدون تاريخ) ـ ص173.

187 ـ فريق من الاختصاصين ـ المجتمع والعنف ـ مرجع سابق ـ ص31.

188 ـ تشو مسكي ،نعوم ـ امبراطورية الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص187.

الديون والجفاف ،وبعد ترحيلهم في أعداد كبيرة من الولايات المتحدة التي لم تعد ترغب في تحمل المزيد من المسؤولية تجاههم بعد أن أصبح لا عمل لهم ـ أن نصف العدد فقط كان موجوداً في عام 1930 ، وكان معظم هؤلاء من سكان المدن، وكانت العائلات المكسيكية من المهاجرين إلى المناطق الريفية غالباً ما يقل دخلها عن 100دولار في السنة (189)،ولقد أخذت الولايات المتحدة على عاتقها تحمل مسؤولية تقديم مساعدات مالية هائلة تجاه انهيار المكسيك حيث إن هذه المساعدات قد أثرت عليها بأن أضعف الدولار ،ونتيجة لخفض استيرادها فإن هذا من شأنه أن يكلف الولايات المتحدة 3.املیون فرصة عمل ،في حين نجد أن نتيجة لفرض الولايات المتحدة حالة من التقشف على المكسيك يكلف هذه الأخيرة 750ألف فرصة عمل في عام 2005إذا أصبحت الجهود جدية من قبل حكومات الدول الأمريكية ، فلابد أن تمنح دول أمريكا اللاتينية شرعية الانضمام إلى منظمة النافتا بتعهدها بإجراءات ومقاييس الدخول إليها(190). يعبر أدولفو أغيلار* عن الموقف قائلاً" نحن اللاتينيين نعتقد أن القضايا التي تراعي الآخرين كالديموقراطية والحرية وحتى المساعدات الاقتصادية هي في الغالب ذرائع محضة لإخفاء الأغراض غير الشرعية."ولذا لم تنل سياسات الولايات المتحدة نجاحاً أو تحققاً تأييد في أمريكا اللاتينية(191). إن هذا يؤكد ما يذهب إليه هنتنغتون في أن"سياسات الولايات

---

189 ـ ايفانز،م.سارة ـ الحرية وخيال المرأة الأمريكية ـ ت: أميرة فهمي ـ الدار الدولية للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ 1989م ـ ص260 ولمزيد من المعلومات أنظر مولايه،كونيتز،صناعة الجوع(خرافة الندرة) ـ مرجع سابق ـ ص147وما بعدها ،ص175وما بعدها عن الأزمة في المكسيك.

190 ـ ثورو،لويس ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص143،ص241.

* أدولفو أغيلار: محلل سياسي ومشارك قديم في مؤسسة متخصصة بالسلام الدولي.

191 ـ فتشو سكي،نعوم ـ إعاقة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص175.

المتحدة والقوي الأوروبية الرئيسية والمؤسسات الدولية ساعدت في تحقيق الديموقراطية في آسيا والبرتغال وفي العديد من بلدان أمريكا اللاتينية ،والفلبين ،وكوريا الجنوبية ،وفي أوربا الشرقية.الديموقراطية كانت الأكثر نجاحاً في البلدان حيث توجد تأثيرات مسيحية وتأثيرات غربية قوية .الأنظمة يبدو بأنها من المحتمل أن تستقر في بلدان وسط وجنوب أوروبا حيث الأغلبية من الكاثوليك أو بروتستانت وأقل نجاحاً في دول أمريكا اللاتينية."(192).

إنّ معظم المؤسسات الدولية الرئيسية تؤرخ من بعد الحرب العالمية الثانية ،وشكلت وفقاً للمصالح الغربية والقيم والممارسات الغربية .عندما تنهار القوى الغربية بالنسبة لتلك الحضارات الأخرى ستتطور ضغوط لإعادة تشكيل هذه المؤسسات لتلائم مصالح تلك الحضارات (193)."المكسيك حاولت أن تحدد نفسها كمعارضة للولايات المتحدة .ولقد اتبع من الثلاثينيات إلى الثمانينيات قادة المكسيك سياسات اقتصادية وخارجية كانت تتحدى المصالح الأمريكية "(194). إن حقيقة الهجرة المكسيكية الهائلة الشرعية وغير الشرعية إلى الولايات المتحدة كانت جزءاً من حجة حكومتها لمنظمة النافتا إما أنكم تقبلون بضائعنا أو تقبلون شعبنا(195). وهو الخنوع الذي يصفه فوكوياما" في المكسيك يقوم رئيسها بمهمة النهوض بإصلاحات اقتصادية ليبرالية واسعة النطاق ،تشمل تخفيض معدلات الضرائب وعجز الميزانية ،وتوسيع القطاع الخاص (إذ

---

192 ـ هنتنغتون،صمويل،صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص347،ص348.

193 ـ لمزيد من المعلومات أنظر المرجع السابق ـ ص526،ص527.

194 ـ لمزيد من المعلومات أنظر المرجع السابق ـ ص280.

195 ـ لمزيد من المعلومات انظر المرجع السابق ـ ص281.

بيعت 875شركة من بين 1155من الشركات التي تملكها الحكومة خلال السنوات ما بين 1982و1991) والضرب على يد المتهربين من دفع الضرائب وغير ذلك من أشكال الفساد من جانب الشركات والبيروقراطيين ونقابات العمال والدخول في مفاوضات مع الولايات المتحدة من أجل إبرام اتفاقية للتجارة الحرة .وكان نتيجة ذلك في ختام الثمانينات أن أضحى النمو الحقيقي للناتج القومي الإجمالي ما بين 4,3٪ على مدى ثلاث سنوات متتابعة ،وخفض معدل التضخم إلى ما يقل عن عشرين ٪ ؛وهو معدل منخفض جداً بالمقاييس التاريخية ومقاييس المنطقة"(196). بينما يبدو هنتنغتون أكثر تشاؤماً في أنْ:" تطور مشكلة انضمام المكسيك الى اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (النافتا) يشير الى أن اتحاد الحضارة الغربية مع حضارة أمريكا اللاتينية ليس سهلاً ويبقى احتمالاً سيأخذ مكانه ببطء خلال القرن الواحد والعشرين وربما لن يتحقق." (197).

أما البنك الدولي فإنه يعتبر مؤسسة من بين المؤسسات العالمية التي أنشئت لكي تنعش وتمول المشاريع العامة والحكومية والبنية التحتية حيث تمدها بالمساعدات بدعمها برأس مال متشكل على هيئة قروض يتم سدادها على فترات ،ونجد أن دول العالم الثالث أي الدول النامية خاصة محتاجة أكثر لمثل هذه المعونة ؛لأن البنك الدولي بتقديمه الدعم المالي لإنشاء مشروع معين فإنه يقوم بتحرير موارد البلاد لكي تسير في طريق سالك دون حدوث عثرة أمامها.

غير أن هذا لا يحدث ـ كما يشير ثورو ـ "إذا كان البنك الدولي لا يمول سوى تلك المشاريع التي لا يمكن للبلد أن يتعهد بها ،فهو بهذا يكون قد موّل

---

196 ـ فوكوياما، فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص106.

197 ـ هنتنغتون،صموئيل صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص416.

مشاريع هامشية ذات احتمالات عادية للفشل وتدفع لاتهام البنك بالغباء .كما يرى البنك الدولي أن التفاوت في توزيع عدد السكان في العالم :وتركزهم في ناحية دون أخرى يؤدي لحدوث عجز لهذه البلدان المكتظة بالسكان من أن توظف الاستثمارات الضرورية لتوفير المياه والأكل لساكنيها : حيث أن البنك الدولي يتوقع أن يزيد سكان العالم من 5,7مليار نسمة في الوقت الحاضر إلى 8,5مليارنسمة عام 2030،وما يرغب في رؤية البنك الدولي لا يكون الزيادة بنسبة 50٪ حتى ذلك الحين (2,8مليار نسمة) وإنما كون مليارات من هؤلاء الناس ينشأ ون ويقطنون في جانب من العالم يكون فيه نصيب الفرد من السكان أقل من دولارين يومياً .والبنك الدولي مهتم بنسبة عدد السكان لأنه يكون من اهتمامه مساعدة الأقطار الأكثر فقراً في العالم وذلك بتوفير المعونات الرأسمالية طويلة الأجل لها"(198). إلا أن هذا البنك لا يؤدي أي دور بخصوص المبادئ التي يقوم عليها كتقليل الفقر وتحقيق الديموقراطية وترشيد الإدارة وإنما يخدم وزارة الدعاية الأمريكية(199) ،كما أسس صندوق النقد الدولي لكي يقوم بتزويد الدول الصناعية الغنية برصيد مؤقت لتسديد ديونها في صورة دفعات :لكن أي بلد صناعي رئيسي لم يقترض من هذا الصندوق طوال العقدين الأخيرين وتحول إلى مقرض لبلدان العالم الثالث(200).

---

198 ـ تورو.ليستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص105،ص158،159.

199 ـ لمزيد من المعلومات أنظر موريلايبه.كولينز ـ صناعة الجوع (خرافة الندرة) ـ مرجع سابق ـ ص402وما بعدها حول البنك الدولي ودوره في أزمات العالم.

200 ـ لمزيد من المعلومات حول أثر نظام النقد الدولي على التكوين التاريخي للتخلف في دول العالم الثالث أنظر رمزي زكي ـ التاريخ النقدي للتخلف ـ دراسة في أثر النقد الدولي على التكوين التاريخي للتخلف في دول العالم الثالث ـ سلسلة عالم المعرفة ـ رقم(118) ـ الكويت ـ أكتوبر ـ 1987م .

ومن خلال صندوق النقد الدولي والمؤسسات الاقتصادية الأخرى يروج الغرب مصالحه الاقتصادية ويفرض على الدول الأخرى السياسات الاقتصادية التي يعتقد أنها مناسبة (201). فصندوق النقد الدولي مهمته وضع القواعد التي تحكم سياسات الدول فيما يتعلق بأسعار الصرف ووسائل تمويل العجز الخارجي أو تقدم الإقراض قصير الأجل ؛ أما البنك الدولي فمهمته الإقراض طويل الأجل لتمويل مشروعات التنمية وتشجيع الدول على تطبيق السياسات الاقتصادية التي تكفل الاستخدام الأمثل للموارد .وعلى ذلك عهد الى صندوق النقد الدولي بمهمة إصلاح الجانب النقدي في النظام الاقتصادي الدولي ؛بينما تولى البنك الدولي مسؤولية إصلاح الجانب المالي ؛ كل ذلك كان تنفيذاً لاقتراح الولايات المتحدة التي كانت تسعى إلى ترتيب الأوضاع الاقتصادية الدولية بشكل يحقق مصالحها كدولة منتصرة(202). حيث حولت مشكلات ديون العالمين الثاني والثالث إلى البنك الدولي وإلى صندوق النقد الدولي لحلها ؛ غير أن هاتين المؤسستين تستطيعان فقط الاستمرار في ترقيع نظام يحمل أصلاً كثيراً من الرقع ؛ولم تصمم كلتا المؤسستين على حد تعبير ثورو للتعامل مع مشكلات الدين ؛ولا تتوافر لدى أي منها الوسائل اللازمة لذلك ؛وهما قادرتان على تفادي الانهيار و لكنهما لا تستطيعان إعادة العافية للنظم المالية في العالمين الثاني والثالث(203). الأمر الذي مكن تلك المؤسسات خاصة صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ؛ من التأثير والتلاعب في مقدرات الشعوب وخيراتها

---

201 ـ زكي، أحمد ،التبعية المتبادلة ـ مرجع سابق ـ ص74.

202 ـ ابراهيم، محمد ـ العولمة :الآثار الاقتصادية لاتفاقية الجات ـ مرجع سابق ـ ص8 ولمزيد من المعلومات أنظر الحاج، طارق ـ صندوق التمويل ـ ط1 ـ دار الصفاء للنشر والتوزيع ـ عمان ـ 2002م ـ ص177:190 حول صندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

203 ـ لمزيد من المعلومات انظر ثورو، ليستر ـ المتناطحون ـ مرجع سابق ـ ص17 ،ص224.

أيديولوجياً وسياسياً فهي العصا المدببة التي يرفعها الغرب في وجه من يخالفه أيديولوجياً.

لقد ورثت منظمة التجارة العالمية* كل نشاط وقوانين اتفاقية الجات (1947) واعتبرتها الدول النامية وسيلة لتنمية اقتصاداتها في ظل منافسة شريفة في السوق الحرة ولكن أمريكا استغلتها لصالحها بعد أن صارت القوة العظمى الوحيدة في العالم (204)؛ وأصبحت التجارة الدولية منذ بداية القرن كما يذهب هنتنغتون "كجزء من الإنتاج العالمي الإجمالي أعلى مما كانت عليه في الماضي وفي مستوى لم تصل إليه تقريباً حتى السبعينيات والثمانينيات "(205). لقد حلّت منظمة التجارة الحرة محل الجات إذ أن أمريكا وجدت أن نظام الجات لا يوطد نظامها كما ينبغي فألغيت اتفاقية الجات بمراكش عام1947 لتحل محلها هذه المنظمة التي من شأنها "تركيز جهود الحكومات على العوائق الأخرى بخلاف الضرائب الجمركية التي تحد من حرية التجارة بين الدول كاحتكار الدول لبعض المجالات الاقتصادية"(206). اتسعت التجارة الدولية ـ كما يذهب هنتنغتون ـ "بدرجة عالية في الستينات والسبعينات وفي العقد الذي تلا ذلك وصلت الحرب الباردة الى نهايتها. في 1913؛ بالرغم من ذلك؛ كانت التجارة العالمية عالية المعدلات وفي السنوات القليلة التي تلت ذبحت الشعوب بعضها البعض بأعداد لم يسبق لها مثيل .وإذا لم يكن بإمكان التجارة العالمية

---

* منظمة التجارة العالمية : (WTO) World Trade Organization حلت محل الجات حتى ولى عالم القطب الواحد الذي يكمن في لب النظام وظهر الآن عالم متعدد الأقطاب وصنعت صيغة على الورق باسم منظمة التجارة العالمية (wto) ستتولى تحديد القواعد التي يقوم عليها الاقتصاد الجديد ذو الأقطاب المتعددة ،إلا أنه ليس بمقدور الولايات المتحدة الآن أن تدير نظام تجاري عالمي كما لا تستطيع خلق نظام جديد.

204 ـ الرسي ،كمال الدين ـ الخروج من فخ العولمة ـ ط1 ـ المكتب الجامعي الحديث ـ الإسكندرية ـ 2002م ـ ص74.

205 ـ هنتنغتون ،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص120.

206 ـ لمزيد من المعلومات انظر بيتر ـ شروان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص200، ص205، ص206.

آنذاك أن تمنع الحرب: فمتى تستطيع ذلك ؟"(207): ولقد توالت دورات للمفاوضات التجارية التي تسعى إلى تحرير التجارة العالمية إلى أن جاءت وثيقتها الختامية في شهر مارس 1994في مدينة مراكش بالمغرب عندما وقعت 124دولة ومؤسسة شاركت من قبل في مفاوضات جولة الأورجواي على الإعلان بشأن تلك الاتفاقية وكان المغرب أول من وقع على البيان بصفته البلد المضيف للمؤتمر الوزاري الختامي للمفاوضات والتي استمرت سبع سنوات(208).

هذه المؤسسات المتعددة الجنسيات تتحكم في تسهيلات الإنتاج* الواقعة في أكثر من قطر واحد : وأن هذه التسهيلات قد اكتسبت بعملية الاستثمار المباشر الأجنبي**(209). ليهتز النص الفوكوياميّ طرباً وجزلاً لهذه المؤسسات ليشير إلى محاسن تلك الشركات ودورها الذي تلعبه في تنمية الاقتصاد المتعولم :فيعارض من ثم راؤول بريتش* الذي أظهر الجانب السيئ لهذه الشركات ودورها في اللعب بمقدرات الشعوب وترسيخ ذلك التمييز ما بين دول الشمال والجنوب :فهي عند فوكوياما لا تؤدي إلى التبعية السياسية كما أشار بريتش بل إنها تحيي التجارة الدولية وتلزم دول العالم الثالث على إنجاح الديموقراطية .وإن نظرية التبعية ترى أن التأخر في التنمية يحكم على الدولة

---

207 ـ هنتنغتون، صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص145.

208 ـ الرسي، كمال الدين ـ الخروج من قبة العولمة ـ مرجع سابق ـ ص75، ص76، ص94.

* ويقصد بتسهيلات الانتاج كل ما يساعد على اكتمال عملية الانتاج مثل ميسر من موارد بشرية متخصصة، ومن شبكات نقل ، موارد مالية ، ومكائن ومعدات وفنية ومحرك ومخزن ، وهناك تسهيلات انتاج رئيسية و ثانوية التي تتضمن الطاقة والأبنية الخدمية ومراكز الإطفاء وغيرها .

** يقصد بالاستثمار المباشر الأجنبي،ذلك الاستثمار الذي يتم في دولة ما بحيث يكون للمستثمر الأجنبي إشراف على استثماراته.

209 ـ وتعلو، فتح الله ـ في فلسفة الاقتصاد ـ مرجع سابق ـ ص72.

* راؤول بريتش : اقتصادي أرجنتيني رأس اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية التابعة للأمم المتحدة خلال الخمسينات ثم رأس مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية .

بـالتخلف الأبـدي فهـي تـرى أن الـدول المتقدمـة تـتحكم في معـدلات التبـادل التجاري ؛ وتجبر دول العالم الثالث عن طريـق الشـركات المتعـددة الجنسيات على نهج سبيل ما سمي بالتنمية غير المتوازنة ؛ أي تصدير المواد الخام والسلع الأخرى المماثلة التي تضم عنصر تجهيز ضئيل .فهي أي سياسة نظريـة التبعيـة أبعد ما تكون عن الليبرالية .وأما القائلون بالتبعيـة الأكثـر اعتـدالا فقـد شـجعوا الصناعة المحلية ودعوا لتجاوز الشركات الغربية متعددة الجنسيات(210).

بينما عزز التصدير الواسع للرأسمال مواقع مجموعة كاملة من الشـركات الأمريكية في اقتصاد الكثير من البلـدان الرأسماليـة وهكـذا كـان نصـيب الفـروع الأمريكية في كندا في العشرينيات والثلاثينيات أكثر من 80٪ وحـوالي 70٪مـن إنتاج المعدات الكهربائية .إن الشركات متعددة الجنسـيات تعمـل علـى تـوتر لا على تخفيض الاختلافات فيما بين البلدان وداخلها ؛وبدلاً من تطوير الإنتاج في جنـوب أوروبـا الرأسماليـة مـع البطالـة المتزايـدة حشـدت الشـركات متعـددة الجنسيات كمية كبيرة من القدرات المنتجة* في أكثر بلدان أوروبا تطوراً ؛ ألمانيا الاتحادية ؛فرنسا ؛سويسرا ؛وغيرهـا كمـا اسـتخدمت القـوة العاملـة الأجنبيـة الرخيصة تسـتخدم الشـركات الأمريكيـة المتعـددة الجنسـيات العمـال الأجانـب الـذين يعملـون في الفـروع في أوروبـا الغربيـة بصـفة مكسـري الاضـرابات** كمـا يؤخذون في كثير من الحالات إلى المشاريع أثناء الاضرابات(211). فـإن الهـدف

---

(210) ـ لمزيد من المعلومات انظر فوكوياما. فرنسيس .نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص100 .ص101.

* يقصد بالقدرات المنتجة أو الطاقات المنتجة والتي تتضمن الأيدي العاملة بأنواعها الماهرة وغير الماهرة اضافة إلى طاقات المكائن والمعدات التي تعمل مع المواد الأولية لإنتاج السلع أو تقديم الخدمات.

** ويقصد بمكسري الإضرابات كعنصر ضغير في فرنسا ويقصد به هناك فئة واحدة أو عدة فئات تتداول بشكل مقصود أو غير مقصود التأثير على الاضرابات التي تحدث في المصانع أو المعامل المحطمة أو في السكك أو المخازن أو غيرها وهذه الفئات تحاول تخريب أو إفشال الإضرابات التي تحصل وقد يكون للمصنع أو الشركة التي قام بها الاضراب هي من وراء تلك المحاولة لشق الصف العمالي وتخريب الاضراب.

(211) ـ ميدفيدكوف ،بوريس ـ الشركات المتعددة الجنسيات ـ مرجع سابق ـ ص43 .ص216 .ص217.

الأساسي للشركات متعددة الجنسيات الحصول على حد ممكن من الأرباح خلال مدة طويلة ،لا يمكن تحقيقه دون تصنيع طرق رئيسية لتطوير الشركات والتوزيع الأكثر عقلانية للمصادر المالية والتكنولوجية المادية والبشرية .

وتحولت الشركات متعددة الجنسيات من ثم إلى أحد أهم عناصر الاقتصاد الرأسمالي العالمي ؛ كما ولد نموها مجموعة كبيرة جداً من المشاكل ،وهذا النمو لا يوجد منعزلاً بل في علاقة وطيدة مع تناقضات الرأسمالية إجمالاً في الاقتصاد ،السياسة والعلاقات الاجتماعية ،وهذا طبيعيٌ طالما أن التوسع الدولي للشركات المتعددة الجنسيات وشكل أعمالها لا يتحدد بخصائص الأشكال المتعددة الجنسيات بقيادة العمل فقط ،بل يتحدد قبل كل شيء بالوضع في الاقتصاد الرأسمالي(212). حيث تلعب الاحتكارات المتعددة الجنسية دوراً كبيراً في عملية نقل التكنولوجيا إلى البلدان النامية وكبيراً أيضاً في تهديد استقلالية الثقافات الوطنية ـ القومية وفي استمرارية التبعية الثقافية في صيغة استعمارية جديدة وتتبع هذه الاحتكارات منطقاً عرقياً ـ مركزياً غير آبه بالخصائص المحلية للحياة الاجتماعية ،ولا تؤثر الاتحادات المتعددة الجنسيات عبر مجال الإنتاج وحسب ،بل تؤثر أيضاً عبر مجال الاستهلاك وذلك عن طريق تغيير بنية الاستهلاك ذاتها في مصلحتها بنقل وتوصيل أذواق وحاجات تطابق وتناسب علاقات السوق الإنتاجية الرأسمالية*** ،بهذا تعمل هذه الشركات على تدعيم أسس نظام الإنتاج الرأسمالي في الدول النامية وتنشر الكوسموبوليتية* والشمولية العلمية ـ التقنية على مجال واسع فتقوم تلك

---

212 ـ المرجع السابق ـ ص109 ،ص138 ،ص239.

*** وفي السوق الإنتاجي الرأسمالي يكون الرأسمال الإنتاجي يعتمد على العرض والطلب وكلاهما في تقلب مستمر دون توقف.

* الكوزموبوليتية: Cosmopolitan وتعني الموالاة العلمية أي تحتوي كل من مختلف القوميات.

الاتحادات العابرة للقوميات بعدوان ثقافي ضد البلدان النامية(213). كما أنها تؤكد استغلال العالم الثالث على نحو جديد بنشأة وتوسع الشركات المتعددة الجنسيات حيث إن علاقات الاستغلال لم تبقَ ثنائية الجانب بين البلد المستعمر ومستعمرته .إن المتعددة الجنسيات تنظم نهب العالم الثالث لا على الميلم القومي كما كان الأمر :بل على السلم العالمي سواء بالاستناد إلى قوة عظمى (مثلاً الولايات المتحدة) من أجل توجيه اقتصادها وسياستها واستخدام جهازها العسكري أو باستخدام مؤسسات دولية(214). نتيجة لوجود تدعيم للاحتكارات الكبرى وقوتها على مستوى الرأسمالية العالمية الشيء الذي يظهر من خلال دور الوحدات المتعددة الجنسيات حدث أن تطورت الرأسمالية : و تمكنت المراكز الرأسمالية بكل مكوناتها من السيطرة على مناطق خارجية عن طريق وسائل اقتصادية مختلفة الأشكال.وهكذا ارتبط انتشار النظام الرأسمالي بتطور مختلف مراحل الإمبريالية(215)، ولقد أظهرت دراسات تصف كيف أن مشاركة الشركات المتعددة الجنسية تخلق ظروفاً مناسبة لظهور مرحلة جديدة من "الكومبرادورية" الصناعية" لعلها تلعب في المستقبل دوراً سياسياً واجتماعياً مماثلاً للدور الذي لعبته الكومبرادورية التجارية في مرحلة سابقة(216). كما أصبحت الحكومات :التنظيمات الدولية أقل استجابة

---

213 ـ التقري،بمن ـ والتقدم العلمي ـالتقني والحياة الثقافية في البلدان النامية) ـ مجلة الفكر العربي ـ نحو تأصيل ديموقراطية الثقافة العربية ـ العدد سبعون ـ ديسمبر/1992م ـ ص114.

214 ـ غلر وندي،ووجيه ـ حوار الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص41.

215 ـ لمزيد من المعلومات انظر وعثمان فتح الله ـ في فلسفة الاقتصاد ـ مرجع سابق ـ ص72،ص73،ص200.

** الدولة الكومبرادورية هي الدولة التي وظيفتها الأساسية مساعدة رأس المال العالمي ،على نهض الدولة القومية كان الشكل المهيمن للكومبرادورية في المرحلة ما بين عام 1880و 1945 هو الكولونيالية المباشر ،ومصدرها انكار وجود الدولة المحلية وفرض التخصص الزراعي المعدني من خلال إدارة أجنبية ،أما اليوم فإن الشكل المهيمن في رأيها هو الدولة الكومبرادورية الصناعية.(أمين سمير ـ ما بعد الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص31،ص32.)

216 ـ أمين ،سمير ـ ما بعد الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص78 .

لاحتياجات العابرة للجنسيات مما زاد من احتمال لجوئها إلى تخطي الحكومات والمطالبة بالمشاركة المباشرة في المؤسسات الدولية .ليس من العسير تصور قيام مجلس دولي للشركات الدولية هدفه التحدث باسم هذه النوعية الجديدة من الشركات وإيجاد توازن جماعي لسلطة الدول ذات السيادة ؛أو أن تطالب الشركات الكبرى بتمثيل خاص بها ؛كجزء من شريحة جديدة من العضوية داخل منظمات مثل الأمم المتحدة أو البنك الدولي أو الاتفاقية الدولية للتجارة والتعرفة(217) يساعدها في هذا فشل الأنظمة الشيوعية فسيترتب على ذلك أن يتغير الجزء من العالم الذي حكمته ؛وبالتالي سيظهر لاعبون جدد في عالم الاقتصاد ؛وفي نصف القرن الأخير تحول العالم من كونه نظاماً اقتصادياً أحادي القطبية يدور حول الولايات المتحدة إلى عالم ثلاثي القطبية يضم اليابان والمجموعة الأوروبية والولايات المتحدة .ويشهد التاريخ لأول مرة ظهور نمر شرقي وهو اليابان كمنافس لأوروبا وأمريكا الشمالية ؛وستتغير طرق زعيمتي الاقتصاد في القرنين التاسع عشر والعشرين وهما :المملكة المتحدة والولايات المتحدة بخصوص لعب اللعبة الاقتصادية (218)خاصة بعد أن تسللت فروع الشركات الأمريكية تحت اسم الشركات المحلية ؛ من انجلترا إلى أفريقيا الجنوبية ؛الهند؛واستراليا ومن فرنسا إلى الجزائر ؛تونس ومراكش ؛بشكل مماثل ومقنع ؛ أضف إلى ذلك أن التغلغل لم يحدث فقط من خلال التصدير التجاري ؛ بل وبواسطة إنشاء الشركات الفرعية ؛بعد أن تولدت في العشرينات نزعة إلى التخصص الإنتاجي العالمي والتعاون في حدود الشركات المستقلة

---

217 ـ توفلر،ألفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص593.

218 ـ لمزيد من المعلومات انظر توروالبستر ـ المتناطحون ـ مرجع سابق ـ ص15.

للولايات المتحدة التي انقلبت أخيراً إلى إحدى المنظمات المؤسسة لمبادئ الإنتاج العالمي للشركات المتعددة الجنسيات(219)؛ وقد استخدمت تلك الشركات نفوذها العميق والمتناقض في ميادين مختلفة كالاقتصاد والسياسة ؛والعلاقات الاجتماعية في البلدان الرأسمالية ،وأثرها في استمرار وتطور الدول النامية وفي نظام العلاقات الدولية. كذلك تأثيرها بشكل أو بآخر في أهم الأحداث والتطورات التي تحدث في نظام الرأسمالية العالمي(220). لقد استطاعت هذه الشركات المتعددة الجنسيات بتسخيرها أقوى الدول لآربها ؛أن تستخدم لمصلحتها المؤسسات الدولية الكبرى مثل البنك الدولي للإنشاء والتعمير وصندوق النقد الدولي،وقد أفادت هذه العملية من واقع أن البلدان الغنية تسيطر في هذه المؤسسات لأن عدد الأصوات الخاصة بكل دولة تتناسب مع حصة إسهامها في رأس المال(221).

هذه المؤسسات هي تظاهرة معاصرة لنظرية كانت بمثابة الخلفية الأم لعمل وديناميكية هذه المؤسسات أقصد مشروع ألفرد مارشال الذي صمم ليكون باستطاعة الولايات المتحدة منح حلفائها وأعدائها السابقين الموارد المالية التي تلزمهم لكي يحولوا مشترياتهم من المعدات الضرورية حتى يعيدوا ما دمرته الحرب؛ :لقد دشن هذا المشروع عام1948م أي بعد ثلاث سنين من قيام الحرب ؛ولهذا ـ نعتبره ـ مطاردة وملاحقة لأيديولوجية الخصم والاستيلاء على موارد الكرة الأرضية الاقتصادية. وكان ما حفز أمريكا على ذلك ،خوفها

---

219 ـ ميدفيديكوف،بوريس ـ الشركات المتعددة الجنسيات ـ مرجع سابق ـ ص39،40.

220 ـ المرجع السابق ـ ص5.

221 ـ غارودي،روجيه ـ حوار الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص75.

من الشيوعية ،وأمكن ترويج بيع الدولية في بلد عرف بالانعزالية التاريخية كوسيلة لمحاربة الشيوعية ،لكن بعد مرور نصف قرن أصبحت لغة محاربة الشيوعية الخطابية التي استخدمت لترويج الدولية الأمريكي ، وقد عرض هذا المشروع في البداية على الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية ،إلا أنها رفضته رافعة شعار بناء اقتصاد شيوعي عالمي لمنافسة الرأسمالية والتغلب عليها (222).

لم يكن مشروع مارشال رسمياً جزءاً من نظام الجات ـ برايتن وودز ـ إلا أن نفس القوى التي عملت على إيجاد الثاني قد أوجدت الأول فقد عمل المشروع على تقديم مبالغ كبيرة من المال لكي يدعم بها البلدان الغنية سابقاً والتي انهارت بفعل الحرب ،فكان من المهم العمل على إعمار كل الدول المعادية سابقاً (ألمانيا ـ اليابان ـ ايطاليا) والحلفاء السابقين (بريطانيا ـ فرنسا ـ هولندا) من أجل المحافظة على الرأسمالية وقدرتها على أن تساهم في دعم المؤسسات العسكرية التي سوف تحتوي الشيوعية. أما فيما يخص الدول الفقيرة،فقد لعبت المساندات الأجنبية نفس الدور الذي لعبه مشروع مارشال المعاصر للدول الغنية ويكمن وراء تطور الجات ـ برايتن وودز ـ مشروع مارشال ـ المساعدات الأجنبية خليط من الدوافع متحدة ؛ لكن طغت عليه معاداة الشيوعية كما أشرنا،فكل المساعدات الاقتصادية والأسواق المشرعة لكي تبقى البلدان برمتها في فلك النفوذ الأمريكي وتحرره من فلك الاتحاد السوفيتي(223). إن الولايات المتحدة لم تكن قد نسيت الدروس التي تكشفت

222ـ لمزيد من المعلومات أنظر نورو،لهستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص162 .ولمزيد من المعلومات أنظر ص163.

223 ـ المرجع السابق ـ ص139 .

عن "الإعارة والتأجير"* عندما جمعت الدول المتحالفة مواردها في مجهود مشترك هائل ،فكان لابد من إعادة هذا التجميع في حرب جديدة ،و تعهدت الولايات المتحدة ببذل مساهمات ضخمة نحو مشروع لإنهاض أوروبا تعاونياً وكان "برنامج الإنعاش الأوروبي " يتضمن تقديم الآلات والمخططات والخامات والخبراء المتمرسين في التكنولوجية الأمريكية وليس المال وحده .وكان على الدول الأوروبية أن تعين كل منها الأخرى بالقروض وتبادل التسهيلات الخاصة وتعجيل سرعة التجارة الدولية كان لابد من قسط من الأموال من البنك الدولي للإنشاء والتعمير وقسط متباين الدول ولكن القسط الأكبر من الولايات المتحدة(224)،وهكذا طوع مشروع مارشال من أجل خدمة أهداف الأيديولوجيا الأمريكية أو الليبرالية الديموقراطية التي يدافع عنها خطاب العنف عند فوكوياما جهارة وهنتنغتون بحياء ،والتي تهدف إلى مطاردة الأيدولوجيا المناوئة وهي الأيدلوجية الاشتراكية حتى لا تحل محل النازية .ثم الاستيلاء على مواطن لإشباع الثقة الاقتصادية في أوروبا ـ فلقد خرجت الولايات المتحدة ـ كما يذكر بايبك ـ "حاملة لواء القوى الاقتصادية المهيمنة على العالم أجمع بعد خروجها من الحرب العالمية الثانية"(225)، ولقد طور المخططون الأمريكيون خلال الحرب العالمية الثانية مفهوم(المنطقة العظمى) وهي منطقة من المفهوم أن تكون ضرورة استراتيجية للسيطرة العالمية ،وتخضع لحاجات الاقتصاد الأمريكي ، في المراحل الأولى جرى تصور المنطقة العظمى على أنها كتلة تقودها

---

* "إعارة و تأجير "إسم القرار الذي اتخذه الكونغرس الأمريكي ووقعه الرئيس روزفلت في آذار /مارس 1941 ومخولا السلطة التنفيذية تزويد بريطانيا والحلفاء بالسلاح والعتاد والتموين الحربي دون أن تتخلى الولايات المتحدة (حتى ذلك التاريخ) عن حيادها الرسمي بين الأطراف المتنازعة في الحرب العظمى الثانية وقد نص القرار على وجوب استرداد ثمن الأعتدة والامدادات بعد الحرب ولكن ذلك لم يحصل نتيجة الانكزاف الاقتصادي للدول الحليفة أثناء الحرب .

224 ـ تيفينز، كوماجر ـ موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ مرجع سابق ـ ص554.ص556.

225ـ بايبك، سي .أوين ـ ارتقاء التقدم ـ مرجع سابق ـ ص246.

الولايات المتحدة ، ولا تشمل ألمانيا ؛ يدخل في هذه المنطقة نصف الكرة الغربي والشرق الأقصى والإمبراطورية البريطانية السابقة التي سيكون عليها أن تُفكك هي وغيرها من المنظومات الأقليمية الأخرى ،وتُدمج تحت سيطرة الولايات المتحدة،في هذه وسعت الولايات المتحدة منظومتها الإقليمية في أمريكا اللاتينية ومنطقة المحيط الهادي ؛وكان من الضروري التعامل مع الشرق الأوسط كما جرى في أمريكا اللاتينية إزاحة المصالح التقليدية الفرنسية والبريطانية وإقامة سيطرة أمريكية على ما وصفته وزارة الخارجية الأمريكية بأنه مصدر مذهل للقوة الاستراتيجية وغنيمة من أكبر الغنائم المادية في تاريخ العالم ..ولعله أغنى غنيمة اقتصادية في العالم في حقل الاستثمار الأجنبي(226).

لقد ظهر الاعتقاد بأنه إذا ما أريد للدول بأن تكون غنية لابد أن تكون ديموقراطية ؛وإذا كان غناها معتمداً على البيع في السوق الأمريكية لابد أن تُرغم على أن تكون حليفة للولايات المتحدة ،وهذه هي المعتقدات الساذجة التي كانت تكمن وراء مشروع مارشال لأعمار تلك الدول سواء الصديقة أو المعادية التي خربتها الحرب العالمية الثانية(227).

مما دعا الدول الأوربية فيما بعد لأن تأخذ لنفسها شخصية مستقلة عن الولايات المتحدة بتبنيها رؤية سياسية بخصوص تكوين سوق مشترك ، ورفضها لأي تدخل من جهة الولايات المتحدة في شؤونها الخاصة ؛وما لخصه جاك ديلو* بأن "نحن لا نتدخل في الشؤون الأمريكية ،كذلك نثق بأن أمريكا لن تتدخل في الشؤون الأوروبية ".أما رد فعل الولايات المتحدة الأمريكية فقد أبدت موافقتها

226ـ نانو سكي.نعوم ـ إعادة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص62،ص71.

227 ـ ثورو.ليستر ـ المتناطحون ـ مرجع سابق ـ ص21.

* جاك ديلو : رئيس المجموعة الأوروبية عام 1991م.

ورفع يدها وتعمد أن لا تتدخّل في ذلك ربما يكون هذا على ثقتها بأن أوروبا عاجزة من أن تسير دفة شؤونها بمعزل عن معونة الحكومة الأمريكية :تم التوقيع على معاهدة ماستريخت** وتعهدت دول الأعضاء بأن تصدر بحلول عام 1999م عملة مشتركة ،ففكرة إقامة اتحاد أوروبي مشترك وكبير لا يمكن أن تتلاشى لأنها تحدد مستقبل هذه الدول ،وستعاني الدول الخارجية الرافضة للتوقيع على تلك المعاهدة من الافتقار في رأس المال بينما الدول التي دخلت المعاهدة يتوجب عليهم مواجهة الخوف من انخفاض العملة التنافسي الذي سيفرض على من يظل خارجها(228).

إنّ لدى الأوروبيين مشكلة في شمال أفريقيا يمكن مقارنتها بمشكلة أمريكا في المكسيك ؛ فالأوروبيون يحتاجون إلى إدخال شمال أفريقيا ضمن المنطقة الصناعية الخارجية المنخفضة الأجور لأوروبا للحيلولة دون انتقال الملايين من شمال أفريقيا إلى جنوب أوروبا ولكن منح عضويات مشاركة أو منفذ وصول ذي أفضلية لدول الاتحاد الأوروبي للتجارة الحرة (ايفتا EFTA)يخلق من أوروبا الشرقية وشمال أفريقيا تلقائياً كتلة تجارية ولن يعامل جميع الغرباء معاملة مماثلة بأن يحرز بعض في أوروبا وقرب منها بحسن المعاملة من غيرهم(229).

هكذا تكاد تكون قائمة فشل الدولة في التعامل مع فوضوية السوق العالمية ذات الصلة الوثيقة بالسيطرة الاقتصادية المبتغاة بلا نهاية ، شيئاً فشيئاً تفقد الحكومات في كافة العالم قدرتها على أخذ زمام المبادرة في توجيه تطور

** معاهدة ماستريخت: تقيمت بهولندا في 1991/12/8م،أصدرت قرارات عديدة وهامة في سبيل توحيد السياسات المالية والنقدية لدول الجماعة وصولا لتأسيس بنك مركزي موحد وإصدار عملة أوروبية وهي (اليورو) مع عام 1999م.

228 ـ لوروا لبستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص143 ،ص144.

229 ـ لوروا لبستر ـ المتنافسون ـ مرجع سابق ـ ص2.

أمميا : يتضح الخطأ السائد في نظام التكامل العالمي على مستوى الأصعدة ،فمع أن تدفق السلع ورأس المال اتخذ أبعاداً عالمية إلا أن التوجيه والرقابة ظلتا مهمة وطنية ،أصبح الاقتصاد هو المهيمن على السياسة ،كما لا يؤدي عجز الدولة المتزايد إلى ضعف عام في جهاز الدولة أو إلى نهاية الدولة القومية.وفقاً للنظريات الاقتصادية السائدة ما كان يمكن أن تفضي الحال إلى ما عليه سوق العمل* ؛فالتبادل الحر للسلع عبر الحدود الدولية يؤدي حسب ما يقوله دعاة التجارة الحرة حتى هذا اليوم إلى سيادة الرفاهية لدى كل الأمم المشاركة ،يستشهدون لتبرير هذا الادعاء بآراء الاقتصادي الأمريكي ديفيد ريكاردو** في القرن التاسع عشر ،وكان قد حاول آنذاك أن يوضح أن التجارة الدولية ستحقق الخير لتلك البلدان أيضاً التي هي أدنى إنتاجية مقارنة بشركائها في التجارة .نظرية ريكاردو بسيطة وذكية في نفس الوقت تفسر سبب ازدهار المتاجرة العالمية بتلك السلع أيضاً التي بإمكان كلا الطرفين المتاجرين انتاجها مع هذا لا قيمة كبيرة لهذه النظرية بالنسبة للعالم المعاصر لأن الدهر قد أكل وشرب على فرضيته :التفوق النسبي من حيث التكاليف يشجع على المتاجرة فقط مادامت رؤوس الأموال والمشروعات غير قادرة على الانتقال إلى الخارج ،اليوم لاشيء قادر على التنقل بالسرعة التي ينتقل بها رأس المال(230)؛بخلاف آدم سميث الذي لا يرى اختلافاً ما بين السوق الخارجية

---

* سوق العمل:وفيه يقوم العمل بعرض قوة عملهم بشكل يحافظون فيه على مستوى معين من الدخل يكفيهم وعائلاتهم من خلال عملهم لعدة ساعات في اليوم،سحب جزء من مخزونهم وعرضه في السوق كي يعوضوا المبالغ التي فقدت نتيجة لانخفاض الأسعار،ويعني سوق العمل عرض العمل والطلب عليه وفي هذه الحلقة وحسب عنصري العرض والطلب على العمل تحدد الأجور والمرتبات وسوق العمل فهو يعني بيع القدرات الشخصية للعاملين عن طريق شراء هذه القدرات والاستفادة منها في عملية الانتاج أو تقديم الخدمات وقد يكون عرض العمل (الأشخاص الراغبين في العمل) أكثر من الطلب بمعنى هكذا تكون النتيجة تدني الأجور والعكس صحيح وهذا راجع إلى حالات الانتعاش أو الكساد ،ففي الانتعاش تزداد الطلب على العمل بمختلف تخصصاته فترتفع الأجور والعكس في حالة الكساد.

** ديفيد ريكاردو : (1823 - 1772) اقتصادي انجليزي ولد في لندن ،كان مضاربا ناجحا عمل كذلك في البورصة من أشهر كتبه :مبادئ الاقتصاد السياسي والضرائب الذي صدر عام 1817م.

230 ـ لمزيد من المعلومات انظر بيتر شومان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص203،ص204، 373.

والسوق الداخلية استناداً إلى قناعته بأن رأس المال ليس فقط القدرة على التصرف بعمل الآخرين ؛وإنما هو بصورة جوهرية القدرة على التصرف بعمل لم يدفع ثمنه ؛إن كل قيمة زائدة عما كان شكلها الخاص - الربح ؛الفائدة؛الدخل ..هي بصورة جوهرية تحويل عمل غير مدفوع ثمنه إلى مادة ؛إن سر قوة رأس المال السياسية كله قائم في هذا الواقع البسيط ؛وهو أن رأس المال يتصرف بكمية معينة من عمل الآخرين لا يدفع ثمنها(231).

بينما وجه ماركس نقده لرأس المال بأن العامل سيبيع قوته لأن ليس له وسائل مادية ؛حيث ينمو رأس المال بتعاون عمال مأجورين حيث تصبح سيادة رأس المال "بوصفها ضرورة لتنفيذ العمل وشرطاً واقعياً للإنتاج ؛ففي ساحة الإنتاج تصبح أوامر رأس المال منذ ذلك الحين لا غنى عنها تماماً مثلما لا غنى عن أوامر الجنرال في ساحة القتال"(232).

وأفكار سميث ظهرت بإنجلترا بأواخر القرن الثامن عشر واعتبرت الإطار الفكري للثورة الصناعية والمعبرة عن الاتجاه الليبرالي في تلك الفترة ؛حيث إن الكلاسيكية فلسفة ليبرالية ترى أن المصلحة الفردية تختلط بالمصلحة الجماعية وأن العامل السحري "اليد الخفية" يضمن الانسجام بين المصالح(233).

"وقد كان من رأي آدم سميث أن المصدر الرئيسي للاختلاف بين ثروات الأمم هو حكمة أو غباء السياسات الحكومية ؛وأن السلوك الاقتصادي الإنساني متى تحرر من قيود السياسة الخرقاء هو سلوك عام وشائع بين الجميع"(234).

---

231 - ماركس، كارل - رأس المال - الجزء الثاني - مرجع سابق - ص757.

232 - المرجع السابق - ص467.

233 - لمزيد من المعلومات انظر وانعم، فتح الله - في فلسفة الاقتصاد - مرجع سابق - 106،ص107.

234 - فوكوياما، فرنسيس - نهاية التاريخ وخاتم البشر - مرجع سابق - ص199.

لقد اعتبر آدم سميث أن الإنتاج الناجم عن استخدام العمل والموارد هو المصدر الوحيد للثروة ؛ ويعلق ازدياد الثروة على المهارة والكفاءة في استخدام العمل ووفقاً لتلك النسبة من أعضاء المجتمع التي تشترك في العملية ؛وإن الوسيلة لتحقيق زيادة الإنتاج هي تنظيم العمل وتقسيمه واستخدام الآلات الميكانيكية ؛وتنبه سميث إلى أهمية وسائل النقل والمواصلات في تصريف الإنتاج وبالتالي تحقيق مستوى عال من التخصص ؛كما تنبه إلى أهمية الزمن في صنع الإنتاج ودرجة إتقان العمل ومهارة العمل ؛وإن الفرد حين يعمل على تنمية مصلحته فإنه غالباً ما ينمي وبفعل يد خفية ـ مصالح المجتمع ذلك أنه لو أزيلت النظم كلها فإن نظام الحرية الطبيعية الواضح البسيط يثبت وجوده بمحض إرادته(235)؛ أما كينز* فقد كان من اللذين يريدون إنقاذها من الزوال ؛ فلقد ركز كينز انتقاده للنظرية الكلاسيكية حول نقطتين :البطالة والنقود ؛وهو يرى أن الكلاسيكيين ارتكبوا خطأ كبيراً عندما رفضوا اعتبار وجود بطالة اليد العاملة وقد أظهرت الوقائع الاقتصادية خطأ هذا الافتراض بدليل أن بريطانيا وكل الدول الرأسمالية عرفت ظاهرة البطالة المستمرة منذ أول القرن العشرين لذلك يبحث كينز عن وسائل محاربة البطالة والوصول إلى مرحلة الاستخدام الكامل ؛كما لم يدخل الكلاسيكيون في اعتبارهم النقود ولم يولوها أي اهتمام بل اعتقدوا أن لها دوراً محايداً أو أنها مجرد حجاب يغطي الحقيقة ؛وأن لا شيء أكثر تفاهة من النقود بينما يرى كينز مكانة تفوق النقود .لأن للنقود دوراً

---

235 ـ لمزيد من المعلومات انظر ميكافلي،نيقولا ـ الأمير ـ ت: خيري حماد ـ ط18 ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ 1990م ص274.

* جون مينارد كينز (1883 ـ 1946) عالم اقتصادي لامع ولد في انجلترا يمثل موقف المعارضة من الاقتصاد الكلاسيكي من اشهر أعماله:النظرية العامة للنقود و الفائدة و الاستخدام والذي صدر عام 1936م ..

ايجابياً نظراً لتعلق الناس بها وهي أداة أساسية في التحليل الاقتصادي من الخطأ تناسيها(236) :و قد رفع كينز الحكومة إلى مصاف المستثمر المالي الرئيسي في الاقتصاد الوطني إذ أناط بها التدخل عبر موازناتها المالية في النشاطات الاقتصادية بغية تصحيح حالات البطالة والركود التي يفرزها السوق ؛فإذا تميزت الحالة السائدة بالركود فإن على الحكومات رفع الطلب الكلي من خلال زيادة الإنفاق الاستثماري ،وذلك تفادياً لانكماش النمو الاقتصادي؛ أما في الحالات التي تتميز بنشاط اقتصادي يفوق حجم الطاقات الإنتاجية المتاحة فإن على الحكومات تفادي التضخم ؛وذلك من خلال استخدام زيادة الإيرادات الضريبية لتسديد ما عليها من ديون (237). هؤلاء كانوا أسلاف هذه المؤسسات الذين رصفوا لها الطريق حتى وإن صدقتهم نواياهم ؛إلا أن الغرب اتخذ من نظرياتهم مطية لتحقيق حلمه الكولونيالي الاقتصادي.

ويعتبر فريدمان عراف هذه المؤسسات وليراليته الجوقة الصاحبة لها ؛إذ إنه بنظريته التي أراد من خلفها بعث دماء الحياة في شرايين الرأسمالية الشمطاء التي شاخت نتيجة لباثولوجياتها بتجديد شبابها من خلال هذه الكنزية العالمية" وترسيخ الدور الأمريكي في الكرة الأرضية.

حيث تولت الولايات المتحدة إدارة وحفظ النظام الكينزي العالمي ؛ فكان الدولار هو وسيلة التبادل ومقاييس القيمة ؛وتولت أمريكا إدارته بالتشدد في السياسات النقدية والمالية عندما يشكل التضخم تهديداً والتساهل في السياسات

---

236 ـ لمزيد من المعلومات انظر وتعلو ،فتح الله ـ في فلسفة الاقتصاد ـ مرجع سابق ـ ص135.

237 ـ بهتر ،نومان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص201.

" الكنزية العالمية :يعني توسيع نظرية كينز في أهمية تدخل الدولة في الاقتصاد على نطاق عالمي يخدم ليبراليا السيطرة والهيمنة الاقتصادية حتى لا تكون هناك مفارقة ما بين الدولة والاقتصاد ، وحتى تخفي الدول الشمالية تلك المفارقة أو المناقضة ما بين دور السياسة والاقتصاد.

النقدية والمالية عندما يشكل الانكماش تهديداً لدرجة أنها كانت الوجهة الاقتصادية لبقية دول العالم(238). يتجاهل فريدمان دور السلطة والنفوذ في خلق الثروة والأرباح بحيث إن كافة النزاعات الحاصلة في السلطة لا تؤثر في الاقتصاد فيرى فريدمان بأننا سوف نحافظ على حريتنا ونوسع من نطاقها بالرغم من ضخامة البرامج العسكرية والقوى الاقتصادية المرتكزة في واشنطن : ولن ننجح في هذا إلا إذا واجهنا التهديد بقوة فنقنع إخواننا بأن المؤسسات الحرة هي التي سوف توصلنا إلى غاياتنا وليست سلطة الدولة العسكرية التعسفية(239). يتزامن التكامل العالمي مع انتشار نظرية اقتصادية ينصح بها عدد من الخبراء والاستشاريين الاقتصاديين يقدمونها للمسؤولين على إدارة دفة السياسة الاقتصادية على أنها النهج الصحيح :إنها الليبرالية الجديدة ومقولتها الأساسية (ما يفرزه السوق صالح :أما تدخل الدولة فهو طالح) وانطلاقاً من أفكار أهم ممثل لهذه المدرسة الاقتصادية ملتون فريدمان اتخذت في الثمانينيات الغالبية العظمى من الحكومات الغربية هذه الليبرالية النظرية منارا تهتدي به في سياساتها :راحت بناء على هذا الاعتقاد الحكومات الغربية الليبرالية النزعة في غالبيتها في الثمانينيات قصارى جهدها من أجل تحرير رأس المال من القيود :فألغت ما كان سائداً من رقابة وتدخلات حكومية تضغط على كل الشركاء الرافضين لتطبيق هذا النهج للأخذ بالتوجه الجديد مهددين إياهم بالعقوبات التجارية .

---

238 ـ كورو نيستر ـ الشتاخنوف ـ مرجع سابق ـ ص52 .

239 ـ لمزيد من المعلومات انظر المرجع السابق ـ ص187 .وما بعدها.

فالتحرير والليبرالية والخصخصة غدا هذا الثلاثي هو الوسائل الاستراتيجية في السياسة الاقتصادية الأوروبية والأمريكية التي أعلى من شأنها المشروع الليبرالي الجديد ،لتغدو أيديولوجية تتعهد الدولة بفرضها ؛وبفعل إيمانهم المتطرف بالسوق رأى الحاكمون في واشنطن ولندن أن النظام الذي يأخذ بقانون العرض والطلب هو أفضل الأنظمة المتاحة ،وصار توسيع التجارة الحرة هدفاً في حد ذاته لا يحتاج لتفسير(240).

حتى إن حكومة بريطانيا تعلن أنه لا بديل عن الرأسمالية في صيغة الليبرالية الجديدة والسوق الحرة الطليقة ؛ وكأن الليبرالية الجديدة قانون طبيعي أو قوة طبيعية مثل الجاذبية ؛ولا سبيل أمام البشر للفكاك منها ،والتي وصفها فوكوياما بعبارة "نهاية التاريخ"(241).

إن تاريخ تلك المؤسسات ذات الأصل المارشالي الكولونيالي والتي توسعت بعد أن كانت محدودة جغرافياً بأوروبا هي التي شكلت بوادر ظاهرة العولمة الشكل الأكثر انتشاراً لخطاب العنف الاقتصادي ؛فلقد هدف من هذه المؤسسات تكبيل موارد الكرة الأرضية الاقتصادية بموجب تلك الاتفاقيات - التي سبق وأشرنا - والمعاهدات التي تفنن الغرب في سنها وتشريعها والتي امتدت من أقصى الشمال في أمريكا اللاتينية إلى أقصى الجنوب في أفريقيا وأقصى الشرق في دول آسيا .الأمر الذي يدفع إلى الاعتقاد بوجود رابط جوهري ناهيك عن التاريخي ما بين هذه المؤسسات وتلك الاتفاقيات.

---

240 - بيتر.شومان - فخ العولمة - مرجع سابق - ص34.ص201.

241 - جيمس.أنتوني - بعيداً عن اليسار واليمين - مرجع سابق - ص39.

إنّ نظرية المؤامرة ليست نتيجة مفخمة أو مضخمة لنطرحها فيما يتعلق بدور هذه المؤسسات والاتفاقيات في ترسيخ خطاب العنف بوجهيه الاقتصادي والإيديولوجي .إذ إن هذه المؤسسات العملاقة التي يحرك دولابها تلك الشركات الضخمة عابرة القارات هي تآمر دبر في وضح النهار ،إذ إن إمكانيات دول الهامش ودول الجنوب من المعروف والمسلم به لا تقوى على التعامل معه أو حتى الولوج أو الدخول إلى سوقها الذي حدد بتلك الدول ذات الاقتصاديات المايكروية (الضخمة) التي لا تقوى شعوب الهامش على مجاراتها ومن ثم تقع ضحية تلك المؤسسات الاقتصادية التي تسيرها أيديولوجيا الليبرالية التي مهدت لها الكولونيالية القديمة الطريق نحو الآخر المهمش،وهي المؤسسات التي كما يقول هنتنغتون " تؤرخ من بعد الحرب العالمية الثانية ،وشكلت وفقاً للمصالح الغربية والقيم والممارسات الغربية"(242).

242 ـ هنتنغتون،صموئيل ، صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص526،ص527.

الباب الثاني:/ السوق وميثاق يقاربة الإنصاف:

- الفصل الأول:/ الإنصاف بالغرب والأيديولوجيا الخرساء.

- الفصل الثاني:/ أيديولوجيا الخصم ومقاربة التاريخ.

- الفصل الثالث:/ العرقية من الذعر إلى التاريخ.

ـ الفصلُ الأوّل: /الالتحاق بالغرب والأيديولوجيا الخرساء:ـ

إنّ عملي فوكوياما وهنتنغتون بصرف النظر عن أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بينهما يهيآن لحلبة واسعة مترامية الأطراف لإجراء سجال عنيف في السوق العالمي ،فإن ظاهرة العولمة التي يرعاها كلا العملين ،والتي تشكّل خريطة لكليهما هي دعوة مفتوحة وجادة إلى تعميق العنف الاقتصادي في تربة المعمورة ،ولي عنق الدول الضعيفة اقتصادياً والمغلوبة على أمرها على خدمة هذا السوق الذي لا تستطيع له دفعاً ولا تملك الإمكانيات اللازمة والكافية للدخول في منعرجاته و دهاليزه القائمة على الحداثة السياسية والتكنولوجية والذي يخلق عند فوكوياما" حوافز قوية لدى الدول المتقدمة على قبول الشروط الأساسية للحضارة الاقتصادية الرأسماليّة العالميّة ،إذ يسمح بدرجة كبيرة من التنافس الاقتصادي وبإطلاق العنان لآليات السوق لكي تنهض بمهمة تحديد الأسعار"(1). إنها السوق التي يجرفها نص هنتنغتون نحو الشرق حيث المصلحة الاقتصادية الآنيّة لمجتمعات شرقي آسيا تتمثل في المحافظة على الوصول إلى الأسواق الغربيّة ،وأنه في كل عام تقريباً يجتمع آلاف من رجال الأعمال والمصرفيين والمسئولين الحكوميين والمثقفين والصحفيين يتشاطرون معتقدات حول الفردية ،واقتصاديات السوق ،والديموقراطية السياسية ، والتي هي مشتركة فيما بين الشعوب في الحضارة الغربية ،ومن الواضح أن هناك أشكالاً متعددة من التسلّطية القوميّة ،النقابيّة ،الشيوعيّة القائمة على السوق (كما في الصين) والتي مازالت حيّة ومنتعشة في عالمنا اليوم(2).

1ـ فوكوياما،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص98.

2ـ لمزيد من المعلومات انظر هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ص129،ص144،ص213.

إنهما يرعيان خطاب العنف في إطاره الاقتصادي الذي بمقتضاه تتخذ الولايات المتحدة الأمريكيّة والغرب من الاقتصاد ذريعة لفرض هيمنتها وسيطرتها على أنحاء المعمورة.

لقد كان تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في البلدان الأخرى ،الذي كثيراً ما اتخذته ذريعة لإرسال قوّاتها لإنقاذ البشر من أحوالهم الاقتصادية المزرية كان دافعاً اقتصادياً محضاً وهو توسيع باحة السوق الرأسمالي والذي يربطه فريدمان للمفارقة مع الديموقراطية .فإنّ "الفائدة العظيمة للسوق هي أنه يسمح لتنوعات واسعة ، وبالمفهوم السياسي فهو يعتبر نظاماً لتمثيل نسبي لكل إنسان يستطيع أن ينتخب فلا يستمع لما تريده الأكثريّة بل عليه أن يقدم ورقة انتخابيّة ولو كان ينتمي إلى الأقليّة"(3). كما يجعل منه بل وارن*الطريق الملكي إلى الرفاهيّة ؛فقد قدم لنا بل وارن في(الإمبريالية رائدة الرأسمالية)وصفاً للتوسع الرأسمالي لا يقل حماسة في تقريره لإيجابيته عن حماسة البنك الدولي ؛مما جعل كما يذكر سمير أمين - "مجلة اليسار الجديد New Left Reviewالإنجليزية تعلّق على كتاب بل وارن المذكور ،إنه كتاب يفتح آفاقاً جديدة ويدعو إلى مراجعة جذرية للأفكار البسيطة السائدة ؛وحيث رأى بل وارن أن الرأسمالية تؤدي بالضرورة إلى تحسين أحوال الشعوب في العالم الثالث"(4)؛وهي كلها رؤى تحجب النقص الأساسي في هذا السوق الذي لم يعد حتى على راعيته أمريكا بفوائد كبيرة فإن صافي استثمارات الولايات

---

3 - فريدمان، ملتون - الرأسمالية والحرية - مرجع سابق - ص31.

* بل وارن: مؤلف كتاب الإمبريالية رائدة الرأسمالية وقدم وصفاً للتوسع الرأسمالي الذي يحطم العلاقات القديمة السائدة بين الرأسمالية ،وان رأس المال هو مرادف للتقدم.

4 - نقلاً عن أمين، سمير - ما بعد الرأسمالية - مرجع سابق - ص58. ص62.

المتحدة بالقياس إلى إجمالي الناتج القومي ـكما يذكر تشو مسكي ـ هو الآن أدنى مما هو عليه في الأقطار الصناعية الكبرى(5). كل هذا يتم باسم الديموقراطية والحرية الفردية الاقتصادية وقيام السوق الحر.

إلا أن السوق لم يُزِل الحكومة ـ كما يرى ملتون فريدمان ـ في قوله "ووجود السوق الحر لا يزيل الحاجة إلى الحكومة وعلى العكس تماماً كانت الحكومة مهمّة جداً كمنتدى أو محكمة لسن القوانين"(6).

وبدلاً من أن يثار سؤال : إلى أي مدى تستوعب الديموقراطية السوق؟ نسأل إلى أي مدى تستوعب السوق الديموقراطية ؟ إذ إن معناها هنا مختلف ،وأن هذا أمر متعلق بالمجتمعات الغربية .فالديموقراطية هنا ليست هي الديموقراطية الحقيقية التي نفهمها بمعنى مشاركة الشعب في الحكم لا محض التعبير عن رأيه هي الاسم الحركي للمضمون الحقيقي الذي يتناوله فوكوياما أي الرأسمالية بينما الرأسمالية أمر مختلف كلية في فحواها ورسالتها عن الديموقراطية(7). يقول ثورو :"لكل من الديموقراطية والرأسمالية معتقدات مختلفة فيما يخص التوزيع الصحيح للسلطة حيث تؤمن الديموقراطية بتوزيع متساو للسلطة السياسية ،بينما تؤمن الرأسمالية من هو أصلح اقتصادياً أن يطرد من لا يصلح عن العمل .فالبقاء للأصلح والتفاوت في القوة الشرائية هما كل ما

---

5 ـ تشو مسكي،نعوم ـ إعاقة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص101.

6 ـ فريدمان، ملتون ـ الرأسمالية والحرية ـ مرجع سابق ـ ص13 ،ولمزيد من المعلومات أنظر ص18من نفس المرجع حول حرية الاقتصاد والحرية السياسية ، و ص22من نفس المرجع عن أثر الحرية الاقتصادية في تحرر المواطن،وص32 عن سلطة الإكراه وكسر السوق لها.

7 ـ لمزيد من المعلومات انظر بيتر، ثورمان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص377،ولمزيد من المعلومات أيضاً انظر بايبك،سي،أوين ـ ارتقاء التقدم ـ مرجع سابق ـ ص25.

تعنيه الكفاية الرأسمالية :الرأسمالية تنسجم تماماً مع العبودية :وقد ظل الجنوب الأمريكي على مثل هذا النظام لأكثر من قرنين؛إلا أن الديموقراطية لا تنسجم مع العبودية"(8).

إنّ السوق هو الدولاب المسيِّر لهذا العالم الاقتصادي الذي رسمته أحلام فوكوياما وغازله نص هنتنغتون من خلال طرحه الحضاري الأمر الذي يكشف عن الوجه اللا ديموقراطي لهما ،فإن اقتصاديات دول الجنوب مثلاً لا تسمح لها من ناحية في الولوج إلى هذا السوق ، كما أن هذا السوق يتناقض في جوهره مع الديموقراطية؛فإن السوق حلبة سجال اقتصادية واسعة تتضارب فيه المصالح والأهداف خاصة السوق المعاصر الذي لا يفتح أبوابه إلا للكبار ويغلقها دون الاقتصاديات الصغيرة.

وهذا ما يعني به فوكوياما بانتصار الليبرالية ورأسمالية السوق الحرة بأن:"إذا كان هدف الدولة هو النمو الاقتصادي قبل أي اعتبار آخر ؛فإن التوليفة الأحرى بالنجاح ؛ليست هي الديموقراطية الليبرالية ولا هي الاشتراكية بصورتها اللينينية أو الديموقراطية ،وإنما هي توليفة الاقتصاد الليبرالي والنظام السياسي الديكتاتوري التي أسماها بعض المراقبين بالدولة الديكتاتورية البيروقراطية والتي قد نسميها نحن بالدكتاتورية الآخذة بنظام السوق"(9).

لقد بدأ تاريخ تطور الإنتاج الأمريكي الخارجي* في أواسط القرن التاسع عشر عندما قامت البرجوازية الأمريكية بالمحاولات الأولى للتغلغل في الأسواق

---

8 ـ توورو.لبستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص273.

9 ـ فوكوياما.فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص119.ولمزيد من المعلومات أنظر فوبدمان.متون الرأسمالية والحرية ـ مرجع سابق ـ ص18.ص22.ص31.ص32 حول السوق ودور الدولة فيه.

* تطور الانتاج الأمريكي الخارجي:أي ممارسة نفوذ ذلك الإنتاج الامريكي خارج حدوده بحصوله على موقع هام في السوق الخارجي بحيث يصبح لمستهلك الأجنبي الموجود خارج حدود أمريكا قريب من ذلك الإنتاج المتغلغل في السوق.

الخارجية بواسطة وضع الإنتاج في تماس مباشر مع المستهلك الأجنبي ؛إلا أن هذه المحاولات لم تحدث في الفراغ ؛فأثناء ممارسة التجار الأمريكيين للأعمال الأجنبية ظهرت فرصاً متعددة لإنشاء فروع (نموذج مستقبل)ترويجية أجنبية معاصرة ؛تعمل على تصريف السلع. وفي انجلترا مراكز تصريفية تقع تحت المراقبة .لقد توسعت جغرافية النشاطات التجارية الأجنبية بشكل ملحوظ بعد حصول الولايات المتحدة على استقلالها ؛مع أن "قابلية الحياة" لأغلب المشاريع التجارية بقيت ضعيفة جداً؛ ولم يكن خروج التجار الأمريكيين خارج حدود الولايات المتحدة مهماً كنماذج أولى للشركات المتعددة الجنسيات المعاصرة ؛بقدر تأثيرها على تطور عمليات الإنتاج الأجنبية"(10). إن هذا يعبّر عن الرغبة العارمة في مصادرة خيارات الشعوب وسد نوافذ كل أمل لديها في الاعتماد الذاتي.مع هذا تتبنى أمريكا رعاية الديموقراطية فإن سياساتها ـ كما يذهب هنتنغتون :" ساعدت في تحقيق الديموقراطية في آسيا والبرتغال وفي العديد من بلدان أمريكا اللاتينية والفلبين وكوريا الجنوبية وفي أوروبا الشرقية"(11). إنها الديموقراطية التي لا ترحم إذ إنها خرجت عن معناها الأصلي نحو اكتساح من لا يحملون لواءها ؛فهي ديموقراطية ترفض الواقع إنها حسب تعبير ثورو "تكتب التعاسة للبشر ؛وبدلاً من تدخل الدولة في السوق لتقف بجانب الخاسرين ؛تقوم بإزاحة الضعفاء اقتصادياً من المجتمع"(12). وفي القرن التاسع عشر صاغ الاقتصادي هربرت سبنسر" مفهوم

"تطور عمليات الانتاج الأجنبية؛ بحيث يصبح تدفق الانتاج من الدول الأخرى غير الأمريكية عنصرا كعنصر للانتاج الأمريكي ويكون ذلك من خلال الشركات المتعددة الجنسيات.

10 ـ بي. بو. سيدكوف ـ الشركات المتعددة الجنسية ـ مرجع سابق ـ ص19.

11 ـ هنتنغتون، صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص34.

12 ـ ثورو، ليستر مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص280.

يدعو إلى رأسمالية البقاء للأصلح اعتقد بموجبه أنه من واجب القوي اقتصادياً دفع الضعيف نحو الانقراض. وكان مجال تطبيق هذه الدارونية الاقتصادية السوق الذي شجع الغرب على تأسيسه من أجل مصادرة الآخر المختلف معه أيديولوجياً .

إنها "ديكتاتورية السوق" راعي العولمة وذلك في ضوء ما يروج له منظروها من أفكار ومقولات وسياسات وفي مقدمتهم صاحبينا فوكوياما وهنتنغتون(13). لقد عمل هؤلاء المنظرون على إطلاق تعميمات ذات طابع غير ديموقراطي وشمولي وغير مبرر علمياً كالقول مثلاً : إن مراعاة البعد الاجتماعي واحتياجات الفقراء أصبحت عبئاً لا يطاق(14). يقول فوكوياما : "تؤثر ضغوط السوق الرأسمالية في إمكانية توافر حياة جماعية قوية ؛فمبادئ الاقتصاد الليبرالي لا تعزز المجتمعات التقليدية ،بل تميل إلى بث الفرقة بين الأفراد وإبعاد بعضهم عن بعض"(15).

حيث إن مع نمو العولمة ازداد تركز الثروة واتسعت الفروق بين البشر والدول اتساعاً لا مثيل له ؛ حيث يشير صاحبا فخ العولمة إلى أن" 358مليارديراً في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه 2,5مليارمن سكان العالم ؛أي ما يزيد قليلاً عن نصف سكان العالم ،وأن هناك 20٪ من دول العالم تستحوذ على

---

* هربرت سبنسر Spencer ,Herbert (1820-1903)مهندس وكاتب وفيلسوف بريطاني يعتبر أبو علم الاجتماع ، وقد علم نفسه بنفسه وبالتالي كان تعليمه انتقائيا من بين أعماله فمبادئ الأولى عام 1860،علم 1887 وصل إلى قانون الشامل للتطور الفيزيقي والعضوي والاجتماعي .

13 ـ لمزيد من المعلومات أنظر فوكوياما،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص120 ،ولمزيد من المعلومات أيضاً انظر هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص385.

14 ـ بيتر،شومان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص9.

15 ـ فوكوياما،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص282.

85٪من الناتج العالمي الإجمالي، وعلى 84٪ من التجارة العالمية ،ويمتلك سكانها 85٪من مجموع المدخرات العالمية "(16). إن هذا يزيد من النمو اللامتكافىء بين دول العالم حيث: "في أفريقيا وآسيا وكاليفورنيا وبخلاف بضع مدن تتركز فيها وسائل الصناعة الحديثة والتقنية العالية ،فإن الجزء الأعظم من العالم يتحول خلافاً لذلك إلى جزر منفصلة ،وإلى عالم بؤس وفاقة ويكتظ بالمدن القذرة والفقيرة"(17). في الوقت الذي نجد فيه الولايات المتحدة مثلاً يبلغ حجم الإنتاج العام مقداراً يكفل لكل فرد من أهلها حياة كريمة ،بل أميل إلى أن تكون مرفّهة ،الولايات المتحدة تملك أكبر نسبة في العالم من الأرض المستثمرة بالنسبة للشخص الواحد ،ومع هذا فإن كل هذه الوفرة لا يمكن أن توفر مختلف رغبات أفراد المجتمع(18) ،والتضحية بهم من أجل أممية رأس المال التي لا تهتم إلا بالربح وتعديل التشريعات بل وإلغاء الدول ،وقد ساعد على هذا بالطبع انهيار النموذج الاشتراكي وأطلق من ثم ظاهرة العولمة التي تنحاز للأغنياء وتهمش الضعفاء اقتصادياً ومن ثم: "أدت إلى انصهار مختلف الاقتصادات القومية والوطنية والإقليمية في اقتصاد عالمي موحد ،بعد أن صار العالم سوقاً واحدة وأن التجارة العالمية تبدو وكأنها في نمو مطرد يستفيد منه الجميع ،بعد أن غدا العالم قرية كونية متشابهة"(19).

---

16 ـ بيتر شودان ـ في العولمة ـ مرجع سابق ـ ص11.

17 ـ المرجع السابق ـ نفس الصفحة.

18 ـ آرون وعمون ـ أقنون المثقفين ـ ت: عادل زعيتر ـ ط1 ـ منشورات المكتبة الأهلية ـ بيروت ـ 1962م ـ ص168.

19 ـ بيتر شودان ـ في العولمة ـ مرجع سابق ـ ص11.

منذ قيام الثورة الفرنسية شهد العالم أكثر من مجرد توسع في التجارة بل كانت أكثر من تسارع النمو الاقتصادي العام ؛وكانت ثورة في قدرة الإنسان على بلوغ وسائل الحياة وفي سيطرته على بيئته وفي تخلصه من طغيان الطبيعة وشحّها(20).

إلا أن الروح الذرائعي التي اتصفت بها قوى الغرب بعد ذلك والتي شوّشت على المفاهيم الإنسانية التنويرية الداعية للحرية والمساواة ؛قد خرجت بهذا الإنجاز من الإطار الإنساني الصحيح نحو طرح آخر هو طرح خطاب العنف الذي نشرته الولايات المتحدة على الساحة ليكون أداتها في التحكم بشكل قاطع على أسواق العالم ودول الهامش خاصة حيث لا تمكنها إمكاناتها من مناطحة خطاب العنف هذا .ولم تكتفِ الولايات المتحدة بدول العالم الثالث بل بدأت بدول الجوار عن طريق المؤسسات أرادت أن تقيد بها دول أمريكا كمؤسسة النافتا "التي قمنا بتناولها من قبل" واستغلال الظروف السياسية الاقتصادية هناك حيث يعيش الناس في فقر مدقع(21).'إنها التقنية العسكرية التي ـ كما يقول در يدا متهكّماً ـ لن تقودنا إلا إلى أبواب هذه الأرض المعهودة ـ ويقصد بها هنا ـ الديموقراطية الليبرالية التي سوف تؤدي عن طريق التقدم الصناعي إلى الحرية السياسية(22)'؛وهنا نتفق على أن هناك حقيقة قد غابت عن هنتنغتون فيما ذهب إليه من أنه لم يكن بمقدور الغرب أن يصبح غرباً بالمعنى المتداول في كتابه في حال غيابها وهي النهب المنظم الذي مارسه

---

20 ـ بابيك،سي .أوين ـ الرقعة الكبرى ـ مرجع سابق ـ ص77.

21 ـ لمزيد من المعلومات انظر نعوم شومسكي .نعوم ـ إعادة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص260.ص265.

22 ـ لمزيد من المعلومات انظر دريدا،جاك ـ أطياف ماركس ـ مرجع سابق ـ ص119.120.

الغربيون خلال أربعة قرون من الغزو والفتوحات خارج حدودهم فقد مكنت الفتوحات الاستعمارية البلدان الأوروبية من تحقيق تمركز هائل للثروة وخلق أسواق جديدة واستثمار الأيدي العاملة ومازالت الهيمنة الغربية أهم ضمانات استمرار التفوق التقني أو ديمومة السلام الاجتماعي الغربي.إن هذا يمثل حقيقة خطاب العنف عند هنتنغتون على الصعيد الاقتصادي كما مثل من قبل خطاب العنف على الصعيد الحضاري حيث يذهب هنتنغتون إلى أن: "استمرار حياة الغرب يعتمد على الأمريكيين وهم يعيدون تأكيد هويتهم الغربية ؛وعلى سكان العالم الغربي وقد قبلوا حضارتهم على أنها متميزة وليست عالمية أو كونية وقد اتحدوا لغرض تجديدها وصيانتها ضد التحديات من المجتمعات غير الغربية ؛إن تجنب حرب عالمية بين الحضارات يعتمد على قادة العالم لقبولهم وتعاونهم للحفاظ على الطابع المتعدد الحضارات للسياسة العالمية"(23).

إن قوّة الولايات المتحدة في سيطرتها على الأسواق العالمية وفي تدفق سيل استثماراتها الخاصة بأوروبا والدول المتخلفة وبتسييرها للنظام النقدي الدولي الذي يخضع لمصالحها منذ عام 1945 .قد أدى بها لأن تلعب الدور الأساسي في قيادة التيار الإمبريالي في القرن العشرين ؛مع أن اقتصادها يعرف عدة نقاط ضعف كفقر عدة أقاليم وعدة فئات اجتماعية خاصة السكان السود" الذين لا يزالون يعيشون ضحية العنصرية ؛وانعدام التوازن الاقتصادي نتيجة لعدم انسجام نمو القطاعات ،وتراكم عجز الميزانية نتيجة لخروج الاستثمارات إلى

23ـ هنتنغتون.صموئيل .صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص72 .ولمزيد من المعلومات أنظر (سيمون.توسترـ صموئيل هنتنغتون: صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي الجديد ـ نيويورك ـ 1996م) مجلة الكرمل ـ العدد54ـ فصلية ثقافية ـ عام 1998م ـ ص262.

الخارج للسياسة العسكرية التوسعية التي تنتهجها الولايات المتحدة"(24). واستمر العنف يلعب دوره في إنتاج الثروة في تلك الأسواق والمصانع والمعامل الأولى فيما كان الأطفال يقصرون على تشغيل الآلات ويضربون ...وفيما كانت النساء العاملات في المناجم يتعرضن إلى المعاملة الوحشية والاغتصاب وكذلك ضرب الرجال حتى الإذعان(25).

لقد ارتبط السوق الغربي خاصة الأمريكي بالنظرة الاستراتيجية إذ تغلغلت فيه المؤسسة العسكرية الغربية التي لم تتورع من بيع السلاح والاتجار به ،وتحول البنتاغون إلى وكالة اقتصادية لبيع الأسلحة التي بلغ مجمل بيعها ما يقدر بربع الناتج المحلي للولايات المتحدة الأمريكية .وهذا ما نسميه بعولمة السلاح الذي تنفرد به أمريكا والترويج له بعد أن سقط السلاح السوفيتي . يذهب هنتنغتون إلى أن: "العقود الأخيرة من القرن العشرين شهدت امتلاك العديد من الأمم غير الغربية لأسلحة متقدمة من المجتمعات الغربية وروسيا وإسرائيل والصين ،وأيضاً وجود تسهيلات صناعية عسكرية أصلية لأسلحة متطورة .هذه العمليات ستستمر ومن المحتمل أن تتفاقم خلال السنوات الأولى للقرن الواحد والعشرين ،وبالرغم من ذلك الدخول في هذا القرن جيداً ،الغرب يعني في المقام الأول الولايات المتحدة بالإضافة إلى مساعدة كل من بريطانيا وفرنسا ستكون وحدها قادرة على التدخل العسكري في أي جزء من العالم تقريباً ،والولايات المتحدة فقط القوة الجوية القادرة على الضرب بالقنابل في أي مكان من العالم"(26)، و فوكوياما في أن : " العلم الحديث كان قد مكن من اختراع

---

24 ـ ولعلو، فتح الله ـ في فلسفة الاقتصاد ـ مرجع سابق ـ ص70.

25ـ توفل، آلفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص57.

26 ـ هنتنغتون، صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص337، ص338.

أسلحة دمار لم يسبق لها مثيل :كالمدافع الرشاشة والطائرات القاذفة :فإن السياسة الحديثة قد مكنت من ظهور دولة ذات سلطان غير مسبوق :بحيث نشأت ضرورة لابتكار كلمة جديدة لوصفها :وهي"الشمولية""(27). وكان هذا التدخل لضمان منطقة تموينية لاقتصادات رأسمالية الدولة* التي كانت ترجو أن تعيد بناءها في أوروبا الغربية واليابان :في الوقت نفسه ساعد نزاع الحرب الباردة على أن تحتفظ الولايات المتحدة بنفوذها على حلفائها الصناعيين حيث يتعارض الاقتصاد الهادف* إلى الاكتفاء الذاتي مع خطط الولايات المتحدة لإنشاء منظومة عالمية تقوم "نسبياً " على التجارة الحرة والاستثمار ،الأمر الذي كان من المتوقع أن يؤدي إلى هيمنة الشركات الأمريكية الكبرى عليها(28). مما يجعل النص الماركسي صالحاً حتى الآن ليفسر ضجيج الصراع الذي تحدت الأنف الرأسمالي الاقتصادي."باستثناء عهود الازدهار فإن أعنف الصراع يتسبب بين الرأسماليين في سبيل مواضع في السوق وفي سبيل أرباحهم الشخصية التي هي متناسبة تناسباً مباشراً مع السعر المنخفض لمنتوجاتهم:إن المجتمع الرأسمالي يشتري وقت الفراغ لطبقة واحدة بتحويل حياة الجماهير كلها إلى وقت عمل"(29).

---

27 ـ فوكوياما.فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص23.

* رأسمالية الدولة:وتعني احتكار الدولة للانتاج الصناعي بصرف النظر عن الظروف التي يتم فيها هذا الاحتكار .والدولة فيها عبارة عن مؤسسة رأسمالية كبرى تستغل العمال من أجل أن تجني الأرباح شأنها في ذلك شأن أي رأسمالي اخر.

* ويقصد بالاقتصاد الهادف: تحقيق أهداف المجتمع في مجموعه بإشباع الحاجات أكثر من اهتمامها بتحقيق المصالح والأهداف الفردية ويقصد به الاقتصاد الذي يعتمد على قطاعات قيادية وحاسمة في الصناعة بحيث إن الصناعة إذا ما تطورت سوف ترفه الاقتصاد الوطني .ومن ثم يتطور دخلها القومي .وهذا يعكس التفرقة بين الاقتصاد الذي يعتمد على الزراعة والانتاج الزراعي إذ أن الزراعة والسلع الزراعية قليلة الكشف وأسعارها ليست مرتفعة مقارنة بالسلع الصناعية وأسواقها محددة فهي لا تزيد أو لا تؤثر بالدخل القومي بالشكل المطلوب .أما الصناعة فهي نظراً لأن تنتج السلع الاستهلاكية المعمرة أو التي تنتج وسائل الانتاج وهي التي تولد الانتاج بطرقات جديدة وتفرعات عالية هذا إضافة إلى أن الزراعة سوف لا تعطي للمجتمع القدرات العسكرية العالية لذلك فالاقتصاد الهادف هو الاقتصاد الذي يوازن بين الانتاج الصناعي أو القطاعات الصناعية أو القطاعات الزراعية أو الخدمية (مثل السياحة) ولكل منها هدف في زيادة الدخل القومي.

28 ـ تشومسكي.نعوم:إعادة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص37.

29 ـ ماركس.كارل ـ رأس المال ـ الجزء الثاني ـ مرجع سابق ـ ص 552. ص645.ص751.

إن حركة رأس المال لا تنحصر في تخوم معينة ؛وإنما تتجاوزها لخرق حدود جديدة حتى توجد أسواق عالمية مباشرة لها ؛فهو ينطلق متجسداً في بضائع التي تعتبر البدء في انطلاقة رأس المال ـ كما يورد ماركس ـ "إن رواج البضائع هو نقطة الانطلاقة لرأس المال ؛فهو لا يظهر إلا حيث يكون الإنتاج البضائعي والتجارة قد بلغا درجة معينة من التطور"(30) ؛ وكما يوضح ماركس نفسه في موضع آخر:"غالباً ما جعل الناس من الإنسان نفسه في صورة الرقيق ؛المادة الأولية لمالهم ولم يكن أبداً هذه حال الأرض وفكرة كهذه ما كان لها أن تولد إلا في مجتمع برجوازي بلغ فعلاً مرحلة من التطور ؛وهي تعود بتاريخها إلى الثلث الأخير من القرن السابع عشر ؛ولم تجر المحاولة لتحقيقها على نطاق واسع من قبل أمة بكاملها إلا بعد مضي قرن من الزمن في ثورة 1789 في فرنسا"(31).

الأمر الذي يجعل من النص الماركسي حيّاً يرزق فهو ـ على حد تعبير ثورو ـ يمثّل داءاً كامناً فيها يدفع أصحابها للركض وراء الربح العاجل ويمنعها من وضع خارطة تسير وفقها في المستقبل ؛إن الرأسمالية أصبحت تفتقد حالة النمو وتوفير اليد العاملة واستقرار الأموال وارتفاع الأجور وإلى ما هنالك ؛وكل شيء من هذه يأخذ بالاختفاء ؛فيلاحظ تدني نسب النمو الاقتصادي وخاصة في العقود الأخيرة ؛ وأصبحت البطالة* ظاهرة واضحة للعيان وزادت نسبتها وتنذرنا الأسواق المالية بحدوث انهيارات كبيرة في بلدان معينة نتيجة لاضطراب

---

30 ـ المرجع السابق ـ الجزء الأول ـ ص117 ـ ص118.

31ـ نفس المرجع ـ ص199.

* تنشأ البطالة في المجتمع عندما يكون الإنسان الراغب والقادر والمؤهل على العمل في مجال معين غير قادر على ايجاد ذلك النوع من العمل تحت الظروف والقوانين السائدة بالمجتمع.

هذه الأسواق فيرى أن شيئاً ما قد تغير في الرأسمالية التي أصابها الوهن ،ولكي تبقى لابد من أن يتغير شيء منها(32).

فإذا كان الانفتاح على السوق العالمي الذي تمهد له في الغالب أنظمة متسلطة وغير شعبية ،يمكن أن يصاحبه عودة للديموقراطية ،ولكن يصاحبه أيضاً بروز أكثر للثنائية الاقتصادية ،ففي أمريكا اللاتينية على سبيل المثال أعقب تقهقر النظم الوطنية ـ الشعبية في عديد من البلاد انتصار للديكتاتوريات العسكرية واستبدال سياسة ليبرالية في البحث عن المزايا التنافسية في السوق العالمي بسياسة الحماية الاقتصادية" .وإن هذه السياسة الاقتصادية قد تكيفت مع عودة الانتخابات الحرة دون أن تقضي على الاتجاه الذي ساد سنوات الثمانينيات إلى تصاعد الهامشية ،ولقد أصبح الفقراء أكثر فقراً وشهدت قطاعات واسعة من الطبقة الوسطى معلمين وموظفين وغيرهم تدهوراً بالغاً في وضعها ،في حين أن الأغنياء قد احتفظوا بمواقعهم واستفادوا بالتصدير الضخم للرساميل التي جاءت بها الديون الخارجية لبلادهم(33). فمثلاً :"نجد في البرازيل ذلك القطر ذو الموارد الغنية والذي عانى كثيراً ولفترة طويلة من النفوذ الأوروبي ثم بعد ذلك التدخل الأمريكي حيث شهدت ظروف الفقراء تراجعاً واضحاً، وفُرضت إجراءات التقشف وفق الصيغة القياسية لصندوق النقد الدولي في محاولة لمعالجة هذه الكارثة التي أصابت الرأسمالية بشكل من الأشكال"(34).

---

32 ـ توروـ ليبتز ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص9.

"الحماية الاقتصادية: تقوم بفرضها الدولة وليس الأفراد على منتجاتها عند دخولها أو خروجها من السوق التنافسي لحماية صناعتها الوطنية ولهذا تأثير كبير ليس فقط على الصناعة المحلية نفسها بل حتى على الأيدي العاملة التي قد تتسرب الى الخارج.

33 ـ لمزيد من المعلومات انظر توريين ،آلين .نقد الحداثة ـ ت: أنور مغيث ـ المشروع القومي للترجمة ـ (38) ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ 1997م ـ ص429.

34 ـ تشو مسكي، نعوم ـ إعادة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص260، ص263.

ولكن الليبراليين ما فتئوا يوقنون أنه بناء على قانون السوق ،يمكن للاستثمار والنمو أن يستأنفا سيرهما ،وللبطالة أن تتراجع والحال أن التجربة تثبت لنا منذ عام 1973 ،وهذا ما يؤكد القول على أن: "هذا غير صحيح فمع الاستثمار تتزايد الإنتاجية وتلغي وظائف عمل عديدة ،فمن أصل 25مليون وظيفة عمل في الزراعة الفرنسية في نهاية الخمسينيات ،هبطت إلى أقل من 10 ملايين وظيفة عمل ،ومن المتوقع أن يستمر الهبوط إلى حدود 5ملايين وظيفة عمل فقط في نهاية هذا القرن وفي الصناعات أيضاً لا تفتأ نسبة الشغيلة تتراجع باضطراد"(35). إن هذا يناقض ما يراه فوكوياما: "الليبرالية في جانبها الاقتصادي هي الاعتراف بالحق في ممارسة النشاط الاقتصادي والتبادل الاقتصادي الحرّين على أساس الملكية الخاصة وقوانين السوق"(36).

ـ لقد قدمت طبقة العمال تضحيات هائلة في سبيل التنمية في ظل النظام الرأسمالي ،وليس بمقدورهم الدفاع عن حقوقهم نتيجة لانعدام التكتلات النقابية :ليطول وقت عملهم ،وتنعدم الاحتياجات الصحية الضرورية ،ويكون العامل منقاداً وتابعاً لرئيسه :حيث امتد هذا النظام وتوسع حتى رسم لنفسه خريطة من أجل مد سيطرته على العالم حيث استولت الدول الرأسمالية على أراضي وخيرات شعوب البلدان الفقيرة في كل من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية :حيث كان هذا المد الإمبريالي من طبيعة هذا النظام ،وتتسابق هذه الدول في السطو على المستعمرات الشيء الذي فجر تناقضات كبيرة بينها : وتعقد الاتفاقيات والمعاهدات بشكل سري وعلني تتقاسم بموجبها الغنائم(37).

---

35 ـ ريفيه ،ديمون ـ نقد العالم المعاصر ـ مرجع سابق ـ ص238.

36 ـ فوكوياما ،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص55.

37 ـ لمزيد من المعلومات انظر وتعرف الله ـ في فلسفة الاقتصاد ـ مرجع سابق ـ ص63،ص65.

إنهُ سوقٌ ذو خاصية معينة ؛إنهُ سوق الديموقراطية التي تتطلب سوقاً معينة يحتمل التحولات الاقتصادية الهائلة وهو وحده الذي يصدر صكوك الغفران لتلك الدول التابعة ؛حتى وإن لم تمكنها اقتصادياتها من الانتماء إلى هذا السوق إنها البلد الذي تبدأ في الانصياع لتلك السياسات والخضوع لنطق أسواق النقد العالمية(38).

إن نقد ماركس يصدق مرة أخرى في أنه"حتى البارحة كان البرجوازي بذلك الصلف المزهو الذي يمنحه الازدهار يعلن بأن النقد هو وهم باطل ؛وكان يصرخ إن البضاعة هي وحدها النقد: أما الآن فصرخته التي تدوي في أرجاء السوق العالمية هي : النقد وحده هو البضاعة وكما يرغي الوعل الظامئ طلباً لنبع الماء المعين ؛هكذا روح البرجوازي تنادي المال بصيحات عالية ؛المال الثروة الوحيدة المفردة"(39).ليتحول العالم إلى رهينة في قبضة حفنة من كبار المضاربين الذين يتاجرون بالعملات والأوراق المالية مستخدمين مليارات الدولارات التي توفرها البنوك ـ وشركات التأمين وصناديق الاستثمار الدولية وصناديق التامين والمعاشات حيث إنهم أصبحوا قادرين على التحكم في رفاهية أو فقر أمم ودول دون أن توجد أي سلطة محلية أو عالمية ؛وكل ما يحدث الآن على ساحة الأسواق النقدية والمالية ما هو إلا نتيجة طبيعية ومنطقية للسياسات والقوانين التي شجعتها حكومات الدول الصناعية الكبرى تحت ما سمي بتحرير الأسواق المالية والنقدية ؛وهي عمليات سرعان ما أجبر صندوق النقد

---

38 ـ لمزيد من المعلومات انظر بيتر، نيومان ـ فيليب اوتنة ـ مرجع سابق ـ ص14 ،ص15.

39 ـ ماركس ،كارل ـ رأس المال ـ الجزء الأول ـ مرجع سابق ـ ص183.

الدولي مختلف دول العالم على تطبيقها(40). لقد أصبح الطريق أمام الدول النامية شائكاً وصعباً في عالم تسوده التكتلات التجارية الإقليمية عندما تريد أحد هذه الدول بيع منتجاتها وهي لا تنتمي لأحد من هذه الجماعات التجارية ،فغدا دخول الأسواق امتيازاً تناله الدولة وليس حقاً يمنح أوتوماتيكياً ،فإن جميع التسهيلات التي منحت لأي بلد للدخول إلى أسواق العالم الأول بعد الحرب العالمية الثانية أسهمت في ثرائها ،وأسواق العالم الأول هي أسواق أمريكا في الأغلب الأعم(41). التي خرجت من الحرب العالمية الثانية حاملة لواء القوى الاقتصادية المهيمنة على صعيد العالم أجمع(42). هذه الأسواق التي مثلت أغنى وأكبر دول العالم تبدو كما لو كانت أسيرة سياسة لم تعد تسمح بأي توجه آخر، وليس هناك مكان عانى فيه السكان من هذا التطور ما عاناه سكان الوطن الأم للثروة الرأسمالية المضادة خصوصاً أعني الولايات المتحدة الأمريكية(43).

إنَّ الديموقراطية الحقة تمارس عندما يكون الناس في مأمن من غوائل الفقر والمرض والبطالة ،أما الديموقراطية الزائفة (الليبرالية) فإن كل همها كان تسريع حركة التجارة حيث راحت الشركات التجارية العالمية ومطاعم الأكل السريع والمحلات تفتح فروعها العديمة النكهة المميزة هنا(44).

---

40 ـ بيتر،شومان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص13.

41 ـ لورو ليستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص140،ص141.

42 ـ بابيك،سي،أوين ـ أوغاد التقدم ـ مرجع سابق ـ ص246.

43 ـ بيتر،شومان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص209.

44 ـ بيتر،شومان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص15،ص52.

اليوم يتأدى الموقف المتصلب في واشنطن والدوغمائية الليبرالية المسرفة إلى إغراق ديموقراطيات العالم الثالث الفتية في الديون ؛وإذا لم تسمح الولايات المتحدة لهذه الدول ب"توزيع" اقتصاداتها وفق أسس تختارها بنفسها ؛فإن محاولات الديموقراطية ؛الهشّة للغاية في الأصل لن يكون مآلها إلا إلى فشل(45). إنها تلك المنطقة من الأيدولوجيا التي وظيفتها أن تشغل المقام المسيطر وهي دائماً التي تخدم على أفضل وجه في إخفاء التأثير الذي يحابيه المستوى الاقتصادي فإن كل إيديولوجية لا توجد ولا تتحقق إلا في مؤسسات مادية (46).

إن الفكرة الدافعة وراء العولمة هي رأسمالية السوق الحرة ؛الذي يقوم مبدؤها على أنه كلما تركت قوى السوق هي التي تحكم ؛وكلما فتحت أبواب اقتصادك أمام التجارة الحرة والمنافسة ؛أصبح اقتصادك أكثر كفاءة وازدهاراً ؛والعولمة تعني انتشار رأسمالية السوق الحرة إلى كل دولة تقريباً في العالم ؛ولها مجموعة خاصة بها من القوانين الاقتصادية ؛قوانين تدور حول انفتاح كل دولة وإلغاء القوانين المنظمة له وخصخصته(47) ؛ ولهذا فإن تلك الديموقراطية التي يتشدق بها فوكوياما والتي يظهر فيها اهتمامه بتوكفيل* وآرائه في الديموقراطية الليبرالية التي تخدم أهدافه الأيديولوجية ؛حيث يرى توكفيل بأن نجاح الديموقراطية الأمريكية في حل الصراعات بين مختلف جماعات المصالح في شعبها الدينامي متنوع الجذور العرقية ؛فلا يعني أن الديموقراطية ستنجح أيضاً

---

45 ـ ريتشه ،ديمون ـ نقد العالم المعاصر ـ مرجع سابق ـ ص269.

46 ـ (توسيل ،أندريه ـ الأيديولوجية ونظرية الأيديولوجية) في الأيديولوجيات في العالم المعاصر لمجموعة من الباحثين بـ: صلاح الدين برمدا ـ مرجع سابق ـ ص298، ص299.

47 ـ فريدمان ،توماس ـ السيارة الكيوس وشجرة الزيتون ـ مرجع سابق ـ ص31.

* ألكسس دي توكفيل:(1805ـ 1859) سياسي ومؤرخ وفيلسوف فرنسي درس النظام السياسي الأمريكي عن كثب ووضع أول دراسة تحليلية للدستور الأمريكي له أيضا كتاب متميز يرصد فيه تفاصيل الحياة الفرنسية اليومية قبل الثورة من مؤلفاته :الديموقراطية في أمريكا في الثلاثينات من القرن التاسع عشر.

في حل الصراعات في المجتمعات الأخرى (48). هي الديموقراطية التي تصون وتحمي مصالح الأثرياء ولهذا ذهبوا إلى أن السوق هو الذي ينظم نفسه بنفسه ؛مخافة تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية التي سوف لن تتجاهل حتماً البعد الاجتماعي والإيديولوجي ؛ولهذا جعل من سوقه رقيباً أيديولوجياً يبعد الدولة ويدعو إلى : "الانفتاح على السوق النقدي والمالي العالمي يتحول لأيديولوجية حاسمة يجب على الجميع الخضوع لها : وألا يكون العقاب ملزماً من قبل قانون الغاب ؛وكل دول العالم تحت تأثير الضغوطات التي تمارسها عليها المنظمات الدولية أخذت في تطبيق سياسات الانفتاح المتعولم"(49). ليفرغ التقدم والرخاء الاقتصادي من معنييهما الحقيقيين بالرغم من الاقتصادات الباهرة التي حققها هذا التقدم "متمثلة في الازدهار الواسع في العالم المتقدم ـ انتشار أسواق عالمية متكاملة وتراكمات ضخمة لرؤوس الأموال تقلل من أهمية أي فرصة لذلك التقدم بأن يستمر ،إن هذا الالتقاء ما بين المحدوديات الجوهرية والشكلية قد أدى إلى تباطؤ معدلات التقدم ؛وها هي تأثيرات ذلك تتسع وتزداد شدة : كما أن مستويات المعيشة قد بلغت حداً لا نهاية له"(50). فمن سخرية القدر أن النجاح الذي حققته الاشتراكيات الديموقراطية *في الحد من هيمنة رأس المال هو الذي يدفع الآن إلى السيادة والشمولية الجديدة للنظام الرأسمالي وكلما كان

48ـ لمزيد من المعلومات أنظر فوكوياما،فرنسيس .نهاية التاريخ وخاتم البشر . ـ مرجع سابق . ـ ص115 ، ص190، ص198 .ص230 .ص270،ص271 .ص280،ص281.

49 ـ بيتر،شومان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص13.

50 ـ بابيت،سي،أوين ـ ارنه، التقدم ـ مرجع سابق ـ ص40.

* وتعني الاشتراكية الديموقراطية التدرج السلمي بارتفاع نسبة الضرائب من أصحاب الدخل المحدود إلى أصحاب الدخل العالي بحكومة لتحقيق أعلى درجة من العدالة في ظل الرأسمالية كنظام ،والتي تريد تحقيق الاشتراكية عن طريق البرلمان.

العملاق الأمريكي أشد بطشاً في استخدام قوته زادت أكثر احتمالات ردود الفعل العدائية من حيث إن العولمة في أسواق المال هي أمركة العالم(51).

إنَّ العولمة تتعدد وتتباين معانيها مع تباين مقاصد المتحدثين عنها والداعين إليها أو إلى مناهضتها فهي حيناً تزعم بأن الأرض قرية واحدة تهاوت فيها الحدود القومية مع إعلان وفاة أو نهاية الدولة ـ الأمة ـ القومية والعولمة أيضاً هي تدويل للحياة الاقتصادية والسياسية سقطت معه الحواجز الحمائية** ،وهي الحدود المفتوحة للشركات المتعدية القومية لدخول استثماراتها المالية ومنتجاتها ؛وتكريسها للاستسلام لآليات السوق*** " الحرة" المتحررة من الضوابط والقوانين الاجتماعية التي تسمح بتوسع حجم السوق(52). يقول فوكوياما بأن: "التحسينات التكنولوجية مثلاً في ميادين الاتصالات والمواصلات كرصف الطرق ؛وتطوير السفن والموانئ ؛واختراع القطارات ؛وما شابه ذلك هيأت إمكانية التوسع في حجم الأسواق ؛وهو ما ييسر بدوره قيام وفورات الحجم الكبير عن طريق ترشيد تنظيم العمالة ؛والمهام التخصصة التي كانت غير مربحة حين كان المصنع لا يبيع منتجاته لأكثر من قريتين محليتين ؛ تصبح فجأة ذات قيمة كبيرة حين يبيع هذا المصنع منتجاته لأمة بأسرها ؛ أو لسوق دولية أوسع وتؤدي هذه الإنتاجية المتزايدة الناجمة عن مثل هذه

---

51 ـ بيتر.شومان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص137،ص145.

** الحواجز الحمائية:وتعني الحد الذي كانت تقيمه الدولة لحمايتها ولتحول دون دخول الإنتاج الأجنبي والاستثمارات المالية إلى داخل حدودها.

*** ويقصد بالبلف السوق:أي القوانين والإجراءات التي يسير السوق بمقتضاها والسياسة المرسومة التي يتبعها كل من يدخل إليه سواء الخاص بتحديد الأسعار وأنواع وكميات السلع المطروحة في السوق وتمكن من عملية تحقيق الاتصال المباشر ما بين البائعين والمشترين.

52 ـ جيمس.أنجوني ـ بعيداً عن اليسار واليمين ـ مرجع سابق ـ ص37.

التغيرات ؛إلى توسيع السوق الداخلية ؛وتخلق حاجة جديدة إلى تقسيم للعمل أبعد مدى"(53)؛ وأصبح العالم باختصار محتكراً من قبل الغرب ؛أو على الأقل مطوقاً من قبله وسوف يعاد تقسيمه أو تقاسمه بحسب هوى ومقتضيات المتغيرات الطارئة على الاقتصاد ـ العالم(54)؛حتى يومنا هذا يتجول في أنحائه الإنسان الاقتصادي ؛الثيموس الفوكوياما.

53 ـ فوكوياما،فرانسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص81،ص82.

54 ـ لمزيد من المعلومات انظر لاتوش ،سيرجي ـ تغريب العالم ـ مرجع سابق ـ ص18.

ـ الفصلُ الثاني : /أيديولوجيا الخصم ومُطاردة التَّاريخ : ـ

ما من أحدٍ يُقر بأيديولوجيا تنفي أيديولوجيتَهُ ؛وعندما يعيبُ أحد أيديولوجيا بعينها فهي دائماً أيديولوجية الخصم ؛ أي الخصم الاشتراكي هنا؛ذلك الذي لم يكن يقل رغبة عن الرأسمالي المغامر في حيازة العالم؛وهذا عين ما يتبناه فوكوياما على المستوى الأيديولوجي والسياسي؛وهنتنغتون على المستوى الثقافي.وهو نفي قائم على قناعتهما بأن الماركسية لم تكن تقل رغبة في امتطاء صهوة العالمية وهذا ما نقر به.

فإنَّ الماركسية كانت تريد أن تكونن الاشتراكية العلمية التي أعلن عن شعارها أنجلز"ياعمال العالم اتحدوا" منذ اثنتين وأربعين سنة ؛عشية أول ثورة باريسية خاضتها البروليتاريا بمطالبها الخاصة ؛فلم تجاوبها سوى أصوات قليلة ؛"ولكن ما حان يوم 28 أيلول عام 1864 حتى أتحد البروليتاريون من معظم أقطار أوروبا الغربية ؛ كي يؤلفوا "جمعية الشغيلة الأممية " المجيدة الذكرى ؛ففي اللحظة التي أكتب فيها هذه السطور تستعرض الطبقة العاملة الأوروبية والأمريكية قواها المجنَّدة لأول مرة في جيش واحد ؛وتحت علم واحد ؛وفي سبيل هدف مباشر واحد ؛وهو تحديد يوم العمل العادي بثمان ساعات تحديداً مشروعاً"(55). و قد عمل ماركس على نقد الاشتراكيين الحقيقيين** حتى يبين ما يصبو إليه من غايات وأهداف ؛بأنها لا تتوجه لذهن المفكر الألماني بل إلى العاطفة الألمانية ؛ فهي لا تتوجه إلى البروليتاريين؛بل إلى

---

* فردريك أنجلز:F.Engels(1820-1895) فيلسوف انجليزي من رحل أصل برجوازي ثري مع هذا كان من أكبر فلاسفة البروليتاريا (الطبقة العاملة) حمية وفاعلية ؛درس الفلسفة متبنيا الموقف الهيغلي بحسم ؛نقد مثالية هيغل ؛اصبح أحد الرواد في الفكر الاشتراكي في العام 1844 التقى كارل ماركس في باريس ليصبو صديقه ورفيقه.

55 ـ ماركس.أنجلز ـ البيان الشيوعي ـ ط4 ـ المكتبة الاشتراكية ـ دار دمشق ـ 1972م ـ ص33. ص34.

** الإشتراكيون الحقيقيون:وهم جماعة من المفكرين الألمان الذين كان تصورهم للإشتراكية محدود بالبيئة المحلية ؛وقد تقدم ماركس في الأيديولوجية الألمانية على أساس من تصور د لماركسية عالمية.

الطبقتين من البشر الأكثر عدداً في ألمانيا :إلى البرجوازية الصغيرة بأوهامها الخيرية وإلى أيديولوجي هذه البرجوازية الصغيرة بالذات الفلاسفة وتلامذتهم: إن الألمان يجابهون الشعوب الأخرى برضى لا حدود له زاعمين أنها مملكتهم مملكة الماهية الإنسانية قمة وخاتمة التاريخ العالمي بأسره: إنهم ليعتبرون في كل مجال أن أوهامهم الحالة هي الحكم النهائي على الأمم الأخرى(56).

إنَّ الماركسية لا تقل رغبة عن إنهاء الأيديولوجية عن الخصيم الليبرالي الديموقراطي ولكن بطريقتها الخاصة التي جاءت بها أطروحات ماركس :بأن تكون نهاية المطاف لديكتاتورية البروليتاريا مشكّلة نهاية التاريخ .

فإنَّ بعض رجال الرأسمالية ومفكريها الذين يملكون الموضوعية لا يجدون شيئاً جديداً من الذي انتهت إليه الرأسمالية في نهاية القرن العشرين يختلف في مضمونه عما جاء به ماركس في رأس المال .أكّد ماركس في رأس المال أن الرأسمالية ستحكم سيطرتها على المزيد من المناطق وتسرع في نشر رأسمالها في كافة أرجاء المعمورة :تنشر اللا مساواة وتقود إلى المزيد من التقدم التكنولوجي والمزيد من الفساد السياسي(57).

وهذا يمثل لب السؤال الذي أثاره دريدا حول إلى أين تذهب الماركسية :وهو السؤال الذي يثيره دريدا في سخرية مشبهاً فيه تسلل الماركسية في وسط الليل إبّان انشغال أوروبا القديمة بحروبها.ليجيب عليه"إنَّ زمن العالم اليوم

---

56 ـ لمزيد من المعلومات انظر ماركس.كارل ـ الأيديولوجية الألمانية ـ ت: فؤاد أبوب ـ دار دمشق للطباعة والنشر ـ دمشق ـ (بدون تاريخ) ـ ص497.ص564.

57 ـ دوروز.ليمشر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص7 ولمزيد من المعلومات أنظر ماركس.كارل ـ رأس المال ـ الجزء الثاني ـ مرجع سابق ـ ص503.ص507.

يعني في هذه الأزمنة "نظاماً عالمياً" جديداً يروم تثبيت خلل جديد بالضرورة ؛وذلك بإنشاء شكل من أشكال الهيمنة التي لم يسبقها مثيل؛والمقصود إذن ؛بل كما الحال دائماً هو شكل من أشكال الحرب على غير غرار وإنه ليشبه "مؤامرة" عظمى ضد الماركسية و"مؤامرة ماركسية على الأقل ؛وأيضاً مرة أخرى ومحاولة أخرى ولمرة جديدة وتجيش جديد دائماً من أجل النضال ضدها وضد هذا وهؤلاء الذين تمثلهم وتستمر في تمثيلهم (إنها فكرة العالمية الجديدة)ومن أجل محاربة العالمية"(58). إنّ ماركس كان كما تشير أرندت: "كان مدركاً لدور العنف في التاريخ ،لكنه كان يعتبره دوراً ثانوياً ،فليس العنف ما يقود المجتمع القديم إلى الزوال ؛بل التناقضات داخل ذلك المجتمع ؛كما أن ظهور المجتمع الجديد يسبقه اندلاع العنف ؛دون أن يتسبب به ذلك الاندلاع"(59).

لقد لجأ في مراحلهِ التاريخية إلى العنف ؛وهي الأداة التي اشتهر بها رصيفه الرأسمالي ؛وإن كان العنف في المفهوم الاشتراكي يأخذ طابعاً ثقافياً ممثلاً العنف الثقافي ذلك الذي تبنتهُ بعد ذلك الرأسمالية.حتى أن الثقافة والمثقفين في روسيا في القرن التاسع عشر كما يقول آرون كانوا: " محصورين في أبناء البيوتات الأرستقراطية أو ملاّكِ الأرض الأثرياء أو كبار موظفي الحكومة ؛وهؤلاء الشباب سرعان ما وجدوا شبه رباط يجمع بينهم .وكان هذا الرباط هو الأفكار الليبرالية التي غرستها في مداركهم روح العلم الحديث؛ وقد تزايد أثر ذلك الرباط ؛فشعر أولئك الشباب بما يشبه وحدة المصير ؛وظنوا أنهم طبقة خاصة في المجتمع ومن هنا نشأ فيهم الميل إلى الروح الثورية ؛أما في المجتمعات

58 ـ دريدا،جاك ـ أطياف ماركس ـ مرجع سابق ـ ص102 ولمزيد من المعلومات أنظر 43.

59ـ أرندت ،حنة ـ في العنف ـ مرجع سابق ـ ص12.

الأخرى حيث توسع ميدان الثقافة برفقة التقدم في المجالات الأخرى فقد ظل الانفصال عن الماضي أقل عنفاً .أي الميل إلى التجديد عند الشباب المثقفين لم يكن على شكل ثورة كما وقع في روسيا"(60).

و هنا يُعلي فوكوياما من شأن كوجيف متفقاً مع موضوع الأطروحة بأن الشيوعية لم تكن سوى اختراع غربي مثلها مثل الديموقراطية الليبرالية .

"لقد سَخِرَ كوجيف ألباب جمهور من فطاحل المثقفين الميالين إلى الشك والانتقاد ...حيث سعى كوجيف لكي يؤكد على أن مذهب هيجل في مضمونه يحمل كل ما هو صواب وأن تاريخ العالم وصل لنهايته :بإمكاننا أن نلمح وراء استنتاج كوجيف الذي قد يبدو غريباً فكرة أن مبادئ الحرية والمساواة التي نتجت عن الثورة الفرنسية والمجسدة فيما سماه كوجيف بالدولة العامة والمتجانسة الحديثة تمثل نقطة النهاية لتطور الإنسان الأيديولوجي :الشيوعية لا تمثل مرحلة أرقى من الديموقراطية الليبرالية؛وإنما هي جزء من نفس المرحلة التاريخية التي ستعمم في النهاية انتشار الحرية والمساواة في جميع أنحاء العالم.وعندما نصل إلى حياة مرضية لأفرادها فإننا قد وصلنا لنهاية التاريخ بتشكل دولة عالمية متناسقة حسب رأي كوجيف"(61). يستند زعم كوجيف بأنّ البشرية قد وصلت بالفعل إلى نهاية التاريخ إلى رأيه في أن الرغبة في نيل الاعتراف هي أهم الاحتياجات البشرية :فهو يرى أن السعي وراء الاعتراف دفع التاريخ بعيداً عن المعركة الدموية الأولى: وأن التاريخ انتهى لأن الدولة العامة والمتجانسة التي تنطوي على الاعتراف المتبادل تشبع تلك الحاجة

60 ـ آرون ،ريمون ـ أفيون المثقفين ـ مرجع سابق ـ ص214 ولمزيد من المعلومات أنظر ص138.

61 ـ فوكوياما،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص73 ولمزيد من المعلومات أنظر ص74،ص132.

"اشباعاً كاملاً"بوسعنا أن نفسر قول كوجيف بأن أمريكا حققت بعد الحرب المجتمع اللا طبقي الذي تحدث عنه ماركس على النحو التالي :وهو أنه لم يكن بالوسع إزالة كل مظاهر عدم المساواة الاجتماعية ؛غير أن العوائق التي بقيت هي عوائق ضرورية ولا يمكن استئصالها بسبب طبيعة الأشياء لا بسبب إرادة الإنسان.أشار كوجيف إلى حقيقة هامة حين أكد أن أمريكا بعد الحرب أو الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي هي تجسيد لفكرة هيغل عن الدولة التي يسودها الاعتراف العام(62).

الأطروحة الفوكويامية هي إذن ذات أصول ماركسية ؛فالماركسية لم تكن تختلف في نظرتها إلى العالم من خلال القوانين الاقتصادية ؛تهدف إلى أن يكون الاقتصاد هو القوة المحركة التي تؤدي إلى تجانس العالم حتماً إذ إن هذه القوانين لا تتعدى التاريخ وهذا هو جوهر مسألة فوكوياما ؛ الذي حتماً قد أطلع على الأدبيات الماركسية وآراء شرّاحها وتلاميذها حيث سادت ـ كما يرى دريدا ـ فنهاية التاريخ ليست دعوة مستحدثة وليست غطاءاً شيطانياً لا جذور له بل تكررت على مدى التاريخ .يقول دريدا :"فالموضوعات الأخروية لـ"نهاية التاريخ"و"نهاية الماركسية"و"نهاية الفلسفة"و"نهاية الإنسان"و"الإنسان الأخير" إلى آخره كانت في سنوات 1950 أي منذ 40 سنة تشكل خبزنا اليومي"(63).

إن الصراع بين الرأسماليّة والشيوعيّة كان صراعاً اقتصادياً أيديولوجياً وعسكرياً ؛حيث انتهت المنافسة الاقتصادية بينهما ؛إلا أن منافسة أخرى بدأت تلوح في الأفق الآن بين نمطين مختلفين للرأسمالية .الاختلاف الرئيسي

---

62 ـ كوجيف عن المرجع السابق ـ ص183،ص252،ص254.

63 ـ دريدا،جاك ـ أشباح ماركس ـ مرجع سابق ـ ص43.

بين النمطين من الرأسمالية هو في تأكيدهما على القيم المجتمعية مقابل القيم الفردية كطريق للنجاح الاقتصادي فالأنا في أمريكا يقابلها الشعب في ألمانيا والمؤسسات في اليابان.

حيثُ يتنبأ ثورو ـ بأن القرن العشرين يشكل قرن منافسة ؛وأن القرن الواحد والعشرين يعتبر قرن منافسة صدامية أو منافسة التناطح ؛حيث يتحدد الآن على الساحة وجود ثلاثة متنافسين متكافئين نسبياً :اليابان ـ المجموعة الأوروبية ـ وألمانيا والولايات المتحدة كما تنبأ بأنه "لن يتوجب على أحد في نصف القرن المقبل أن يعدل مواقفه الاقتصادية للاحتفاظ بالأحلاف العسكرية التي كانت ضرورية لاحتواء الاتحاد السوفيتي ؛بينما حالت المستلزمات العسكرية في نصف القرن الماضي دون أن تخرج المنازعات الاقتصادية عن حدود السيطرة ؛ومن الآن فصاعداً سيتحقق التعاون الاقتصادي بمنأى عن الأحلاف العسكرية"(64) ؛وفي اللحظة التي تحاول فيها الفوضى العالميّة الجديدة أن تقيم رأسماليّتها الجديدة وليبراليتها الجديدة فإن أي نفي لن يصل إلى التخلص من كل أطياف ماركس ؛فاليمنة تنظم الاضطهاد دائماً ؛وتؤكد إذن الوسوسة ؛وإن الوسوسة لتنتمي إلى بنية كل هيمنة ؛ولكن هجرة "البيان" لم تكن في رأسي ؛ولقد تكلم ماركس ـ أنجلز فيه ؛بمعنى مختلف ظاهرياً في عام 1847ـ1848 عن الطيف وتكلما بصورة أكثر دقة عن "الطيف الشيوعي" وإنه لطيف مرعب بالنسبة إلى كل أوروبا القديمة ؛ولكنه طيف شيوعي سيأتي. لقد تكلما عن الشيوعية بالتأكيد والتي كانت مسماة سابقاً ؛(رابطة الشيوعيين) ؛ولكنها كانت ستأتي بعيداً عن مسماها ؛ولقد كانت وعداً وقال بعضهم إنها طيف بمقدار ما

---

64 ـ ثورو.ليستر ـ المتناطحون ـ مرجع سابق ـ ص29 وتزيد من المعلومات انظر 26.ص27.ص236.

هي مرعبة ؛ويجب أن لا ننسى أن العالمية الأولى حوالي 1948قد بقيت سرية تماماً.

الخطاب الهيجلي في عام 1848عن نهاية التاريخ في المعرفة المطلقة قد رنّ في أوروبا وتناغم مع قرعات حزن أخرى ؛وأما الشيوعية فقد تميزت جوهرياً من الحركات العمالية الأخرى بسمتها العالمي(65).

وإذا كانت فكرة نهاية التاريخ ترجع في أساسها إلى مفهوم هيجل عن الدولة الليبرالية التي جاءت عنده نتيجة لإعجابه بالثورة الفرنسية.إلا أن فلسفة التاريخ الهيجلية ولدت في ظرف حضاري مختلف جذرياً ؛فلقد ظهرت في فترة كانت الثورة الفرنسية قد صفت حساباتها مع الملكية الاستبدادية والنظام الاجتماعي القديم ؛وبشّرت بالأولوية المطلقة للمجتمع المدني وحقوق الإنسان ؛على الدولة والكنيسة ؛فلا عجب أن تأتي الفلسفة الهيغلية مشبعة بالأمل والاندفاع والانفتاح ؛نحو العالمية والشمولية ؛وغيرها من المظاهر التي تعبر في الجوهر عن انطلاق الذاتية الغربية لتفرض هيمنتها العالمية وتحقيق منظورها الخاص للكون الذي لا يعني أن هذه الظروف مازالت قائمة(66) ؛وإذا كان تأكيد هيغل على أن الدولة الحديثة تلك المؤسسة التي قامت على أنقاض الثورة الفرنسية هي الشكل الوحيد للتبلور التاريخي للحرية ؛ فإنه أراد أن يقدم تصوره للدولة الحديثة مؤسساً بذلك الحداثة السياسية ؛أي "الدولة الديموقراطية الليبرالية الحديثة بعد الثورة الفرنسية ؛ثم إنها ببساطة تحقيق النموذج المسيحي للحرية والمساواة.ولا يزال تصور هيغل للدولة يناسب إلى حد كبير الأحداث

---

65 ـ مريدا ،حالك ـ أطياف ماركس ـ مرجع سابق ـ ص81،ص82.

66 ـ مدادي،حسين ـ التاريخ والدولة مابين هيغل وابن خلدون ـ ط1 ـ دار الساقي ـ بيروت ـ 1996م ـ ص120.

السياسية والاجتماعية السائدة في المجتمعات الغربية المعاصرة"(67). فإنهُ كان يعتقد بأن تطور المجتمعات الإنسانية ليس غير نهائي ولكنه سيكتمل في اليوم الذي تكون الإنسانية قد أنشأت فيه بدقة شكلاً من أشكال المجتمع الذي سيرضي حاجاتها الأكثر عمقاً والأساسية ـ فهل وصل المجتمع الإنساني فعلاً إلى هذه الغاية! صحيح أن نهاية التاريخ التي بلورها خطاب العنف عند فوكوياما كان قد أعلن عنها هيجل المعجب بالثورة الفرنسية أراد أن يؤسس دولة ديموقراطية(68). إلا أن هيغل كان يرى في الدولة الليبرالية "التجسيد الحقيقي لحرية الفرد ؛وينتقد بشدة الذين يصور لهم غرورهم وخيالهم أن عقلهم هم وأفكارهم الجزئية هي الحقيقة الكلية التي ينبغي أن تغلب الدول وتحطم آمال الأجيال وأعمالهم ؛وإنما الدول ليست نتاجاً لأهواء هذا الفرد أو ذاك ،وإنما هي نتاج للروح البشري الكلي ؛والدولة ليست وسيلة لتحقيق رفاهية الفرد بل هي غاية في ذاتها"(69)؛وهذا ما لم يبشر به فوكوياما الذي امتطى نصه موجة الخيلاء والغرور غير مكترث بذلك الروح الكلي الذي كان هيغل يهدف من ورائه إلى تطوير نظرية الأمة ـ الدولة Nation _State لتكون نبراساً لتحقيق الوحدة السياسية للأمة الألمانية التي كانت تشهد في عهده آلام الفرقة والشتات ولهذا فإن الدولة عنده لا تتصرف باسم الحاكم أو أقلية معينة ولكنها تتصرف وتستمد شرعيتها من الأمة ككل ؛ويؤكد على قوة الولاء القومي للأفراد إلى درجة أنه يتكلم عن الأمة وتلاحمها كما لو كانت مجرد فرد

---

67 ـ ولد القاسم ،يعقوب ـ الحداثة في فلسفة هيغل ـ ط1) ـ مركز الكتاب للنشر ـ القاهرة ـ2003م ـ ص217.

68 ـ لمزيد من المعلومات انظر سابين ـ وتاريخ في فلسفة هيغل ـ مج1 إمام عبد الفتاح إمام ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ 1980م ـ ص46،ص47 ولمزيد من المعلومات أنظر مريدا ،جاك ـ أضواء ماركس ـ مرجع سابق ـ ص130.

69ـ المرجع السابق ـ ص596،ص598.

بعينه(70) ؛وإذا كان هذا ما يعنيه هيغل حسب رأي فوكوياما فهو أن"مبادئ الحرية والمساواة التي تقوم على أساسها الدولة الليبرالية الحديثة قد اكتشفت وطبقت في الدول الأكثر تقدماً ؛وأنه ليس ثمة مبادئ أو أشكال بديلة من مبادئ التنظيم الاجتماعي والسياسي تسمو على الليبرالية ؛وبعبارة أخرى فإن المجتمعات الليبرالية خالية من التناقضات التي تميز الأشكال السابقة من التنظيم الاجتماعي وستكون بالتالي خاتمة الجدلية التاريخية"(71). فهل خلت المجتمعات الغربية من هذه التناقضات التي أفرزتها نزعتها الاقتصادية المادية الفجة بخلاف مضمون الدولة عند هيغل كحضور العقل في العالم ؛لأنها تحقق حكم القانون ؛ليس قانون الحق الطبيعي أو قانون العنف ؛بل قانون العقل (72).

مع ذلك يظل هيغل (بمنأى عن التحريف) هو المصدر المباشر الذي استقى منه كل من الماركسيين والبرجوازيين ، والذي شرحه الفيلسوف الفرنسي ألكسندر كوجييف الذي أخذ عنه فوكوياما.وهذا يشكل لب وصف دريدا لمقولة نهاية التاريخ عند فوكوياما ؛إذ إنه جعل المرجعية الهيغلية هي المهيمنة على الخطاب الفوكوياميِ والنص الماركسي؛ وبمقدار ما كان ماركس صامتاً كان فوكوياما متكلماً ؛إنه أي فوكوياما يلجأ إلى جدل غير مادي تماماً وناتجاً عن النسق الجديد أو ما يسمى (هيغل ـ كوجيف).

---

70 ـ أنوشيروان ـ وآخرون ـ الأيديولوجية والسياسة ـ ط2ـ الجزء الأول ـ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ـ بنغازي ـ 1425 ، ـ ص348،ص349.

71 ـ فوكوياما ،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص72.

72 ـ ولد القاسم،يعقوب ـ الحداثة في فلسفة هيغل ـ مرجع سابق ـ ص189.

إن خطاب فوكوياما يحاول جاهداً أن يواري ملامحه وسحناته الهيغلية لاجئاً إلى شرح للتاريخ يخالف فيه هيغل المؤسس على ما نسميه النضال من أجل الاعتراف مسلماً نفسه لكوجيف هذه المرة من أجل تأكيد أن أمريكا هي الوحيدة التي بمقدورها تحقيق الدولة العالمية المتجانسة ،بإقحامه الاقتصاد داخل المقولة الهيغلية وهو يضع في اعتباره مناطحة السيادة الاقتصادية المزعومة للماركسية .ولهذا فإن مؤلف كتاب نهاية التاريخ والإنسان الأخير الإنسان المسيحي كما يقول دريدا :"قد نقد ماركس واقترح أن يصحح اقتصاده المادي وأن يتممه فهو تنقصه هذه الدعامة الهيغلية ـ المسيحية للاعتراف أو تنقصه هذه التركيبة المطهرة للروح ،ويجب أن تقوم الدولة العالمية والمتجانسة دولة نهاية التاريخ علماً دعامة مضاعفة من الاقتصاد والاعتراف"(73).

إن المشروع الحضاري الغربي لم يعد هو الأفق الوحيد الممكن للتطور :بل بجانبه برز مشروع آخر :أتيحت له فرصة لأول مرة أن يغدو قابلاً للتطبيق مع انبثاق فجر الثورة الاشتراكية 1917م وبداية تهيكل منظومتها الأيديولوجية والسياسية ،كما أن التفاؤلية المفرطة التي على قاعدتها حصلت مجمل التسويات التاريخية في العلاقات الأوروبية /الأوروبية :قد شرعت بالانحلال عقب بروز أزمات هيكلية في بنية المنظومة الرأسمالية :لعل أعمقها دلالة الحرب الكونية الأولى و ما تلاها من نزعات فاشية ونازية(74).

إنّ الاختلاف بين هيغل و فوكوياما يكاد يكون كما نرى واقعاً تحت تأثير ماركس الذي يعود إليه الفضل في وضع المادية التاريخانية :وقد حدث في الفترة

---

73 ـ دريدا،جاك ـ أطياف ماركس ـ مرجع سابق ـ ص133 .وللمزيد من المعلومات أنظر122، 134، 135، 136.

74 ـ للمزيد من المعلومات أنظر المالكي،أحمد ـ العنف في العلاقات الدولية ـ مرجع سابق ـ ص14.

التي كان فيها ماركس طالباً في جامعة برلين أن يكون داخل المدرسة الهيغلية اتجاهان فكريان عرفا بما يسمى اليمين الهيغلي واليسار الهيغلي :وكان يتزعم هذا الاتجاه الأخير لودفيج فيورباخ* الذي أعطى لمذهب هيغل تأويلاً مادياً وفهم تاريخ العالم على أنه نمو يلحق بالمادة لا الفكر ،وقد تأثر ماركس بفيورباخ كثيراً إلى جانب تأثره بالمادية العلمية التي كانت في ذلك الوقت إحدى المذاهب الحديثة العهد(75) ،ويعتبر ماركس بأن طريقته في الديالكتيك هي ضد الطريقة الهيغلية : ففي الوقت الذي ينطلق فيه هيغل من الفكرة واعتباره الواقع ما هو إلا تشكل حادثي لها نجد ماركس على العكس يعتبر أن الفكر ما هو إلا انعكاس للحركة الواقعية والديالكتيك من حيث جوهره نقدي وثوري ولا يمجد الأوضاع القائمة."كان ماركس بقوله إن الأولوية للقاعدة المادية ،يناقض هيغل ومن كبرى سخريات التاريخ في هذه الأيام أن النظام الجديد لخلق الثروة يناقض الآن بدوره ما ذهب إليه ماركس أو بالأحرى يضع ماركس وهيغل كليهما على جانب"(76). لقد أراد ماركس أن ينقذ هيغل كما يرى من بين براثن التفسير الروحاني يقول ماركس :"ولكن حين كنت أؤلف الجزء الأول من رأس المال كان أبناء الجيل الجديد أولئك النزقون المدّعون التافهون الذين يسيطرون اليوم على ألمانيا المثقّفة يزدهون بأن يعتبروا هيغل كلباً ميتاً لذلك أعلنت نفسي بصراحة تلميذاً لهيغل هذا المفكر العظيم ، بل إنني عمدت في بعض أجزاء الفصل المخصص لنظرية القيمة إلى تبني طريقته الخاصة في التعبير"(77) : وما

---

* لودفيج فيورباخ(1804-1872) فيلسوف ماديّ ألماني كبير في مرحلة ما قبل الماركسية.

75 ـ بوخينسكي ـ تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا ـ ت :محمد الوقي ـ منشورات جامعة قار يونس ـ بنغازي ـ(بدون تاريخ) ـ ص118.

76 ـ توفلر،ألفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص543.

77 ـ ماركس،كارل ـ رأس المال ـ الجزء الأول ـ مرجع سابق ـ ص22،ولمزيد من المعلومات أنظر ص23.

يظهر من اتفاق بين ماركس وهيغل حول نهاية التاريخ وتنبئه ببزوغ شكل نهائي للمجتمع ،لا توجد به أي تناقضات ،يكون في تحقيقه نهاية المسار التاريخي(78). يفسره فوكوياما كتوظيف قام به ماركس لخدمة أغراضه هو ولهذا ورث فوكوياما هيغل في ثياب ماركسية حيث يرى بأنه: "منذ اللحظة التي صاغ فيها هيغل مذهبه لم يكن الناس مستعدين لأن يأخذوا على منحى جدّي ،زعمه بأن التاريخ قد انتهى بقيام الدولة الليبرالية الحديثة ،فقد تعرض هيغل على الفور لهجوم شنّه عليه ذلك الكاتب العظيم الآخر من كتّاب التاريخ العالمي في القرن التاسع عشر وهو كارل ماركس والواقع أن جهلنا بديننا الفكري لهيغل يرجع إلى حد كبير إلى أن تراثه انتقل إلينا عن طريق ماركس الذي استخدم أجزاء كبيرة من مذهب هيغل لخدمة أغراضه هو"(79). بل إنه كما يذهب جاك دريدا مباشرة بأن فوكوياما قد تتلمذ في مدرسة لدى أستاذين هما هيغل وماركس بقوله: "هذا الكتاب يتحدد بوصفه كتاباً هيغلياً وماركسياً ،وبوصفه نوعاً من التمرين في نظام مدرسة لأستاذين من أساتذة نهاية التاريخ هما هيغل وماركس.."(80).

وهكذا تحول فوكوياما من موظف عادي في الخارجية الأمريكية إلى نبي جديد من أنبياء الرسالة الليبرالية (81). إن فشل الأنظمة الشيوعية لا يعيد إلى الليبرالية اللا منضبطة بصداقيتها (ولا العكس بالعكس) ومن يقبل بالمحارجة

---

78 ـ تزيد من المعلومات فوكوياما ،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص72.

79. المرجع السابق ـ نفس الصفحة.

80. دريدا، جاك ـ أطياف ماركس ـ مرجع سابق ـ ص130.

81 ـ راجع الإله ،بلقزيز، أيديولوجية نهاية الأيديولوجية ،في مأزق الأيديولوجية ـ مرجع سابق ـ ص25.

الثنائية :الشيوعية ـ الليبرالية :فإنما يبرهن على انعدام تام في الخيال :فثمة إمكانيات أخرى عديدة(82).

إنّ المرحلة النهائية للشيوعية في الولايات المتحدة لما بعد الحرب تختزل الإنسان إلى الحيوانية ،ولكن ثمة ما هو أكثر ظرافة وتعاظماً لا أكثر تطرفاً في نهاية التاريخ .وسيمثل ذلك فيما بعد في التاريخانيّة اليابانيّة فهذه ستنجح بفضل تعاظم ثقافتها في الاحتفاظ بإنسان ما بعد التاريخ إثر عودته إلى التطبيع الحيواني :ولقد نرى مناسباً أن يقارن المرء تهور كوجيف بتعزيم أولئك الذين يتغنون مثل فوكوياما (ولكن كوجيف لا يغني) بعالية الديموقراطية الليبرالية الغربية بوصفها نقطة نهائية للحكومة الإنسانية وبوصفها نصراً لرأسمالية حلت بنجاح قضية الطبقات(83).

إنّ كل هذا يؤيد رأينا حول أن (الرأسمالية و الماركسية) كليهما مذهبان شموليان بخلاف ما ذهبت إليه حنة أرندت التي تنزه الرأسمالية من ذلك بقولها :"إنّ الذين يحددون السياسة البولشفية قادرون تماماً على إيقاف كل الصراعات الطبقية الموجودة بإجرائهم تحالفاً مع الرأسمالية دون أن يمس ذلك بإيمان كوادرهم،ودون أن يشكل ذلك خيانة لمعتقدهم في صراع الطبقات:النازيون أرادوا احتلال العالم ،وتهجير الشعوب الغربية عرقاً وإبادة أولئك الذين تتمثل فيهم وراثة بيولوجية دنيا"(84). متناسية أن ذلك العنف وحب السيطرة قائم في كينونة المجتمع الأمريكي متغلغل في نسيجه أثناء التكوين :هو منه منذ أن

---

82 ـ ريتيه ، دمون ـ نقد العالم المعاصر ـ مرجع سابق ـ ص12.

83 ـ دريدا، جاك ـ أطياف ماركس ـ مرجع سابق ص139 ،ولمزيد من المعلومات انظر(140 ،ص141.

84ـ أرندت، حنة ـ أسس التوتاليتارية ت:أنطوان بوزيد ـ ط1) ـ دار الساقي ـ 1993م ـ ص138 ،ص125.

كان؛ فلولا العنف والاستعباد ما كان ولا أنغرس ذلك المجتمع في قارة العالم الجديد على حساب شعبها الأصلي (الهنود الحمر)(85).

كما أن هذا ما يؤكد على كلامنا من أن الخطاب الفوكوياميّ ليس بعيداً عن النص الماركسي فكليهما أدلجة للتاريخ بمقتضى الظرف التاريخي الأوروبي ؛يذهب جاك دريدا إلى أن: "ماركس فيلسوف كبير وأنه لجدير بأن يظهر في برامج شهادة الأستاذيّة التي كان ممنوعاً فيها خلال زمن طويل ؛فهو ليس ملكية للشيوعيين وللماركسيين وللأحزاب وإنه لمن الواجب أن يظهر في عظيم قانون فلسفتنا السياسية الغربية إنها العودة إلى ماركس ؛فلنقرأه أخيراً كما نقرأ فيلسوفاً عظيماً فلقد سمعنا هذا وسنسمعه أيضاً "(86).

إننا نرى بأن نهاية التاريخ عند فوكوياما هي تدعيم للرأي الماركسي الذي ذهبت في مرحلة من مراحل خطابه إلى أن الأيديولوجيا وعي زائف يمثل مصالح طبقة معينة هي الرأسمالية ؛وأن الاقتصاد هو البنية الحقيقية التي تسيّر الأيديولوجية ؛ففوكوياما أيضاً يذهب إلى أن الأيديولوجيات قد انهارت وبقيت على قيد الحياة الأيديولوجية المنتصرة وهي الاقتصاد ذلك الثيموس الذي يملأ الإنسان فخراً أجوفاً؛ ذلك الاجتياح الاقتصادي الذي تمثله الأيديولوجية الأمريكية والتي هي في حد ذاتها إيديولوجيا تعبر عن اقتصاد استولى على السياسة وأخذت أساطيله تجول في محيطات العالم وبحاره.إن ما بعد التاريخ الفوكوياميّ الذي يسود فيه الاقتصاد هو المرحلة التي كاد أن يبلغها ماركس ولم يقوّ رغم التباين ما بين المرحلتين.

---

85 ـ حسونة، خليل ـ الإرهاب الأمريكي ـ ط1) الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ـ مصراتة ـ 1986م ـ ص25.

86 ـ دريدا، جاك ـ أشباح ماركس ـ مرجع سابق ـ ص72.

إن الأيديولوجيا الشيوعية العالمية كما يرى ماركس سوف تزيح كل السياسات الوطنية وتخلق نظاماً اجتماعياً عالمياً موحد ذا مستويات عالمية :لهذا يرى أن القومية بخلاف هيغل تشكل أحد الأعداء الأساسيين للشيوعيين و لابد من القضاء على الانتماء القومي واستبداله بشيوعية عالميّة .فهنا أخذ التهديد العالمي للرأسمالية يأخذ محمل الجد فلا يكفي لمواجهة ذلك جانب واحد رأسمالي وإنما ضروري من شيء عالمي موحد لكي يحتوي الشيوعية العالمية(87). إلا أن الاقتصاد الجديد الذي يتميز بأن مادته الخام الأساسية غير محسوسة جاء ليجد الشيوعية العالمية ـ كما يذهب توفلر ـ غير مهيأة على الإطلاق فكان اصطدام الشيوعية بالمستقبل محتوماً ومميتاً :لكن إذا كانت الشيوعية التقليدية مهيأة لما سماه لينين "بمزبلة التاريخ"فهذا لا يعني أن الأحلام الرائعة التي أنجبتها قد ماتت أيضاً :إن الرغبة في إيجاد عالم تسوده الوفرة والعدالة الاجتماعية والسلام لم تزل رغبة نبيلة مشتركة على نطاق واسع كما كانت دوماً ـ بيد أن عالماً كهذا لا يمكن أن ينشأ على أسس قديمة(88).

إلا أن هذه الطوباوية هي التي أدت على حد تعبير ثورو ـ إلى أن(تنتصر الرأسمالية الآن وتقف وحدها رغم العقود الطويلة التي تمتد من القرن التاسع عشر وطوال العشرين الذي تواجه فيه الرأسمالية الاشتراكية في الداخل والشيوعية في الخارج مع هذا فإن هذه الأيديولوجيات (الاشتراكية والشيوعية) لم يعد لها مستقبل إلا في كتب التاريخ)(89) ،وهذا ما يشير إليه فوكوياما

---

87 ـ توفلر،ألفن ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص137.

*فلاديمير الشتش لينين(V.I.Lenin(1870-1924 زعيم الثورة البلشفية الروسية وهو فيلسوف من الطراز الأول.

88 ـ توفلر،ألفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص543.

89 ـ ثورو،ليستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص14.

متناقضاً مع مدحه لماركس في ذهابه: "صحيح أن الحكم الشيوعي لا يزال قائماً في الصين وكوبا وكوريا الشمالية وفيتنام .غير أن تغيراً كبيراً جداً حدث في مفهوم الشيوعية بعد الانهيار المفاجئ لستة أنظمة شيوعية في أوروبا الشرقية فيما بين يوليو وديسمبر 1989.فالشيوعية التي كانت في وقت من الأوقات تصور نفسها على أنها شكل من أشكال الحضارة أرقى وأكثر تقدماً من الديموقراطية ؛سترتبط في الأذهان من الآن فصاعداً بدرجة عالية من التخلف السياسي والاقتصادي ومع استمرار نظم شيوعية في العالم ،فإن الشيوعية لم تعد تعكس فكرة دينامية مغرية ؛وقد بات ممن يسمّون أنفسهم اليوم بالشيوعيين يجدون أنفسهم في تراجع مستمر وهم يخوضون معارك قوات المؤخرة الدفاعية من أجل الحفاظ ولو على جزء من سلطتهم ومراكزهم السابقة ؛إنهم الآن في وضع لا يحسدون عليه ؛وضع المدافع عن نظام اجتماعي عتيق رجعي قد انتهى أوانه منذ زمن بعيد"(90).

إلا أنّ نهاية النظام الشيوعي لا تعني أبداً نهاية التاريخ بل هي تعني التسارع العظيم في التحولات الاجتماعية فمنذ ذلك الحين توسعت دائرة اقتصاد السوق العالمية لتشمل أقواماً أخرى يزيد عددها على مليار إنسان(91).

إنه محض انتصار متوهم ضخمهُ الخطاب السياسي الغربي بشقيه(الرأسمالي والاشتراكي) ـ الذي كما نعتقد لم يألُ جهداً في وراثة العالم ؛ووظف من أجل هذا كل إمكانياته العلمية والاستراتيجية والعسكرية من أجل الوصول إليه.

---

90 ـ فوكوياما.فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص47،ص48.

91 ـ بيتر.شولتن ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص378.

كما إننا من ناحية أخرى لا نرى ما يراه هنتنغتون من أن صراع الأيديولوجيات قد قضى نحبه بانقضاء الحرب الباردة.يقول هنتنغتون: "فإنّ الأيديولوجيات التي ميّزت حضارة الغربيين أخيراً قد سقطت ،ومظهرها حلت محله أشكال قائمة على أساس الدين وأشكال ثقافية من الهوية والولاء أو الالتزام"(92).

إذْ إنَّ صراع الحضارات الذي حلَّ محل الصراع الأيديولوجي على كافةِ مستوياتهِ يُمثلُ بدورهِ صراعاً أيديولوجياً باطناً. إلا أنَّ هذا نفسهُ ليس بمبررٍ كافٍ لذهاب هنتنغتون إلى تعددية هذا الصراع على شكل صراع مابين الحضارات.

إنّنا نرى أنّ الأيديولوجيا لا تنفصل عن الثقافة بل إنها أي الأيديولوجية هي مخاض هذه الثقافات وخطابها السياسي :فإن الأيديولوجية تمثل في جزء كبير منها أحلام المجتمع للرقي إلى وضع أفضل.كما أنها ليس مثلها ومثل الدين ينبنيان على إثارة العواطف."إن الفقر في حد ذاته لا يقود الشعب إلى الثورة ، بل غالباً ما يقود إلى القدرية واليأس والاعتماد على عون فوق طبيعي عن طريق ممارسة الطقوس والخرافات ،إذ إن التوترات الاجتماعية هي تعبير عن طموحات مكبوتة ،وحينما تثار فقط يكون بوسع الراديكالية أن تسود ،فالقوة الراديكالية هي المهيمنة ،وهنا يجب اعتبار دعوى الشيوعية مختلفة عن تلك التي للراديكالية في مجتمعات تتجذر فيها الفروق الطبقية ؛ وتسبق

92 ـ هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص124.

تطلعات التقدم الاجتماعي فيها الاحتمالات ،وتفشل مؤسسات الثقافة فيها في أن تترك مكاناً للمثقفين الطامحين"(93).

يرى هنتنغتون: "إن الصراع بين الديموقراطية الليبرالية والماركسية اللينينية كان بين أيديولوجيات والتي رغم اختلافاتها الرئيسية ،كانت كل منها حديثة وعلمانية وتقاسمت ظاهرياً أهدافاً نهائية كالحرية والمساواة والرفاهية المادية.."(94). على خلاف ما يرى فوكوياما أن الديموقراطية الليبرالية ليست حديثة (95).

إنّ المنظومة الاشتراكية التي تمثل أيديولوجيا الخصم لم تكن تقل رغبة في الاستحواذ على الجنوب ،فإنهم يتفاوضون هناك في الغرب ويتناطحون هنا من أجل مصالحهم الاقتصادية والاستراتيجية كما أن المنظومة الاشتراكية قائمة على أن تجعل من الاقتصاد البنية التحتية الحقيقية المسيرة للقيم والأفكار والمعتقدات ،فمن ثم الاقتصاد يلعب دوراً جوهرياً في تكوين المجتمعات وقواه وعلاقاته الاجتماعية.وقد عملت الأيديولوجيا الاشتراكية على إحلال الاشتراكية بديلاً عن الرأسمالية في العديد من الدول خصوصاً دول العالم الثالث وقدمت المجتمع الاشتراكي مجتمع سلام على الصعيد الكوني الشامل.

من ثم فإن الهدف واحد وهو الاقتصاد والبحث عن مصادر وأسواق في دول الجنوب ورعاية مصالح ومواقع استراتيجية وهذا ما لم يقل به "هيغل" الباحث

---

93 ـ (بل،دانييل ـ أمريكا مجتمع جماهيري) مجلة فضاءات ـ الحقيقة ،الآخر والتاريخ ـ ـ العدد الأول ـ مجلة للفكر والثقافة والنقد تصدر كل شهرين عن المركز العالي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ـ مارس 2002م ـ ص128،ص129.

94 ـ هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص268.

95 ـ فوكوياما،فرنسيس ـ النهاية ـ مرجع سابق ـ ص17.

عن الدولة الليبرالية التي نموذجها الأمثل في الثورة الفرنسية حيث المساواة والحرية الحقيقية.

- إنّ التقدم الأمريكي في أواسط السبعينات قد جعل المعسكر الاشتراكي يتخلف وحسب عن الخضم الأيديولوجي حيث هيئ لصمويل هنتنغتون إن صراع الأيديولوجيات قد خفّ ليحل محله صداماً حضارياً يقول تشو مسكي: "في أواسط السبعينيات أخذ الإنفاق العسكري بالتوقف على مستواه كما تم الإقرار بذلك فيما بعده في حين توسع التقدم الأمريكي في مضمار القنابل والرؤوس الحربية الاستراتيجية خلال ذلك العقد كله"(96).

ولهذا فإن العالمية الرأسمالية قد أسعفها قانون جديد هو النظام العالمي الجديد الذي يمثل رباطة الدم بينما ظلت العالمية الماركسية مرتبطة بالماضي القريب،ولكنّها تظل تسعى عن طريق مقولتها في ديكتاتورية البروليتارية إلى إعادة كتابة نهاية التاريخ بأسلوبها هي الذي لا يختلف عن الأسلوبية الرأسمالية في شيء سوى تصور مجالات تطبيق هذه الغاية أو هذه النهاية ،إلا أن تاريخ الاشتراكية يحدثنا عن أن الاشتراكية قد فشلت في بعض البلدان مثلاً ففي أفريقيا ،يذهب تشو مسكي : "تعزى الكوارث التي تصيب معظم أنحاء أفريقيا عادة إلى الاشتراكية ،وهذا مصطلح يستخدم اعتباطاً لتطبيقه على أي شيء لا يروق لنا"(97). على عكس ما كان يعتقد من "أن النموذج السوفيتي يسهل بيعه إلى العالم الثالث أكثر من النموذج الليبرالي ،فبالإضافة إلى أنه يحظى بالسمعة الاشتراكية التي تغسله من كل خطايا الرأسمالية والإمبريالية

---

96 - تشو مسكي،نعوم - إعاقة الديموقراطية - مرجع سابق - ص40.

97 - المرجع السابق - ص274،ص275.

وآثامهما فإنه يحظى أيضاً بالتفضيل الذي تظهره الطبقة الحاكمة من أجل البيروقراطية وبارتياب المجتمعات التقليدية بالليبرالية الاقتصادية والعلاقات التجارية"(98) ،والذي يوافق هذا القول الأخير ريمون آرون مخطئاً: "الماركسية بأخطائها وبعض الصواب فيها تلائم المطامح التي يريد الأفريقي والآسيوي أن يكونها لنفسه بعد تخرجه من الجامعة ،كما أنه حق أيضاً إن القول بأن عامل الربح هو الغاية الوحيدة للرأسمالية الغربية ،وإن الإرساليات التبشيرية ليست إلا ستائر تتخذها المصالح والاستثمارات ،وإن هذه المصالح محتوم عليها أن تدمر نفسها عن طريق المنازعات والحروب فيما بينها .كل هذا غير صحيح - بل إن فيه تضليلاً كبيراً"(99). إن ما يطرحهُ فرنسيس فوكوياما في نهاية التاريخ والأيديولوجية إنما تعبير عن انقضاء ذلك الروح التنافسي الذي كان يستلزم التحالف وسيادة الحصان الرابح الأمريكي التي أجادت لعبة ترصد خطوات خصمها الأيديولوجي وعثراتهِ،وهذا ما تنصُّ عليه مقولتي فوكوياما وهنتنغتون اللتين لم تكونا أكثر من نصٍ واحد كُتِبَ بلغتين مختلفتين .

98 - لانوش،سورجي - تغريب العالم - مرجع سابق - ص125.

99 - آرون،ريمون - أفيون المثقفين - مرجع سابق - ص242.

ـ الفصل الثالث: /العرقيّة من الذهن إلى التاريخ: ـ

إنَّ فريةَ الدور الأمريكي في النهضةِ اليابانية خاصة والآسيوية عامة التي يستند عليها فوكوياما حيث يرى في التجربة الآسيوية* إنَّها ثمرةً من ثمراتِ الغرب ،ينطلقُ فيها فوكوياما من أساسٍ يحملُ سمةً تاريخية في مُلاحقتهِ للتاريخ عندما يوظفهُ لخدمةِ قضيةٍ تحملُ كما نعتقد طابعاً شخصياً أو بالأصح عرقياً إذْ إنَّ فوكوياما لا يألو جهداً في التوفيق ما بين تاريخ موطنهِ الأصلي أي تاريخ اليابان وتاريخ الديموقراطية الليبرالية ليجد في هذا وسيلة للتقريب ما بين الغرب الذي يحمل مواطنيتهُ والحداثة السياسية.

إن حديث فوكوياما المتكرر عن حكومة الميجي ** التي فتحت أبوابها للديموقراطية الليبرالية التي يعضّ عليها فوكوياما بالنواجز ،يدخل ضمن إطار مقولته عن الدول والبلاد التي حررتها الديموقراطية الليبرالية من الديكتاتوريات التي تحكمها .

"فقد كان بوسع الوافدين المتأخرين على ميدان التحديث ،بدءاً باليابان ،شراء أحدث ثمار التكنولوجيا من الولايات المتحدة وأوروبا ، وأن يصبحوا في ظرف جيل أو جيلين منافسين في ميادين التكنولوجيا الراقية "(100). فالمعادلة واضحة ومسلّم بها عند فوكوياما عرّاب الديموقراطية الغربية ،والتي يعتبر على أساسها أنّ كل الدول والبلدان التي لاتزين بوابتها ودساتيرها بالشعارات الديموقراطية الليبرالية هي دكتاتوريات متناسياً أنّ المجتمع الأكثر ديموقراطية

---

* ويقصد بها النجاح الاقتصادي المذهل الذي حققته الدول الآسيوية بصرف النظر عن ما حققته من فوائد سلبية لها والتي شملت هونغ كونغ ـ تايلاند ـ سنغافورة ـ ماليزيا.

** الميجي:(1852-1912)اسم لطور يلبس اسمه الحقيقي موتسو هيتو وتعني كلمة الميجي بالوابانية الحكم المستنير وهو مؤسس اليابان الحديثة.

100 ـ فوكوياما ،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص101.

يفرض حدوداً صارمة للتعامل ما بين الحاكم والمحكوم أيّ على حد تعبير ألان تورين" المجتمع الذيّ يضع الحدود الصارمة لسطوة السلطات السياسية على المجتمع وعلى الأفراد ،وهو ما يعني أنّ المجتمع الأكثر حداثة هو المجتمع الذي يعترف صراحة بالحقوق المتساوية للعقلنة ولتحقيق الذات وبضرورة الجمع بينهما "(101).

أمّا صامويل هنتنغتون فنجد أنه يركز على أنّ تاريخ الغرب ليس هو تاريخ الحداثة بمعنى أنّ الديموقراطية الليبرالية رهينة بالغرب ،وليس بالحداثة ، فلقد خلقها تاريخ الغرب ولم تخلقها الحداثة . ولهذا، كما نشير ، فيما بعد يرفض اتخاذ الحداثة وسيلة للالتحاق بالغرب . وهنا يظهر وجه الفرق ما بين فوكوياما :هنتنغتون أي الفرق الشخصي ما أطلقنا عليه (العرقي) إذ أننا نتلمس أنّ هناك دافعاً عرقياً خافتاً يدفع فوكوياما لاعتبار أنّ تاريخ الديموقراطية الليبرالية هو نفسه تاريخ الغرب فيما عند هنتنغتون تاريخ الغرب سابق على هذه الحداثة.

ولهذا نجد أنّ هنتنغتون لا يستثني اليابان من تجربة الحكم المستبد أو الديكتاتوري التي نزّهها منه فوكوياما كما سبق وأشرنا ."اتخذت أسرة الميجي في اليابان شكل المحافظة على الأسس الجوهرية للثقافة اليابانية ، والتي في جوانب متعددة ساهمت في التحديث وسهلت على اليابان أن تدرس وتعيد صياغة وتبني على عناصر تلك الثقافة ، لتثير الدعم وتبرر سياساتها الإمبريالية في الثلاثينيات والأربعينيات"(102).

101ـ تورين ، آلين ـ نقد الحداثة ـ مرجع سابق ـ ص445.

102 ـ هنتنغتون ، صمويل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص207.

الأمرُ الذي يدعمُ رأينا بأنّ العامل العرقي لَعِبَ دوراً كبيراً في تأسيس أوجهِ الاختلافِ ما بين كلا الرجلين ، وهي كُلها تنصبُّ على العرقية الذاهبة بأنّ المجتمعات الآسيوية في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية تطلعت إلى التحديث عن طريق الايدولوجيا التي عززتها التكنولوجيا فإن التقدم التكنولوجي الذي أنجزه اليابان مرده إلى وصول الديموقراطية الليبرالية الغربية مع سفن العميد البحري بيري* في 1853 في عهد الإمبراطور الميجي الذي أنهى قروناً من العزلة اليابانية ليجعل اليابان قادراً على الالتحاق بالحداثة الأمريكية كما يرى فوكوياما .

فكما يذكر فوكوياما بأن (تفوق فعالية مدافع البحرية بقيادة القائد البحري بيري كان حاسماً في إقناع اليابانيين بأنه يتحتم على بلادهم الانفتاح على الخارج وقبول تحدي المنافسة الأجنبية ، وقد رفعت الزعامة الجديدة في اليابان شعار دولة غنية ،وجيش قوي وأحلّت مكان مدارس المعبد القديمة نظاماً من التعليم الإجباري تديره الدولة ، ومكان محاربي الساموراي** جيشاً كبيراً من الفلاحين وفرضت نظاماً قومياً للضرائب ، وللبنوك ،وللعملة ، وقد كان الحافز وراء هذا التغيير في المجتمع الياباني خلال عهد أسرة الميجي واستعادة مركزية الدولة اليابانية ، هو الإحساس الملح بأنّ على اليابان أن تتعلم استيعاب التكنولوجيا الغربية من أجل الاحتفاظ باستقلالها الوطني والحيلولة دون وقوعها)(103).' كما أن فوكوياما قد أرجع الاقتصاد الياباني أيام الميجي إلى

---

* متيو جلبرت بيري : (1858-1754) استطاع على رأس سرب من البوارج الأمريكية قتاه وبارجتين لليابان 1853 ،1854 ف إن يرغم اليابان العسكرية المتزندة على إن تفتح موانئها أمام الملاحة الأمريكية.

** الساموراي : تشير إلى طبقة المحاربين في اليابان ويرتدي محارب الساموراي الرداء الخاص الذي يطوه بنطال ينتهي التنورة وجاكيت فضفاض قصير ، الحكومة لا تطالبه بالعمل تبقى عنده حرية شخصية، وكل ما تطالبه مله الحكومة هو أن يبقى في وضع الاستعداد للقتال لحماية للنظام في أوقات الحرب وكان الساموراي شخصيا مميزا لا يمكن أن تخطئه في الشارع ، هو توحيد محارب الساموراي الذي يمكنه أن يحمل سيفين، كرمز قاتل لسلطته وإذا تجرأ أحد من العامة على ارتدائه فإن من حق الساموراي أن يقتله على الفور ، ولقد هيمنت طبقة الساموراي على التاريخ اليابانى قرابة 700عام بدءا من عام 1185م ولغاية عام 1867م وهى فترة اتسمت بالعنف والفوضة والحنى الثقافى .

' 103- فوكوياما ، فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص79 ،ص80.

الغرب (104)، مع أن اليابان كانت عملياً مغلقة حتى أواسط السبعينات أمام توظيفات رساميل الشركات الأجنبية(105). فإنه عندما طلبت الولايات المتحدة في عام 1854 على لسان الكومودور بيري وأسطوله من اليابان فتح مرافئها للتجارة لم يسع الأخيرة وبكل برود إلا الصدوع. إلا أن هذا الحادث لم يكن نهاية مطاف التدخل الإستعماري الغربي ففي آب 1864 إثر ذريعة تمثلت في إطلاق المدفعية اليابانية نيرانها على زورق أمريكي في حزيران 1863 تسحق اليابان بضربة عسكرية تضافرت فيها قوى عسكرية غربية عديدة(106). فإن اليابان لم تفتح بدءاً من عام 1542 وحتى منتصف القرن التاسع عشر أبوابها كاملة أمام عملية التحديث التي كانت نتيجة لاتصالها بالغرب ، فاقتصرت على استيراد نماذج محددة وضرورية مثل توفير السلاح ، لتقوية جانبها العسكري كذلك الاهتمام بجلب الثقافة الغربية .حيث إننا نجد في عهد أسرة الميجي التي جاءت إلى اليابان حاملة لواء الانفتاح والتحديث تشكلت جماعة من الإصلاحيين الناشطين واستولت على السلطة في اليابان و عَمِلَتْ على استيراد النموذج الغربي وتقنياته المتقدمة ، بطريقة أقاموا حائطاً عازلاً يحمي ويحافظ على دعامات الثقافة اليابانية التي كان لها دور في تحديث اليابان وتسهيل عملية إعادة الصيانة وترسيخ عناصر تلك الثقافة ، حتى تثير الدعم وتبرر سياساتها الإمبريالية في فترتي الثلاثينات والأربعينات(107) ، "وكما هي

---

104 ـ لوكوياما ، فرنسيس ـ النهاية ـ مرجع سابق ص11.

105 ـ س.يو.مودكوف ـ الشركات المتعددة الجنسيات ـ ت: محمود وفيق ـ ط1 ـ بيروت ـ 1984م ـ ص187.

106 ـ لمزيد من المعلومات انظر الحافظ.يس ـ الهزيمة والأيديولوجيا المهزومة ـ دراسات الفكر العربي ـ الهيئة القومية للبحث العلمي ـ معهد الإنماء العربي ـ بيروت ـ 1990م ـ ص225.

107 ـ لمزيد من المعلومات أنظر هنتنغتون ، صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص154.

الحالة مع الإصلاحات اليابانية في عصر الميجي فإنّ هذه البرامج الساعية إلى التحديث تضمنت محاولات واسعة النطاق لتتبنى مبادئ العقلانية الغربية في كل الميادين من الاقتصاد إلى البيروقراطية إلى الجيش إلى التعليم إلى السياسة الاجتماعية "(108). إنّ عهدَ الميجي يُمثّلُ ثورةً وليس استيراداً فَإِنَّهُ ـ كما يذهب سمير أمين ـ "مثل ناجح بمعنى أن اليابان استطاعت فعلاً ، من خلال قبول المعاصرة دون تحفظ ، واللحاق بالغرب في الميادين الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والعسكرية ، فأصبحت دولة رأسمالية مركزية ، إنها المركز الوحيد والأصول غير الأوروبية "(109). ففي الوقت الذي كانت فيه القوة الاقتصادية الأمريكية تشهد اضمحلالاً كانت قوة اليابان الاقتصادية تنطلق إلى عنان السماء (110). فتلك كلها تمثل عقدة الحداثة التي دفعت فوكوياما لتقريب المسافة ما بين موطنه الأصل وموطنه الليبرالي المصطنع .

لكن لليابان تقاليده الشنتوية* القديمة التي ما ظلّ متمسكاً بها حتى الآن ،رغم تقدمه التكنولوجي ، ومنافسته للسوق الغربي والأمريكي ، مما دفع باليابان إلى أن يكون رائد التقدم التكنولوجي ورائداً لحركة النمور الآسيوية** .

---

108 ـ فوكوياما ،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص209.

109 ـ أمين ، سمير ـ ما بعد الرأسمالية ـ ط1) ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ سلسلة كتب المستقبل العربي ـ (9) ـ بيروت ـ 1988م ـ ص245.

110 ـ توفلر ، ألفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص18، ص19.

* الشنتوية : هي الدين الأصيل في بلاد اليابان وتعني لفظ الشنتوية الطريق إلى الآلهة ، وهي تقوم على تقديس أرواح الأبطال والأباطرة ، وتقديس قوى الطبيعة وليس لها مؤسس ولا عقيدة ولا تعاليم مكتوبة ومع ذلك فقد عاشت طويلاً في اليابان قبل دخول البوذية إليها في القرن السادس الميلادي حيث امتزجت بها ثم انتقل عنها ثانية

** النمور الآسيوية: وهي دول غير غربية استطاعت بنجاح أن تحقق التحديث والنمو الاقتصادي وهي : هونج كونج تايوان كوريا الجنوبية ، سنغافورة ، الصين ، ماليزيا، تايلاند، اندونيسيا، وتأخذ طريقها إلى البناء في الفلبين والهند ، فيتنام.

حيث "استخلص كوجييف بوصفه موظفاً كبيراً من موظفي المجموعة الأوروبية بأنّ الحضارة اليابانية "ما بعد التاريخية" قد سلكت طرقاً متعارضة تماماً مع الطريق الأمريكي ، وأن السبب في ذلك يعود إلى التعاظم الخام للشكلانية الثقافية في المجتمع الياباني"(111)؛ وإن كان ثورو يرى بأن قوة اليابان و"ثقافتها الداخلية المتماسكة القوية هي سبب ضعفها ؛وأن تاريخ اليابان وتقاليدها وثقافتها ولغتها تجعل من الصعب جداً معاملة المديرين الأجانب والمهنيين على قدم المساواة مع اليابانيين(112). إن اليابان لم تستعر من الغرب إلا الشئ الأساسي فيه رامية بالثانوي في سلة المهملات ومحافظة بالنسبة لما تبقى على ثقافتها الخاصة ، فالياباني والأمريكي والأوروبي لا تزال لديهم قيم خصوصية وتقاليد وروابط عاطفية لا ترتكز قاعدتها على الآلة الهائلة وإنما تضرب بجذورها في التاريخ والأرض العميقة(113) ،وفي اليابان تتعايش الديانتان البوذية والشنتوية فلا يتسنى وصف الدين بالمفهوم الغربي له ومن ثم فإن فكرة الأصولية نفسها لا تنطبق هنا ومع ذلك ، ثمة أدلة على ظهور اهتمام جديد بالأشكال الموغلة في القدم من الديانة الشنتوية وهو اهتمام حدا بنظام الحكم الياباني في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية والذي اتسم بنزعة عسكرية على استغلاله لخدمة أغراضه السياسية وفي عام 1989 أصدرت وزارة التعليم أمراً مثيراً للجدل يقضي بأن يتم تعليم التلاميذ احترام الإمبراطور الذي هو الإمام الأعلى للشنتوية(114).

111- فريدا ، جاك ـ أطياف ماركس ـ مرجع سابق ـ ص39 .

112 ـ ثورو ، ليستر ـ التناطحون ـ مرجع سابق ـ ص 231 ،ص232.

113 ـ لاتوش، سيرجي ـ تغريب العالم ـ مرجع سابق ـ ص81،ص88.

114 ـ توفلر، الفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص489.

إلا أنَّ هذا لا يعني سيطرة الدولة على الفرد ومحوه ومن ثم غياب عنصر هام من عناصر الديموقراطية كما يرى هنتنغتون " هذا التغيير في المناخ الدولي أبرز الاختلافات الثقافية الأساسية بين الحضارات الآسيوية والأمريكية على المستوى الواسع .القيم الكونفشيوسية المنتشرة في المجتمعات الآسيوية تركز على قيم السلطة والتراتبية وخضوع الحقوق والمصالح الفردية وأهمية الجماع في الرأي وتجنب المواجهة وبشكل عام سيادة الدولة على المجتمع والمجتمع على الفرد" (115).

بل لأن نفس هذه التراتبية التي تتم بموجب قناعة الأفراد جميعاً هي ضمن التركيبة الجوهرية للفرد فإن الاختلافات الثقافية لها دور مهم في تحديد طبيعة العلاقة بين الآسيويين والأمريكيين ،فالروح الكونفشيوسية السائدة في عدة مجتمعات آسيوية تعلي من شأن السلطة والتراتبية والتراضي والقناعة والتربية والقيم الاجتماعية وهذا ما يتناقض مع الثقافة الأمريكية التي تمنح الأولوية للحرية والمساواة والديموقراطية والفردية(116).

"ولهذا نجد أن حملة دعاية واسعة جداً تقوم بها المدارس والمعابد لا لتعليم الشعب حب بلاده فقط وإنما لتعليمه الطاعة التامة للإمبراطور الذي يجسب أن يعتبر شبه إله ويطلقون في اليابان على الفروسية القديمة اسم (بوشيدو) وهي نوع من الرابطة القبلية ، وقد وسّعوا معناها لتشمل الدولة

---

115 ـ هنتنغتون ، صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص393.

116 ـ لمزيد من المعلومات انظر سعدي، محمد صدام الحضارات ـ المستقبل العربي ـ (244)ـ يصدرها مركز الوحدة العربية ـ بيروت ـ 6/1999م ـ ص171 .

بأسرها ووضعوا الإمبراطور على الرأس "(117). إنّ الاقتصاد الياباني لا يعمل وفقاً لقوانين الغرب بل وفقاً لقوانينه هو وتبعاً لمصالحه وحتى عندما سعت اليابان في عهد أسرة الميجي إلى إحداث تغيير جذري في المجتمع الياباني ؛ لا لتحقيق مركزية الدولة ،أدخلت أحدث التقنيات الغربية إليها لكي تحول دون وقوعها في شرك العدو ؛ حيث تبنّت اليابان أساسيات العقلانية الغربية في مختلف المجالات سواء الاقتصادية أو العسكرية أو التعليمية أو غيرها من المجالات المؤسسة لبنية المجتمع ، حيث نجد فيما بعد أن اليابان استعانت بهذه التكنولوجيا الغربية لهزيمة روسيا عام 1905 والوقوف في وجه الولايات المتحدة في عام 1941(118). إن لليابان إرادة قوية ورغبة في تغيير وضعها ،وخروجها من حالة العزلة التي تقبع فيها في فترة ما يزيد عن مئتي عام ؛ حتى أن اليابان أصبح "من الدول العديدة ذات الاقتصادات المتقدمة التي قلّصت من الزعامة الأمريكية الاقتصادية"(119). إلا أن هذا لا ينفي أن اليابان والولايات المتحدة غير مرتبطتين بل هما مرتبطتان اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً إلى درجة أن القرارات في إحداها تكون لها نتائج ذات أثر شديد في الأخرى كما يصف الأمر توفلر بلغته المضخّمة في ظل وضع كهذا قد يأتي يوم تطالب فيه اليابان بمقاعد تصويتية فعلية داخل الكونغرس الأمريكي ومن جهتها ستطالب الولايات المتحدة بتمثيل مناظر في (الدايت)* بهذه الطريقة ستخرج إلى الوجود

---

117 ـ آل نهرو، جواهر ـ لمحات من تاريخ العالم ـ ت: لجنة من الأساتذة ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ 1979م ـ ص365 و لمزيد من المعلومات انظر ص369.

118 ـ فوكوياما، فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص80،ص209،ص210

119 ـ بابيك ، أوين ـ ارتقاء القمم ـ مرجع سابق ـ ص246.

* الدايت: مجلس النواب الياباني .

أولى البرلمانات أو الهيئات التشريعية العابرة للجنسيات ولا يستبعد أن تليها غيرها(120). فثمة عدة مشاكل اقتصادية بين اليابان والولايات المتحدة أثرت في علاقتها في التسعينيات إلي درجة أن مسئولين كباراً في اليابان بدأوا يعيدون النظر في الوجود العسكري الأمريكي في بلادهم ، كما أصبحت العلاقات الصينية ـ الأمريكية جد متوترة عند مشارف نهاية هذا القرن ، فالأمريكيون يعتقدون أن الشرق الأقصى سيصبح قلب الاقتصاد العالمي لذلك فإنهم لن يسمحوا للصين بالهيمنة على المنطقة وتهديد المصالح الحيوية الأمريكية(121).

إن ما حدث بعد سقوط القنبلتين الذريتين من قبل الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية على هيروشيما وناجازاكي باليابان في أغسطس 1945 أسفرت عن قتل 70000 قتيل حينها اعترف اليابانيون وأذعنوا للأمر الواقع وقبلوا مكرهين للهيمنة الأمريكية ،إلا أنهم في نفس الوقت عملوا على تحدي ذلك من داخله ، حيث قوّوا أنفسهم اقتصادياً مما مكنهم من قلب الهزيمة العسكرية إلى تحقيق انتصار اقتصادي مذهل على الولايات المتحدة وعلى الغرب أجمع ،وإنها الآن تسير بخطى ثابتة حتى تستفيد من ذلك الانتصار المؤزر الذي فرضت به وجودها عنوة دولياً ، وليس من المستبعد أبداً أن نجدها في المستقبل القريب عضواً دائماً في مجلس الأمن(122). فلو لم تلقَ تلك القنبلة على اليابان لكان الأمريكيون يتمتعون الآن بازدهار أقرب إلى الأسطورة (123) ،وما يقرُّ به

---

120 ـ توفلر، الفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص595.

121 ـ لمزيد من المعلومات انظر سعدي ، محمد ـ صدام الحضارات ـ المستقبل العربي ـ مرجع سابق ـ ص171.

122 ـ الجابري ، محمد ـ قضايا في الفكر المعاصر ـ ط1 ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ 1997م ـ ص110.

123 ـ آرون، ريمون ـ أفيون المثقفين ـ ت: عادل زعيتر ـ ط1 ـ منشورات المكتبة الأهلية ـ بيروت ـ 1962م ـ ص237.

هنتنغتون: "إن الثقافة اليابانية والتي جلبت الكارثة العسكرية في 1945م وبالتالي يتعين رفضها قد جلبت الانتصار الاقتصادي مع1985م وبالتالي يمكن الالتفاف حولها ، إنّ التعارف المتزايد لليابانيين بالمجتمع الغربي قادهم إلى أن يدركوا أن تحولهم إلى أن يكونوا غربيين ليس شيئاً عجيباً بدرجة مثيرة في حد ذاته .لقد توصلوا إلى ذلك خارج نظامهم .بينما اليابانيون في عهد أسرة الميجي تبنوا سياسة الإبتعاد عن آسيا واللحاق بأوروبا ، أما يابانيو أواخر القرن العشرين بإحيائهم الثقافي دعموا سياسة الإبتعاد عن أمريكا والإرتباط بآسيا "(124).

حيث إن ما يملكه اليابان من عمل دؤوب وثقافة عالية والقدرة على توظيف الأموال كفيل بأن يحقق لها النجاح على المدى البعيد لأنها تمثل موجودات ودعامات أساسية في النظام(125). إنّ اليابان تجتهد أكثر من أي دولة أخرى لتوسيع معلوماتها العامة وهو ما يسهم في تفسير سبب نجاحها الكبير في بيع منتجاتها داخل الولايات المتحدة وبسبب الصعوبة المزدوجة التي كانت ستواجه الشركات الأمريكية عند اختراقها للسوق الياباني حتى في حالة إزالة كل الحواجز التجارية بين عشية وضحاها ، غير أنّ قاعدة المعرفة الكليّة لليابان لازالت ضعيفة في عدة جوانب فهي تتسم بالسذاجة فيما يتصل بالعرقية ولا تفهم أهميتها في الاقتصاد الدولي الأمر الذي يعكس فيها العنصريّة (126).

---

124 ـ هنتنغتون ، صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص210.

125 ـ نورو ، لستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص146.

126 ـ توفلر، الفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص559.

إنّ سفن الملاّح بيري تلك السفن السوداء لا تعبر في رأينا إلا عن روح العنف والسيطرة التي كان يتبعها الغرب انطلاقاً من نظرة متعالية ليفرض من خلالها خطابه على الشعوب عن طريق اتفاقيات كتلك الاتفاقيات التي تلت وصول السفن السوداء إلى اليابان وإقامة اتفاقية تجارية 1853 مصطحباً عشر سفن حربية أذعن بعدها الحاكم العسكري ، تمت بموجبها إقامة قنصلية أمريكية في اليابان ثم تلتها معاهدة تجارية 1858 (127).

إنّ عقد تلك الاتفاقيات كانت قد تمت باستخدام العنف والقوة ليصادر من خلاله الغرب وخطابه خياراته الأيديولوجية والاقتصادية والسياسية ، حيث ألحق دخول الغرب لليابان أخطاراً وأضراراً كان مميتة مثل ما حدث بحكومة طوكوجاوا* العسكرية التي اضطرت تحت الجبر والضغط بأن تقوم بتوقيع عدد من الاتفاقيات التي منحت بموجبها الدول الأجنبية المهيمنة حقوقاً استثنائية ، وامتيازات جمركية مختلفة .عندما انتقل محور الولاء إلى أولئك المحاربين "الساموراي " الذين كانوا ينادون بطرد البرابرة الأجانب بعد مرور عدة سنوات من الصراع الداخلي المعقّد تم التخلص من الحكومة العسكرية 1868 على يد حلف ضمّ الأشراف الإقليميين والمحاربين القادمين من مناطق واقعة في غرب اليابان الجنوبي وقد شنّوا جميعهم حربهم الأهلية المظفّرة باسم الإمبراطور الشاب ميجي (128).

---

127 ـ بابيك، سي، أرين ـ ارتقاء التقدم ـ مرجع سابق ـ ص80.

* طوكوجاوا : إسم أسرة يابانية في عهده عزلت اليابان نفسها عن بقية العالم وهذا في الفترة ما بين(1603-1867) بالإضافة إلى أنه في عهده قد تمت السيطرة بشدة على كافة الأنشطة الداخلية للدولة بدءاً من المواصلات وحتى التجارة وفيما بعد تم استبداله بالإمبراطور الميجي .

128 ـ مسيرة الحضارة ـ المجلد الثالث ـ المجموعة الثانية مبهجة المعرفة ـ موسوعة علمية مصورة ـ الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ـ طرابلس ـ 1983م ـ ص161،ص162.

إنّ الدول الغربيّة دائماً تتطلع إلى دول الشرق لتحقيق مآربها ومشاريعها بتقييدها ووضعها تحت سيطرتها ليسهل انقيادها وتوجيهها بموجب اتفاقيات والزامات تعقد لذلك .فمنذ النصف الأوّل من القرن التاسع عشر الولايات المتحدة كانت تنظر إلى شؤون المحيط الهادئ والشرق الأقصى نظرة خاصة قائمة على المصلحة ، وقد حاولت ولكن دون جدوى أكثر من مرة عقد علاقات تجارية مع اليابان التي كانت في وقتها لازالت تطوّقها العزلة ومع عام 1854 تمكن بيري من عقد معاهدة مع اليابان تسمى معاهدة كاناجاوا kanagawa * (129).

ونتيجة لتلك المعاهدات نجحوا بالقوّة في إذعان اليابانيين لمباشرة التجارة ، رغم أنّ تلك الفترة أي منتصف القرن التاسع عشر شهدت فترة استعمار وكانت هذه فرصة أمام اليابان بالتطور وإلا كانت من نصيب الاستعمار البريطاني أو الفرنسي والهولندي أو الألماني أو الأمريكي ، فشكّل هذا التطوّر جزءاً من الدفاع القومي ، بقدرتها على تشكيل جيش عسكري قويّ ومجهّز بتقنيات حديثة(130) :وقد جاء تدخل الولايات المتحدة لمصادرة إنجازات اليابان بهدف خلق منطقة تموينية لاقتصادات رأسمالية الدولة** ، عندما دفع النزاع الحادث في الحرب الباردة على أن تعمل الولايات المتحدة على الاحتفاظ بحلفائها الصناعيين ، كذلك كان لهذا النزاع دور في مساعدتها على احتواء السياسات المستقلة والحركات العمّالية وحركة الجماهير ، وهذا الشئ شاركت

---

* معاهدة كاناجاوا : يتم بموجبها إن تفتح اليابان من مرافئها للتجارة الخارجية وتسمح بقيام تمثيل دبلوماسي أمريكي في أراضيها.

129 - نوار ، نعمي - تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية - دار الفكر العربي - القاهرة - (بدون تاريخ) - ص148.

130 - لوزو ، لهستر - المتناطحون - مرجع سابق - ص35.

** رأسمالية الدولة:وتعني احتكار الدولة للإنتاج الصناعي بصرف النظر عن الظروف التي يتم فيها هذا الاحتكار ، أي تصبح الدولة عبارة عن مؤسسة رأسمالية كبرى تشتغل العمل من أجل أن تجني الأرباح شأنها في ذلك شأن أي رأسمالي آخر.

في الاهتمام به النخب المحليّة كما نوّه أحد المؤرخين على أنّ الولايات المتحدة قد أنشأت حلف الناتو لتطويق حلفائها وكبح مذهب الحياد وكذلك لردع الروس(131).

لقد شهدت اليابان ولادة عملاق حضاري متطور لأنها كانت حاملة لثقافتها الأصلية التي كان من أبرز دعائمها الدين وتحمل خطاباً ثقافياً منفتحاً ومستقبلاً لكل جديد مما مكنها من تحقيق بنية اقتصادية هائلة ، "في حين أن الولايات المتحدة التي لم يتم قصف مصانعها وتحويلها إلى خرائب كانت لا تزال في حاجة إلى تجديد قاعدتها الصناعية القائمة "(132)،حيث نجد أن الحاكم العسكري في اليابان قام 1640 بشن حملة إعدامات ضد وفد برتغالي كبير كان يسعى لأن يعيد عملية الحراك التجاري بين البرتغال واليابان ، كما أنها حصرت التجارة مع الهولنديين في إطار جزيرة دشيما الصغيرة وأصدر الحاكم العسكري الأعلى الياباني سلسلة من المراسيم منعت أية سفينة يابانية أو أي مواطن ياباني من مغادرة البلاد إلى خارجها وألزمته بعقوبة الموت لقاء ذلك ، وحتى عشرينيات القرن التاسع عشر كانت المراسيم اليابانية المقدسة تأمر السكان المحليين بقتل أو اعتقال أي مواطن أجنبي متواجد على الأراضي والعمل على إدانة علوم الغرب باعتبارها فارغة ومستهجنة وغير ذات جدوى وتحمل طابع العنف والشر(133) ؛ ولهذا ظلت الثقافة اليابانية محتفظة بطابعها المتميز ليس بوسع هنتنغتون إلا الإقرار به(134).

---

131 ـ تشو سكي، نعوم ـ إعاقة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص37،ص63.

132 ـ توفلر، الفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص512.

133 ـ لمزيد من المعلومات انظر بابيك، سي ، أوين ـ ارتقاء التقدم ـ مرجع سابق ـ ص78،ص79.

134 ـ لمزيد من المعلومات انظر هنتنغتون ،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص161.

فلهذا نجد أن كل البلاد الآسيوية تتشبث بأيدولوجيا متجذرة في التاريخ تنافس بها الغرب وما يملك من أطروحات ؛ لهذا نجد أن هذه البلدان شكّلت على مر الزمن محط اهتمام الغرب وما يحمله من خطاب عنيف دفعه في يوم من الأيام لأن يقوم بتضييق الخناق على التجربة اليابانية لأنها شكّلت سوقاً منافساً لأمريكا يهدد مصالحها وطموحاتها بشأن خلق سوق عالمي يضمن له أرباحه في مستعمراته القديمة . حيث قامت البلدان الناهضة في الشرق الأقصى من غير استثناء بتطبيق استراتيجية مستهجنة على نحو شديد في الغرب دعمتها على كل مستويات الأنظمة الاقتصادية ، فلم تحذُو حذو المكسيك وتصبح شاه تنحر في مذبحة المنافسة الدولية الزاعمة بأن السيادة المطلقة لقوى السوق ،سوف تحقق الرفاهية الاقتصادية.فإن الحكومات الآسيوية من جاكرتا إلى بكين اتبعت مجموعة من الأساليب تتيح لهم الفرصة لتوجيه عملية التنمية ، فبالنسبة لها لا يشكل التكامل مع السوق العالمية الهدف الذي تسعى لتحقيقه بل هو وسيلة تخدم الهدف المنشود لاغير وبالتالي لا يستعان به إلا بتحفظ وبعد تمحيص(135)؛ولهذا من التهافت ما يقول به فوكوياما من أن الليبرالية الاقتصادية أظهرت كفاءتها في اختصار الوقت والجهد لأي بلد ـ وخاصة في آسيا ـ يطمح لأن يرتقي في سلّم الحداثة والتقدم.

"إن دول الاقتصاديات المصنّعة حديثاً في آسيا بتكرارها لتجربتي ألمانيا واليابان في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أثبت أن الليبرالية الاقتصادية تسمح للوافدين المتأخرين عليها باللحاق بالدول التي سبقتهم بل وبتجاوزها وأن هذا الهدف يمكن تحقيقه خلال جيل أو جيلين ؛ واليابان من

---

135 ـ بيتر ،شومان ـ فخ العولمة ـ مرجع سابق ـ ص260 .

الدول الآسيوية التي حققت نمواً اقتصادياً مذهلاً منذ الحرب الثانية وبدأت التحديث مبكرا"(136)، حتى إنها وأوروبا أصبحتا تشكلان تهديداً ممكناً لسيادة الولايات المتحدة على العالم أعظم من تهديد الاتحاد السوفيتي - كما يرى تشومسكي - "حالة العالم الرأسمالي قد اتجهت نحو بنية ثلاثية الأقطاب تتمركز قوتها الاقتصادية في الولايات المتحدة واليابان والمجموعة الأوروبية ذات القاعدة الألمانية ،أخذت أوروبا واليابان تمثل تهديداً ممكناً لسيادة الولايات المتحدة على العالم أعظم من تهديد الاتحاد السوفيتي المضمحل"(137).

إنَّ نموذج الحضارة الذي ابتكره الغرب كما يذهب صاحبا فخ العولمة" لم يعد صالحاً لبناء المستقبل ؛ أي بناء مجتمعات قادرة على النمو والانسجام مع البيئة وتحقيق التوزيع العادل للثروة والدخل ؛ وإن الدعاية المفرطة لهذا النموذج كانت جزءاً من الحرب الباردة ، فلابد لهذا النموذج أن يوضع في متحف الأسلحة القديمة ، والآن تسود عملية تحول تاريخي بأبعاد عالمية واضحة ينعدم فيها التقدم ويسود التدهور الاقتصادي والتدمير البيئي والانحطاط الثقافي في ضوء ما تسعى العولمة لفرضه "حضارة التنميط ""(138). فبينما نجد في النصف التالي من القرن العشرين أن أمريكا هي قطب الرحى للأحداث والتطورات وهي المحرك ؛ في حين نجد دول أوروبا واليابان تكتفيان بالاستجابة ؛ أما في النصف الأول من القرن الحادي والعشرين تتغير المواقع حيث تبدأ أمريكا هذا القرن وهي تترأس القمة ؛ إلا أنها فقدت السيادة الكبيرة

---

136 - فوكوياما ، فرنسيس - نهاية التاريخ وخاتم البشر - مرجع سابق - ص106 ، ص52.

137 - تشو مسكي ، نعوم - إعاقة الديموقراطية - مرجع سابق - ص11.

138 - بيتر ، شومان - فخ العولمة - مرجع سابق - ص12.

التي كانت تمتلكها في النصف الأخير من القرن العشرين ؛ ويتوقف نجاحها أو فشلها في القرن القادم بناء على مدى ما تتعلمه من كيفية لعب المباريات الاقتصادية الجديدة التي يحددها كل من اليابانيين والأوروبيين حيث أظهر اليابان قدرته الفائقة والعجيبة في النهوض بالبلاد اقتصادياً وأصبحت سوقاً ينافس الدول الغربية(139). هذا ما يفسر "فقدان أمريكا لنفوذها الدولي بيد أن الأمر الأكثر لفتاً للنظر هو تحول السلطة من كثير من المؤسسات الأمريكية التي كانت تتمتع بها ذات يوم . كما فقد الحزب الديموقراطي الليبرالي نفوذه الذي أخذ في التراجع"(140). في حين نجد ذلك النفوذ ظهر عند اليابانيين وخاصة اقتصادياً في إنتاجهم حيث أصبح بإمكانهم مثلاً تجميع سيارة فاخرة بربع قوة العمل التي تحتاج إليها سيارة في أوروبا وفي استطاعتهم وضع نماذج جديدة قيد الإنتاج بسرعة أكبر ؛تمتاز انتاجاتهم بدرجة عالية من الجودة(141). مما يدل على أن اليابان مثلت مركزاً اقتصادياً مرموقاً حيث بلغت الاستثمارات اليابانية في أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي؛كما يشير تشومسكي "أكثر من نصف استثمارات الولايات المتحدة ؛هناك ما يناهز 20٪من مجموع استثمارات اليابان في العالم كذلك هناك في البنوك اليابانية بين 10ـ15٪ من ديون أمريكا اللاتينية بالمقارنة مع الثلث في البنوك الأمريكية" (142). بشكل عام شهدت دول آسيوية تقدماً هائلاً في مجال التصنيع والتقنية الحديثة " إن النجاح الذي

---

139 ـ تورو ، ليستر ـ المتناطحون ـ مرجع سابق ـ ص187.

140 ـ توفلر، الفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص17، ص19.

141 ـ تورو ،ليستر ـ المتناطحون ـ مرجع سابق ـ ص73.

142 ـ تشومسكي ، نعوم ـ إعاقة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص69، ص79.

حققته تجربة النمور الآسيوية في مجال التصنيع التصديري مثلاً يعتبر نموذجاً على الدول النامية الأخرى احتذاؤه"(143)؛وأصبحت اليابان كما يرى كل من شيهارا* و آكيوموريتا** تمتلك موقعاً قوياً تستطيع من خلاله أن ترفض ما تمليه عليها أمريكا؛بل أصبحت هذه الأخيرة تحتاج في سبيل تحسين دقة أسلحتها النووية إلى تقنية معينة بالغة التطور تصنعها اليابان ؛ فمهما استمرت الولايات المتحدة في التوسع العسكري فلن يكون بمقدورها أن تصنع شيئاً إذا أوقف اليابان بيع الرقائق الالكترونية إليهم(144). فعندما نشأت صناعة أشباه الموصلات تلك على يد الأمريكيين في السبعينيات وكان مديروها هم الأفضل والأكثر تألقاً نجد أنه في أقل من عقدين بدأ أقطاب هذه الصناعة يخسرون صناعاتهم ؛وبلغت حصة اليابانيين في السوق العالمية في الوقت الحالي أكبر من حصة الأمريكيين وهي آخذة في الازدياد (145)؛وهنا أتساءل :أين هي الليبرالية الديموقراطية من كل هذا ؟إن التقدم الياباني ـ كما نرى ـ يرجع إلى الأيدولوجيا التاريخية لليابان نفسه ، وأن ما بدا من تعاون بينهما وبين الغرب هو أمر حتمته الأحداث ومجرياتها وليس مرهوناً بسفن الملاح بيري كما يرى فوكوياما و لا الثقافة الغربية كما يرى هنتنغتون .

وعلى الصعيد الثقافي كالاقتصادي لم يكن استيراداً أيضاً ، ولم يخطئ هنتنغتون في فهمه لمشروع أتاتورك بأنه انخلاع عن الإسلام وهوس بالحداثة فإن تحديث أتاتورك لتركيا لم يكن استيراداً بل ثورة من نفس نمط اليابان ." فقد

---

143 ـ زكي،أحمد ـ الليبرالية المستبدة ـ مرجع سابق ـ ص161 ولمزيد من المعلومات انظر ما بعدها .

* شيهارا : عضو سابق في الحكومة اليابانية .

** أكيوموريتا : أحد مؤسسي شركة سوني .

144 ـ لمزيد من المعلومات أنظر توفلر ، الفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص547. ص518.

145 ـ لمزيد من المعلومات انظر ثورو ، لهستر ـ مقاتلون ـ مرجع سابق ـ ص107.

صنع مصطفى كمال أتاتورك تركيا جديدة من حطام الإمبراطورية العثمانية ،وبذل جهوداً ضخمة من أجل غربنة تركيا وتحديثها في آن واحد ، وباختياره لهذا المسلك ،ورفضه للماضي الإسلامي ،جعل أتاتورك تركيا دولة ممزقة كمجتمع كان مسلماً في ديانته ، وتراثه ، وعاداته ، ومؤسساته لكن تحكمه نخبة صممت على أن تحوله نحو العصرنة ، غربية ومع الغرب"(146).

ومن هنا في رأينا يأتي نقد هنتنغتون للشرق حضارة ودينا إذ إنه الند اللدود للغرب وحضارته في نقده لمحاولة مصطفى كمال أتاتورك لتحديث تركيا الذي قام بعملية إصلاحات في العشرينيات والثلاثينيات إنه" يزحزح شعبه بعيداً عن الماضي العثماني والإسلامي المبادئ الأساسية أو الأسهم للأتاتوركية كانت الشعبية ،الجمهورية ، القومية ، العلمانية ، الدولاتية، والإصلاحية وبرفضه فكرة الإمبراطورية المتعددة القوميات ، تطلع مصطفى كمال إلى إيجاد دولة قومية متجانسة طارداً ومبيداً الأرمن واليونانيين في العملية ،أصبحت تتحصل على بلايين الدولارات من المساعدة الاقتصادية والأمنية الغربية وتلقت قواتها المسلحة التدريب والعتاد من الغرب وتم دمجها في بنية قيادة حلف الأطلنطي واستضافت قواعد عسكرية أمريكية وأصبح ينظر إلى تركيا من قبل الغرب على أنها الحصن الشرقي الذي يمنع توسع الاتحاد السوفيتي نحو حوض البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط فإن تركيا تستطيع أن تكون جاهزة لأن تتخلى عن الدور المحبط والمهيمن كمتوسل يستجدي العضوية في الغرب وأن تعيد بناء دورها التاريخي الرفيع والأكثر تأثيراً بكثير كزعيمة رئيسية إسلامية ومناوئة للغرب" (147). في حين نجد فوكوياما معجباً

146- هنتنغتون ، صموئيل - صدام الحضارات - مرجع سابق - ص156 .

147 - المرجع السابق - ص271، ص272.

بالتجربة الأتاتوركية "وقد لا يكون من دواعي الدهشة أن تكون تركيا هي الديموقراطية الليبرالية الوحيدة في العالم الإسلامي المعاصر ؛ حيث إنها الدولة الوحيدة التي طرحت التراث الإسلامي جانباً في صراحة تامة واختارت مع بدايات القرن العشرين إقامة مجتمع علماني فكانت أكثر المحاولات جدية وشمولاً في هذا السبيل هي المحاولة التركية"(148). فمجيء كمال أتاتورك كان لمواصلة نفس حماسة بطرس الأكبر* عملية التغريب السريعة والمتسرعة وكان برنامج الاقتلاع الثقافي جذرياً وقد طبق على كل شئ على الحروف والكتابة على الموسيقى على الشكل الخارجي ومحاولة ردم الهوة بينها وبين الغرب(149).

كما نقد هنتنغتون تحديث روسيا "كان الغرب يأمل ويؤمن بأن النتيجة ستكون انتصار الديموقراطية الليبرالية في كل أرجاء الإمبراطورية السوفيتية السابقة غير أن ذلك لم يكن هو القدر فمع 1995م كان مستقبل الديموقراطية الليبرالية في روسيا وجمهوريات أرثوذكسية أخرى مشكوكاً فيه ؛فبمجرد أن توقفت روسيا عن التصرف كماركسية وبدأت تتصرف كروس فإن الهوة بين روسيا والغرب قد اتسعت"(150)، على خلاف فوكوياما الذي يرى أن "روسيا مثالاً للدولة التي كان التحديث والإصلاح فيها على مدى ثلاثة قرون ونصف

---

148 ـ فوكوياما ، فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص193 ، ص209.

* بطرس الأكبر: (1672-1725) تولى قيادة روسيا بعد حكم والدته وكان معجبا بأوروبا الغربية واتبع أساليبها وحضارتها ، جلب عام 1697- 1698م خبراء من أوروبا الغربية للعمل في مختلف الوحدات إلا أن روسيا في عهده لم تستقر فأخذت تتأرجح بين الشرق والغرب .

149 ـ لاتوش ، سيرجي ـ تغريب العالم ـ مرجع سابق ـ ص110 ،ص111.

150 ـ هنتنغتون ، صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص267 ،ص268 ،وللمزيد من المعلومات انظر ص269 ،ص270.

قرن نتيجة لطموحاتها العسكرية ونكساتها العسكرية فتحديث الجيش كان أساس جهود بطرس الأكبر في سبيل تحويل روسيا ملكية أوروبية حديثة"(151). فإن فوكوياما قد انطلق من انهيارها سياسياً ولهذا جاء الخطاب الفوكوياميّ خريطة ضوئية توضح مواقع الفشل للمنظومة الاشتراكية في العالم .

إنّ دعوة فوكوياما و هنتنغتون ؛ كما نرى لا تختلف في مؤداها عن تلك الأطروحات العرقية الشوفينية التي طرحها أولئك المفكرون البيض الأثنيين كالكونت جوبينو وكارليل* صاحبا الرأي المعروف في سيادة الجنس الأبيض .

فصاحبا الأيدولوجيا المسيطرة (فوكوياما) والثقافة المهيمنة (هنتنغتون) يمثلان في نظرنا نفس السياق إذ أنّ كليهما يعبران عن امتداد فاشستي نازي عرقي على الصعيد الأيديولوجي والصعيد الحضاري ."كان أساس فقدان نظام الفصل العنصري لشرعيته عند البيض هو عدم فعاليته ؛ وهو ما أدى إلى قبول غالبية البيض لنظام جديد من إشراك السود معهم في السلطة .بل إنه حتى الديموقراطية الأمريكية لم تنجح تماماً في حل مشكلتها العرقيّة الأشد إلحاحاً من مشكلاتها الأخرى ، ألا وهي مشكلة السود الأمريكيين ؛ فاسترقاق السود ـ كما يشير فوكوياما محرجاً ـ كان الاستثناء الأكبر من القاعدة العامة القائلة بأنّ الأمريكيين يولدون متساوين في الحقوق ولم يكن في وسع الديموقراطية الأمريكية أن تحل مشكلة الرق بالوسائل الديموقراطية فبعد زمن طويل من إلغاء الرق ومن ضمان المساواة القانونية الكاملة للسود الأمريكيين ؛نجد الكثيرين منهم ما زالوا

---

151 ـ فوكوياما ، فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص80 .

*توماس كارليل:(1795-1881) عالم في تحسين النسل والنقاء العرقي ،كانت البيضاوية Whitenessمركز اهتمامه الأكبر ،واعتبر أن العرق الاسكندنافي هو أرقى جنس حضاري بسبب نقاء بياضه .وقد منح جائزة نوبل .كما اتهم بالتجسس لصالح الألمان.

إلى اليوم خارج التيار الرئيسي للحضارة الأمريكية "(152). إن الفكر الليبرالي كما يذهب تورين أقام علاقة مؤقتة مع الديموقراطية ولهذا حلّ محل الحركة الثورية كمدافع عن الديموقراطية بشكل كامل إذ نجد أنّ الديموقراطية أصبحت تتحدد باحترامها للأقليات بصورة أفضل من تحديدها بحكم الأغلبية وبدأت الديموقراطية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باقتصاد السوق(153). فإن الليبرالية مرحلة من مراحل أو عنصر من عناصر الديموقراطية ؛ إنها على حد تعبير ألان تورين ليست سوى منطقة وسيطة وقلقة تقع بين قوى سياسية متعارضة(154).

فإن أحداث التاريخ هي وحدها التي قرّبت مابين الديموقراطية والليبرالية بخلاف أطروحة فوكوياما للربط التعسفي ما بين الديموقراطية و الليبرالية .

فالليبرالية والديموقراطية على حد تعبير تورين " ليستا مرادفتين ، فإذا كان لا وجود لديموقراطية ما إلا إذا كانت ليبرالية ؛ فهناك الكثير من الأنظمة الليبرالية التي ليست ديموقراطية ذلك أن الليبرالية تضحي بكل شئ في سبيل بعد واحد من أبعاد الديموقراطية هو الحد من السلطة ؛ وهي تقوم بذلك باسم فهم معين يهدد الفكرة الديموقراطية بمقدار ما يصونها"(155) ؛ وهذا يتفق مع وجهة ليستر ثورو الذاهبة إلى أن الديموقراطية والرأسمالية لا يعتبران أيدلوجية موحدة ؛ كلاهما ايدولوجية عملية تؤكد على أن المرء إذا أتبع هذا الطريق

---

152 ـ المرجع السابق ـ ص35، ص115.

153 ـ تورين ، آلين ـ نقد الحداثة ـ مرجع سابق ـ ص420.

154 ـ تورين، آلين ـ ما هي الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص67.

155 ـ المرجع السابق ـ ص65.

سيكون في حال أفضل من غيره ، فكلاهما لا يؤمن بالصالح العام كلاهما يؤكد على الفرد وليس الجماعة(156) ،وهذا ما ينطلق منه فوكوياما : أي الربط التعسفي مابين الليبرالية والديموقراطية . بحيث أصبح تاريخهما مشتركاً وكذلك مستقبلهما مشتركاً ، واستُغلاً كآلة أو كوسيلة للإعلان عن عهد جديد للإنسانية هدفوا إلى تطبيقه عنوة على تاريخ آسيا بل وتاريخ الأرض ، فإن الديموقراطية مقولة شديدة الحساسية تتأثر أيما تأثر بالتاريخ وأحداثه وتتشكل بمنعرجاته التي تكسبها معان عدة ،ولهذا كان لكل بلد فهمه الخاص للديموقراطية الذي تمليه عليها ظروفه وتاريخه دونما أن يفارق المعنى العام لها : بينما الليبرالية ذات تاريخ واحد هو تاريخ الغرب.

إنّ لُبّ الديموقراطية هو أن نضع نهاية لكل تعسف وسيطرة فوقية خاصة وعلى حد قول ألان توربن " باعتباره النظام الذي يضع نهاية للسيطرة على الاقتصاد من قبل السلطة السياسية للنخبة "(157).

وهذا ما لم نشهده في الساحة الآنية التي يجتهد فوكوياما في أن يتخذ منها موديلاً أو نموذجاً يحتذى به ، إن تاريخ الغرب يعجّ بهزيمة الديموقراطية نفسها وانهيار مبادئها ومفاهيمها . فإن انهيار الاهتمام بالديموقراطية في البلاد الغربية كان كبيراً فبعد فترة طويلة من تحكم السياسة في كل شئ تعيش هذه البلاد الآن فترة تحكم الاقتصاد في كل شئ : تسابق عالمي ، توازن التبادلات التجارية ، قوّة العملة(158).

---

156 ـ لوبرو . لمستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص182.

157 ـ توربن . ألين ـ نقد الحداثة ـ مرجع سابق ـ ص240.

158 ـ لمزيد من المعلومات انظر المرجع السابق ـ ص427.

"ورغم أن الليبرالية والديموقراطية متلازمتان في العادة فإنه يمكن نظريّاً الفصل بينهما ؛ والليبرالية في جانبها الاقتصادي هي الاعتراف بالحق في ممارسة النشاط الاقتصادي والتبادل الاقتصادي الحرين على أساس الملكية الخاصة وقوانين السوق الليبرالية السياسية قاعدة قانونية تعترف بحريّات وحقوق معينة للفرد غير خاضعة لسيطرة الحكومة"(159).

إنَّ كليهما فوكوياما و هنتنغتون اللذان يعتبران أن تاريخ الرجل الأسود والآسيوي (رجل الهامش) بدأ مع الوجود الكولونيالي يكشف عن نوازعهما الشخصية الداخلية لينتهي بهما الأمر إلى عرقية حددت مسار رأييهما (اتفاقاً واختلافاً) فيما يتعلّق بالتجربة الآسيوية واليابانية وفي فهمهما للديموقراطية كمقولة تاريخية عامة والليبرالية كمقولة تاريخية غربية.

159- فوكوياما . فرنسيس - نهاية التاريخ وخاتم البشر - مرجع سابق - ص54،ص55.

الباب الثالث: العنف - من تسييس السياسة إلى تسييس الثقافة:-

- الفصل الأول: /نوستالجيا الغرب والنقاطة الثقافية.

- الفصل الثاني: /الإسلام حرب الغرب الدائمة.

ـ الفصلُ الأوّل: / نُوستالجيًا الغرب واللّقاطة الثقافيَّة :ـ

إنَّ ما ذهب إليهِ ألفن تُوفلر من أنَّ "الصراع القادم على السُّلطة بين مختلف المؤسسات الاقتصاديَّة والسياسيَّة لن يكون بأسلحةٍ وعتادٍ وجيوش تهدفُ إلى الاحتلال والسيطرة بل سيكون مسرحها وميدانها عقول البشر وما تحتويهِ من معلومات ومعارف"(1). ورأى فرانز فانون* من أنَّ "البرجوازيَّة الاستعمارية حين تُدركُ عجزها عن الاستمرار في السيطرة على البلاد المستعمَرة ،تقدر أنْ تخوض معركة خلفية في ميدان الثقافة ،والقيم ،والتكنيك ،وما إلى ذلك "(2). لا تنطلق من فراغ بل جاءت إفرازاً لنظرة فاحصة لخريطة العالم الثقافيَّة تلك التي لم تكُن أفضل حظاً من الأيديولوجيا والاقتصاد ،إذْ إنَّها خضعتْ بدورها لعملية إبادة لتحل الإمبرياليَّة الثقافيَّة محل ثقافات الشعوب وهي التي ارتبطتْ بأيديولوجيا الاستعمار(3)؛ وهي ثقافة لا تنتمي إلى خصوصية بعينها ؛بل هي جزء من مخطط لإجراء قطيعة مع الذات حتماً سوف تؤدي إلى عدميَّة ثقافيَّة لتفصل ما بين الفرد ووعيهِ أو الإنسان وتراثهِ .إنَّ الثقافة هنا هي محض توظيف إيديولوجي حتى عندما تفاقمت واتخذت طابعاً تكنولوجياً عارماً فرض نفسه على الواقع وانفصل عن قيم المجتمع .

1ـ توفلر،ألفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص20.

* فرانز فانون :(1925- 1961) Fanon ,Franz مناضل ومفكر وثوري، درس الطب في ليون وحارب في صفوف الفرنسية ضد النازيين إبان الحرب العالمية الثانية ،عمل طبيباً نفسانياً في الجزائر عام 1952 حيث درس عن كثب ظاهرة التعذيب وغيرها من ظواهر الإستعمار وأثرها على المجتمعات المستعمرة .لِمدى تعاطفهِ وتضامنهِ مع قضية التحرير الوطني من خلال كتاباته ضد الفرنسيين في الجزائر واضطر إلى الإختفاء أمام مطاردة البوليس الفرنسي فاتجه إلى تونس حيث إلتحق بجبهة التحرير الوطني الجزائري وحيث أصبح رئيساً لتحرير جريدة (المجاهد) الناطقة الرسمية باسم الجبهة .ضاف أفريقيا داعياً لمساندة الثورة الجزائرية ذاع صيته من خلال كتابه (معذبو الأرض) الصادر عام 1961 والذي ترجم إلى لغات عدة وقد كتب الكتاب بعد أن علم بقرب أجله لإصابته بمرض خبيث ألم به.

2 ـ فانون ،فرانز: معذبو الأرض ـ ت: سامي الدروبي ،جمال الأتاسي ـ دار القلم ـ بيروت ـ (بدون تاريخ) ـ ص40.

3 ـ لمزيد من المعلومات انظر لكرك ،جيرار ـ الأنثربولوجية والاستعمار ـ مرجع سابق ـ ص35.

نتفقُ مع يس الحافظ **في أن:(التكنولوجيا والتصنيع إذ تفتقد جذرها الثقافي والأيديولوجي إذا تسلّلت إلى المجتمعات التقليديّة تبقى مجرد قشرة لاصقة على سطح المجتمع مما يحول دون اندماجها ؛فتصبحُ لطخة على جسم المجتمع ؛مجرُّد رقعة جديدة على ثوب قديم خلق ،عندما تكف الصناعة والتكنولوجية عن كونها تأكيداً لسيادة الإنسان وتغدو المصانع مجرد زينة إنسانية من نوع جديد)(4). فإنَّ النظام المعلوماتي العالمي الجديد حول عالم ثقافي واحد يدعم ما ذهبنا إليه حول إمبرياليَّة الثقافة التي تعني إفراز إنسان فاقد لملامحه.

"إنَّ المجتمعَ الصناعي المتقدم يحرم النقد من أساسهِ الحقيقي ،فالتقدم التقني يرسخُ دعائمَ نظامٍ كاملٍ منَ السيطرةِ والتنسيقِ ؛وهذا النظام يوجهُ بدورهِ التقدم ويخلُق أشكالاً للحياةِ وللسلطةِ تبدو وكأنُّها منسجمة مع نظام القوى المعارضة ،وتبطل بالتالي جدوى كل احتجاج باسم الآفاق التاريخية ؛باسم تحرر الإنسان"(5). إنَّ هذا كلّه يعني أنَّ الثقافة وُضِعَتْ لها منظومة جديدة أفرزها خطاب العنف الثقافي هذا أو التوأم السيامي للعنف السياسي وطردت من خلاله الثقافات السابقة من رواق العقل الإنساني المعاصر.وهنا نتساءل :هل الخضوع للسيطرة تلك التي أوردها إدوارد سعيد في نصهِ (الذي تتوارى خلْفه شخصيته)عن أنَّ الإمبرياليَّة ليستْ مجرد فعل بسيط من أفعال التراكم والاكتساب ؛فكل من الإمبريالية والاستعمار مدعم ومعزز وربما كان مفروضاً

** يس الحافظ: ولد في عام 1930. مفكر عربي معاصر .ولد في مدينة صغيرة تدعى دير الزور تقع على ضفاف نهر الفرات شرق سورية. درس في تلك المدينة ،ثم غادرها إلى دمشق للإلتحاق بالجامعة السورية إلا في العام 1949.عرف باهتمامه الشديد بالثورة الديموقراطية ودورها الأولي والحاسم في سيرورة التقدم العربي .وبالتالي قضية تحرر المرأة من بين مؤلفاته (الهزيمة والأيديولوجيا المهزومة).

4 ـ الحافظ.يس ـ الهزيمة الأيديولوجية المهزومة ـ مرجع سابق ـ ص104.

5 ـ ماركوزا.هربارت ـ الإنسان ذو البعد الواحد ـ مرجع سابق ـ ص28.

أيضاً من قبل تشكيلات عقائدية معينة تشمل مفاهيم فحواها أن بعض البقاع والشعوب تتطلب وتتضرع أن تخضع للسيطرة(6). أصبح جزءاً من تركيبة الشعوب .إن إدوارد سعيد الذي لا يميز نفسه جيداً عن ما يعتقده واقعاً تاريخياً يصل إلى قراءة لا نتفق معها .إن الأمر بالأحرى و كما أشار ماركوزا : "تصفية الثقافة ثنائية البعد لا تتم الآن عن طريق نفي "القيم الثقافية" واطراحها ،بل تتم عن طريق دمجها بالنظام القائم ،وعن طريق إعادة إنتاجها وتوزيعها على نطاق واسع"(7)،وهذا ما يميزُ مرحلةَ الاستعمارِ بخلافِ عصرِ الأنوار التي لم تحاولْ الثقافات الغربية فيه الانفتاح على العالم(8)،وهنا آن الوقت لنتفق بعد اختلاف مع إدوارد سعيد من أن:قد يكون الغربيون غادروا مستعمراتهم القديمة في أفريقيا وآسيا فيزيائياً ،غير أنهم احتفظوا بها لا كأسواق فقط بل أيضاً كمواقع على الخريطة العقائدية التي استمروا يمارسون حكمها أخلاقياً وفكرياً(9)،وما يفسرهُ بصورةٍ أوضح فرانز فانون من أنَّ الرأسماليةَ كانتْ " في فترة انطلاقها ،ترى في المستعمرات ينبوعاً لمواد أولية يمكنها أن تصبها في السوق الأوروبية بعد تصنيعها ،ولكنها بعد مرحلة تجمع رأس المال وصلت اليوم إلى تبديل مفهومها عن الربح الذي يحققه مشروع من المشاريع .لقد أصبحت المستعمرات سوقاً ،إن سكان المستعمرات زبائن يشترون"(10)، و ذلك

---

6 ـ سعيد،إدوارد ـ الثقافة والإمبريالية ـ ت: كمال أبو الديب ـ ط2) ـ دار الآداب ـ بيروت ـ 1998م ـ ص80.

7 ـ ماركوزا،هربارت ـ الإنسان ذو البعد الواحد ـ مرجع سابق ـ ص92.

8 ـ لمزيد من المعلومات انظر لكرك،جيرار ـ الأنثربولوجية والاستعمار ـ مرجع سابق ـ ص235.

9 ـ سعيد،إدوارد ـ الثقافة والإمبريالية ـ مرجع سابق ـ ص95.

10 ـ فانون،فرانز ـ معذبو الأرض ـ مرجع سابق ـ ص55.ولمزيد من المعلومات انظر ص81،ص82،ص83.

بحجة أن الثقافات غير الغربية لا تستطيع التعايش مع المرحلة التقنية الجديدة أو مع التصنيع لأنها ليست من نتاجه بل أحد ضحايا المشروع الامبريالي الثقافي الذي ارتبط بالاستعمار منذ العصر الفكتوري (11). وبذا يصبح الغرب على حد تعبير سيرجي لاتوش** - ثقافة مضادة للثقافة(12). لهذا فإننا نرى فيما ذهب إليه غار ودي*** من "أن حوار الحضارات ،وقد فصمته ستة قرون من الاستعمار ،وازدراء الثقافات اللا غربية ،لم يستأنفْ إلاَّ في القرن العشرين ،ولا ريب في أن رسالة القرن الحادي والعشرين تتمثل في القضاء على العوائق الأخيرة ،وفي المضي إلى النهاية في تحقيق فن عالمي ،وثقافة عالمية"(13). هو إغراق في التفاؤل تحت ظل ذلك اللا تكافؤ بين الغرب والعالم الآخر فإن الولايات المتحدة راعية العنف الاقتصادي والأيديولوجي لن تسمح بحوار أريحي كهذا ،فهي ما فتئت تُبشِّر عن طريق تلك الصيحات من الكتابات التي يمثلها فوكوياما وهنتنغتون وعن طريق وسائل الإعلام النشطة في الترويج لخطاب العنف الثقافي ،فإن معظم حروب الولايات المتحدة وصراعاتها الأيديولوجية رُوج لها ثقافياً وإعلامياً كنوع جديد من أنواع السيطرة.فمع أن خطاب العنف قد وُجه أساساً من أجل توسيع مسامات السيطرة الأيديولوجية والاقتصادية إلا أن من جانب آخر يعتمد اعتماداً كبيراً على الثقافة والأفكار التي تبنتها الإمبريالية

---

11 - لمزيد من المعلومات ارجع إلى لكرك جيرار - الأنثربولوجية والاستعمار - مرجع سابق - في أكثر من موضع خاصة المقدمة.

** سيرجي لاتوش: أستاذ في كلية القانون في مدينة ليل الفرنسية ،وفي معهد دراسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بباريس سبق له أن نشر نقد الامبريالية عام 1979م وكتاب "هل يتبغي رفض التنمية؟" عام 1986م.

12 - لاتوش ،سيرجي - تغريب العالم - مرجع سابق - ص154.

*** روجيه غارودي ولد في مرسيليا عام 1913 متأصل وسفاردي وفيلسوف فرنسي بدأ حياته ماركسيا وانتهى باعتناق الإسلام تحت اسم رجاء غارودي ومن أهم فلسفة ،ألف كتاب حوار الحضارات 1977، أخذ يدعو إلى إعادة اكتشاف الحضارات التي حاول الغرب تدميرها لأن بناء مستقبل حقيقي لا يمكن أن يتم دون استعادة الأبعاد الانسانية كما طورتها وعمقتها الحضارات والمنظومات غير الغربية ولديه العديد من المؤلفات الأخرى منها : مشروع أمل ، نداء إلى الأحياء ، وعود الإسلام .

13 - غارودي ،روجيه - حوار الحضارات - مرجع سابق - ص137 ولمزيد من المعلومات أنظر ص40.

المعاصرة ؛وهذا معنى ما أشرنا إليه بسلطة النص ؛فإن انتقال السلطة من المرحلة الكولونيالية الفيزيائية التقليدية العتيقة قد اقتضى تطويره وتغييره مع ما يتلاءم من أطروحات جدّت على الساحة الأيديولوجية والمسرح السياسي ألا و هي السلطة الثقافية .وهذا الواقع ما يعنيه هنتنغتون من أن السياسة الدولية تتشكل عبر ثماني حضارات كبرى:هي الصينية ؛اليابانية؛الهندوكية أو الهندية؛الإسلامية ؛الغربية؛الأمريكية اللاتينية؛الأفريقية(محتملة)(14). كما أن مقولة الإنسان الأخير- كما يذهب دريدا - "لتشبه مفارقة تاريخية مملّة ؛وإنها تتكون كذلك على الأقل وفي بعض النقاط التي يجب أن نحددها فيما بعد: ذلك لأنه ثمة شيء من هذا الملل يتعرف من جهة أخرى من خلال جسد الثقافة الأكثر ظواهرية اليوم"(15).

إن كلا الخطابين ما فتئا يتابعان ويشجعان على بذر بذور العنف في العقل الغربي الأيديولوجي السياسي.إنّ خطابَ فوكوياما ما هو إلاّ تجسيد لعمليةِ فرض الديموقراطيّة عن طريقِ العنفِ العقائدي والأيديولوجي ،إذْ أنّ الديموقراطيّة التي يتناولها هي ديموقراطيّة ترعرعتْ ونمتْ داخلَ إطَارٍ ثقَافِي وتَاريخِي مُحدد لهُ مقدمَاتُه وإطروحاتُه التي تنطلقُ من معطيات ومقدمات خاصة بهذا السياق ؛وهذا في حد ذاته يعبر عن العنف الثقافي في فرض سيطرة أيديولوجيات بعينها الأمر الذي يتناغم مع طرحنا عن تلك الوشائج ما بين الأيديولوجية والاقتصاد والثقافة. إن هذا من أهم أوجه الاتفاق ما بين فوكوياما وهنتنغتون ؛حيث إن كليهما يسعيان من خلال نصه إلى إنهاء حركة التاريخ

14- لمزيد من المعلومات انظر هنتنغتون .صموئيل - صدام الحضارات - مرجع سابق - ص109 : ص114.

15- دريدا.جاك - أطياف ماركس - مرجع سابق - ص168 ولمزيد من المعلومات أنظر ص44، ص45.

عند مرحلة أو عهد بعينه؛وهي نفس المرحلة التي تناولها فوكوياما على الصعيد السياسي ؛وهنتنغتون على الصعيد الثقافي.

إنّ كلا الصعيدين ينصبّان على توحيد التاريخ في مرحلة أيديولوجية معينة .فالأيديولوجيا والتاريخ توأمان سياميان لا ينفصلان إلا بعملية غير مضمونة النتائج .فالأيديولوجيا إطار لا غنى عنه للتاريخ لكي يتطور ويترقى ،كما أن التاريخ بدوره هو الإطار المرجعي للأيديولوجيا ؛فما من أيديولوجية إلا و تتعايش وتتلون بلون حقبة تاريخية وقد تسود فيها ؛وهذا هو نفس ما تؤكده مقولتي فوكوياما وهنتنغتون حيث يرى هنتنغتون أنّ التاريخ يعني التاريخ الثقافي والحضاري هو الذي يسير الأيديولوجيا بينما يرى فوكوياما أن الأيديولوجيا هي التي تسير التاريخ(16). فإنه مع نهاية القرن العشرين ساعدت فكرة حضارة عالمية في تبريرِ الهيمنةِ الثقافيَّة الغربيَّة على المجتمعات الأخرى وحاجة تلك المجتمعات إلى تقليدِ الممارسات والمؤسسات الغربية .إنّ العالميَّة أو الكونيَّة هي أيديولوجيا الغرب في مواجهة الثقافات غير الغربية(17). فالأمر لا يخرج عن أن كلا الرجلين يتناول هذه الهيمنة الأيديولوجية من الجانب السياسي والجانب الثقافي وهذه هي أهم معالم العنف التي تربط ما بين النصّين :عنف السياسة وعنف الثقافة .وكليهما مرتبطان بالشرهِ الاقتصادي الذي كثيراً ما يلزم الدولة المركزيَّة من أجلِ المنافسة الاقتصاديَّة إلى تدميرِ الثقافات الموروثة(18). كما إنّ الخطابَ الأيديولوجيّ عند فوكوياما ينبني على التقدم

---

16 ـ لمزيد من المعلومات أنظر هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص101.

17 ـ لمزيد من المعلومات أنظر المرجع السابق ـ ص143.

18 ـ لمزيد من المعلومات انظر لاتوش ،سيرجي ـ تغريب العالم ـ مرجع سابق ـ ص104 وما بعدها.

العلمي والحضاري الذي حققهُ الغرب من خلال تاريخ المقولة الصراعيَّة فيهِ : "وإنَّها لنظرة عالميَّة لا إقليميَّة ضيِّقة تلك التي تدرك أنَّ ثمَّةَ حضارة عالمية حقيقية قد بزغتْ من خلال القرون القليلةِ الماضيَّة؛محورها النمو الاقتصادي القائم على التكنولوجية ؛والعلاقات الاجتماعية الرأسمالية اللازمة لتحقيق هذا النمو والحفاظ عليه"(19).نرى بأنه فعلاً نجد اليوم إن التقدم العلمي يسخرونه لتنمية إمكانياتهم الثرية ؛وقصرها على خدمة المشروع والخطاب الغربي المهيمن المتجاوز للخصوصيات الثقافية للشعوب .

إنهما خطاباً واحداً أحدهما يتناول البعد الثقافي والحضاري للأيديولوجيا و الآخر يتناول البعد الأيديولوجي للثقافة وللحضارة ؛فالأول يمثله خطاب هنتنغتون الذي لم يغفل أكثر من أنه وضع المنتصر أيديولوجياً أن يكون منتصراً ثقافياً .في حين يمثل الاتجاه الثاني فوكوياما الذي لجأ إلى عكس تلك المقولة الهنتنغتونية من وضع المنتصر حضارياً أن يكون منتصراً أيديولوجياً ؛ولهذا نادى كلاهما بإنهيار المنظومة الشرقية أيديولوجياً مع فوكوياما؛و حضارياً ودينياً عند هنتنغتون.

إنَّ الاستعمار ليس توسعاً وسيطرة اقتصادية وحسب؛إنهُ سيطرة وإثنية مركزية ثقافية ؛والاستعمار يفترض الإيمان بثقافة واحدة حيث إن ذلك الاستعمار الحديث الذي يمتاز بالسيطرة والنهب وتدمير الثقافات فهو استعمار لا يوجد ما يبرره(20) : وهذا العامل الثقافي جوهري وأساسي فشل المبدأ الديموقراطي الليبرالي في التخلص منه حتى داخل أمريكا نفسها ،فالزنوج

---

19 ـ فوكوياما.فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص122.

20 ـ لكرك.جيرار.الأنثربولوجية والاستعمار ـ مرجع سابق ـ ص39،ص227.

السود يعانون من طبقية إثنية هي في الأساس طبقية ناتجة عن إزدواجية في الثقافة نفسها حيث يذهب فوكوياما نفسهُ إلى أنه:

"حتى في الولايات المتحدة يمكننا أن نلمح بدايات أيديولوجيات جديدة غير ليبراليّة هي نتيجة متميزة للمواقف الثقافية المختلفة من النشاط الاقتصادي؛ففي عنفوان حركة الحقوق المدنية :تطلّع معظم السود الأمريكيين إلى الإندماج التام في المجتمع الأبيض ،بما يعنيه من قبول كامل للقيم الثقافية المهيمنة على المجتمع الأمريكي ،وقد فُهمت مشكلة السود الأمريكيين لا على أنها تتعلق بالقيم ذاتها ؛وإنما على أنها متصلة بمدى قبول المجتمع الأبيض الاعتراف بكرامة السود القابلين لتلك القيم .غير أنه بالرغم من إلغاء العقبات القانونية في سبيل المساواة في الستينيات ؛وظهور برامج متنوعة للعمل الايجابي تعطي الأولوية للسود ؛فإن قطاعاً معيناً من السكان السود الأمريكيين لم يحقق أي تقدم اقتصادي ؛بل وساءت حالته عن ذي قبل"(21).

كما أن خطاب هنتنغتون من ناحية لم يكن خطاباً ثقافياً وحسب بل أيضاً أيديولوجياً .

إنّ خلاصة المشروع الفوكوياميّ هو ترسيخ (ذهنية معينة) هي الذهنية الغربية ؛ولهذا أتى خطاباً محتشداً بلغة ثقافية أخذها عن اليونانية والرومانية في حديثه عن الثيموس والبحث عن التقدير والميجالوثيميا* ؛وهي إرث الثقافة ؛ويقول فوكوياما :"إن الرغبة في نيل الإعتراف هي أيضاً المصدر السيكولوجي لعاطفتين قويتين للغاية: الدين والوطنية ولا أعني بقولي هذا أن الدين والوطنية

---

21 ـ فوكوياما،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص210.

* "الميجالوثيميا:وهي الرغبة في نيل الاعتراف بالتفوق على الاخرين بكلمة جديدة لها اصل أغريقي وتعني أيضا تضخم الذات عكسها الإيسوثيميا أو التعادلية ،وهي رغبة الإنسان في أن يُعترف به مساوياً للآخرين. وتشكل الميجالوثيميا والإيسوثيميا معا مظهري الرغبة في الإعتراف التي يمكن على هديها فهم التحول التاريخي إلى الحداثة." فوكوياما،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص160.

لا يعدوان أن يكونا مجرد رغبة في نيل الإعتراف ،وإنما أعني أن جذور هاتين العاطفتين مستمدة من الثيموس ،وهو ما يضفي عليهما قوة كبيرة"(22)[*]: ويرى فوكوياما أيضاً أنه :"سنطلق من الآن فصاعداً على الرغبة في نيل الاعتراف بالتفوق على الآخرين كلمة جديدة لها أصل إغريقي ،هي الميجالوثيميا ،أو تضخم الذات وتظهر الميجالوثيميا لدى الطاغية الذي يغزو شعباً مجاوراً ويستعبده حتى يعترف بسلطته،والواضح أن الميجالوثيميا عاطفة تثير مشاكل جمّة في الحياة السياسية :حيث إنه وإن كان الاعتراف بتفوق المرء على غيره مرضياً للأول :فلا شك أن اعتراف الكافة بتفوقه سيكون أكثر إرضاء له :وعلى ذلك فإن بإمكان الثيموس ،التي بدت أول ما بدت في صورة نوع متواضع من احترام الذات ،أن تبدو أيضاً في صورة الرغبة في الهيمنة على الآخرين"(23).[*]

و يذهبُ هنتنغتون إلي أنَّ الثقافة هي إنتماء فكري يتميز مثله ومثل الأيديولوجيا بالتعصب والانتماء ،فالإنسان يتعصب للفئة التي ينتمي إليها ،والدين الذي يعتنقه :والعرق الذي ينتمي إليه :وهذه كلها من السمات الأساسية للأيديولوجيا.

كما أنَّ الايديولوجيا تحملُ نفس وظيفة الدين أو العقيدة :فالأيديولوجية عصبية يلعب التعصب فيها دوراً بارزاً مثله مثل الدين ،والدين مثل العرق واللغة هو الثقافة التي تناولها هنتنغتون بالنقاش ،وهي نفسها أيديولوجيات ،كما أن الثقافة تتميز بالعاطفية والانفعال ديناً كانت أم عرقاً أم لغة :وهذه هي صفة أخرى هامة من صفات الايديولوجيا.

---

[*] 22 ـ المرجع السابق ـ ص191 ولمزيد من المعلومات أنظر 192 حول حديثه عن الثقافة وعلاقتها بالثيموس.

[*] 23 ـ المرجع السابق ـ ص166.

ونتفقُ هنا مع علي حرب** في معارضتهِ ضمن معارضين شتى- لهنتنغتون في كون أنَّ مقوم الحضارة الأساسي هو الدين ؛ويرى حرب بأنَّ الدين هو أحد مقومات الحضارة ؛ولا معنى للكلام عن صراع الحضارات .فكل المجتمعات اليوم تندرج في حضارة الصناعي والالكتروني أما الحضارة الإسلامية فقد ماتت أو أصبحت فاقدة لفاعليتها ما يوجد هو الثقافة الإسلامية- ويرى بأن مقولة صدام الحضارات تحيل الهويات إلى معسكرات ؛وأن تلك المقولة تلهينا عن شيء أساسي هو بناء الحضارات ،يقول علي حرب:

"الصراع بين الهويّات الثقافيّة أو النماذج الحضاريّة ،لا يعني أنَّ الهوية الثقافية لمجتمع من المجتمعات هي جنة الفردوس بالنسبة إلى أفرادهِ ؛فالمجتمع ليس أخويّة تضامنيّة أو شركة تعاقديّة ؛وإنّما هو جملة بنى وروابط وآليات وممارسات ؛لا تنفك عن إنتاج التفاوت والاستغلال والقهر والاستبداد فضلاً عن النزاعات والصراعات والصراع لا يجري على الأفكار دوماً ؛بل يجري أيضاً وخاصة على الخيرات والثروات والسلطات ؛ومن بينها سلطة الفكر والمعرفة"(24). لم ينجُ فوكوياما من نقد علي حرب في مقولته بنهاية التاريخ قائلاً: "فالذين أملوا بالسلام لم يحسنوا سوى صناعة الحرب ،والذين فكروا بزوال الدولة لم يؤسسوا مملكة للحرية ،بل أنتجوا دولة كلانية سحقت الفرد وابتلعت المجتمع المدني ومؤسساته،وأخيراً لا آخراً إن الذين يفكرون بنهاية التاريخ على طريقة هيغل أو ماركس ؛كما فعل فوكوياما ؛تفاجئهم الأحداث يوماً بعد يوم ؛وتتجاوز أطروحاتهم من حيث لا يفكرون ولا يحتسبون .ذلك أن

** علي حرب: مفكر لبناني معاصر ـ من اهم اعماله:(أوهام النخبة)

24 ـ حرب،علي ـ أوهام النخبة ـ أو نقد المثقف ـ ط(2) ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ 1998م ـ ص64.

الليبرالية ليست هي الفردوس الموعود .فالمجتمع هو لغة للتواصل والتبادل بقدر ما هو علاقات قوى بين الأفراد والمجموعات" (25).

حيث إن هنتنغتون يذهب إلى أن :"الثقافة أو الهوية الثقافية ،والتي هي في أوسع معانيها الهوية الحضارية ،هي التي تشكل نماذج التماسك ،والتفكك والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة ،والشعوب تفهم نفسها وتعرف نفسها في شكل النسب العرقي ،الديانة ،اللغة ، التاريخ، القيم ،العادات ،والمؤسسات ،إنهم يتماثلون مع الجماعات الثقافية :القبلية ،الجماعات العرقية، الجماعات الدينية..."(26). فهنتنغتون لا يقل أحادية النظرةOne Sided Visionعن فوكوياما .فإذا كان فوكوياما قد غلّب الأيديولوجية على الثقافة خالقاً موجة من العدمية الأيديولوجية متجاهلاً في نهاية التاريخ دورها تماماً؛فإن هنتنغتون قد وظف الأيديولوجيا لصالح الثقافة ،وجعل من الثقافة وريثة وراع لرفات الأيديولوجية منهياً بدوره التاريخ الأيديولوجي للأمم حيث يرى في الشعوب التي تفصلها الأيديولوجيا ولكن توحدها الثقافة على طريق واحد .

إنَّ المجتمعات التي وحّدتها الأيديولوجيا أو الظروف التاريخية قد قسّمتها الحضارة فإنها إما أنْ تنفصل عن بعضها البعض أو تظل رهينة التوتر العنيف.وتتعاون الدول اقتصادياً وسياسياً عندما تتقاسم الروابط الثقافية أو التقارب الثقافي(27).

---

25 ـ المرجع السابق ـ ص108، ص109.

26 ـ هنتنغتون،صمويل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص71، ص73.

27 ـ لمزيد من المعلومات انظر المرجع السابق ـ ص75 وما بعدها ص79، ص80.

هذا هو الخطاب الذي يجمع ما بين هنتنغتون فوكوياما الذي امتلأ خطابه السياسي بروح تبشيري أو ما نعتبره بكثلكة السياسة.

فإن فوكوياما يتابع مهمة قديمة سبق أن وُظف التبشير من أجلها عندما كانت المسيحية قد وظفت لخدمة مرامي وأهداف سياسية للتمهيد لانتشار الرأسمالية .

وهي المقولات التي حملت بها وتعهدها منذ الكالفنية* أطروحات الرأسمالية؛ وهذا الواقع ما ينطبق عليه ـ وصف دريدا ـ بأن الخطاب الفوكوياميِ أو نهاية التاريخ أو الإنسان الأخير إنه: "إنجيل الليبرالية السياسية الاقتصادية ليحتاج من جهة إلى حدث "الخبر السعيد الذي يتكون بما سيكون قد جرى فعلاً أي بما جرى في نهاية هذا القرن وخاصة الموت المزعوم للماركسية والتحقق المزور للدولة الديموقراطية الليبرالية"(28). وهي الكثلكة التي ـ كما يذهب لاتوش ـ ستصاب هي نفسها بالإعياء أخيراً بسبب المقاومة الدينية والثقافية التي لاقتها في أماكن عديدة.إن تلك العقلانية البروتستانتية إذا ما اختزلت إلى نوع من المنفعة الصرفة لا تعود تمثل رسالة أخلاقية بقدر ما تمثل وصفة كونية ظاهرياً للنجاح في مجال الأعمال والربح(29).

إنَّ هنتنغتون في تبشيرهِ بثقافةِ الغرب إنَّما ينطلق من موقف أيديولوجي معين :صحيح إنه انتقد الحضارة الغربية بأنها :"حضارة في حالة اضمحلال

---

* الكالفنية نسبة إلى كالفن الذي ولد عام 1509م مصلح ديني فرنسي تفرعت من مذهبه فرقة الطهرانية Puritainsوهم جماعة من البروتستانت ظهرت في القرنين السادس عشر والسابع عشر في انجلترا وأمريكا وكانت تدعو بالالتزام بحرفية الكتاب المقدس والتمسك بالفضيلة .

28 ـ دريدا، جاك ـ أطياف ماركس ـ مرجع سابق ـ ص124 ولمزيد من المعلومات انظر ص121 بإشارة دريدا إلى ربط فوكوياما بين نهاية التاريخ والعقيدة المسيحية الأخروية.

29 ـ لاتوش، سيرجي ـ تغريب العالم ـ مرجع سابق ـ ص50، ص54.

:نصيبها من القوة العالمية السياسية والاقتصادية والعسكرية آخذ في الهبوط بالقياس إلى قوة الحضارات الأخرى :الانتصار في الحرب الباردة لم ينتج فوزاً بل انهاكاً .إن الغرب بدأ مهتماً بشكل متزايد بمشاكله واحتياجاته الداخلية ،فيما هو يواجه نمواً اقتصادياً بطيئاً ،وركوداً في عدد سكانه :البطالة :تفاقمات هائلة في العجز الحكومي :اضمحلال أخلاقيات العمل ،معدلات إدخار بطيئة :التفكك الاجتماعي،المخدرات:الجريمة..."(30)' ،وهذا الواقع ما سبق وأشار إليه هنتنغتون عن تراجع نفوذ الغرب وإمكانية انهياره مقابل انبعاث الحضارات الأخرى عند نهاية القرن العشرين بناء على تلك العوامل المتشابكة مابين الثقافة والسياسة والتوازن العسكري من ناحية والثقافة والاقتصاد من ناحية أخرى؛حيث كما يشير هنتنغتون:

"الغربُ مهيمن كلياً الآن وسيبقى الأول في القوة والنفوذ في حالة حسنة نحو القرن الواحد والعشرين غير أنَّ تغيرات تدريجية شديدة :وجوهرية هي الأخرى تحدث في توازنات القوى بين الحضارات :وإن قوة الغرب بالقياس إلى تلك لدى الحضارات الأخرى سوف تستمر في الاضمحلال وفي الوقت الذي تتلاشى فيه صدارة الغرب :كثير من قوته ببساطة ستتبخر وما يبقى منها سينتشر على أسس إقليمية بين الحضارات الرئيسية العديدة ودولها الأساسية"(31)' إلا أنه لم ينتقدها إلا من أجل أن يرجع بها إلى تاريخها القديم .

---

30 ـ هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص168.

31 ـ المرجع السابق نص(6) أولزيد من المعلومات أنظر سعدي، محمد ـ مجلة المستقبل العربي ـ مرجع سابق ـ ص(6).

"ورث الغرب الكثير من الحضارات السابقة :بما في ذلك على وجه الخصوص الحضارة الكلاسيكية .إن مواريث الغرب من الحضارة الكلاسيكية متعددة :بما في ذلك الفلسفة اليونانية والعقلانية والقانون الروماني واللاتينية والمسيحية :وإن فكرة مركزية القانون بالنسبة للوجود الحضاري موروثة عن الرومان"(32). وهذا أمر لا ننكره عليه ، فإن الغرب كما يرى لاتوش بأنه :" في الأصل أرض الهلينية أو الحضارة اليونانية :ثم أرض المسيحية الوليدة ثم الإمبراطورية الرومانية الظافرة :بل وحتى العربية الإسلامية"(33). إذ إن روح هنتنغتون تسبق نصه لكي يبتر العقل الثقافي الغربي من سياقه الإنساني التاريخي العام الذي لعبت و لا شك الثقافة الإسلامية (المفترى عليها) دوراً في إبرازه.

إنّنا نرمي من كل هذا العرض إلى أن أطروحتي فوكوياما وهنتنغتون ،يشكلان خطاباً للعنف الثقافي ،ففوكوياما تفادى الحديث عن الثقافة ورعى الخطاب الأيديولوجي الذي تقطن الثقافة حتماً في معطفه وهنتنغتون الذي جعل من ثقافات الآخر (غير الغربي) ثقافات ميتة و هذا ما يكشف عنه نصه .

"خلال فترات مختلفة قبل القرن التاسع عشر كان البيزنطيون والعرب والصينيون والعثمانيون والمغول والروس أقوياء الثقة في قوتهم ومنجزاتهم مقارنة بأولئك من الغرب :وفي تلك الأزمنة أيضاً كانوا يحتقرون ثقافة الغرب المتدنية ومؤسساتهم المختلفة وفسادهم :وتفسخهم..."(34).

---

32 ـ هنتنغتون ،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص149 ،ص150.

33 ـ لاتوش ،سيرجي ـ تغريب العالم ـ مرجع سابق ـ ص60.

34 ـ هنتنغتون ،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص189 ولمزيد من المعلومات أنظر سعدي ،محمد ـ مجلة المستقبل العربي ـ مرجع سابق ـ ص168 ،ص169.

وهى الثقافة ذاتها التي كانت مثالاً للاختلاف ما بين الرجلين تشكل الآن كما سبق وأشارت نقطة الالتقاء ما بينهما .إذ إن الإيديولوجية تأتي في ركاب الثقافة .كما أن الثقافة تأتي ضمن الجوقة المصاحبة لصراع الأيديولوجيات .فإن الماركسية قد انطلقت من ثقافة بعينها هي الثقافة الماركسية التي تبشر بثقافة الماركسية وعقائدها ،وهى نفسها أيديولوجيا الماركسية التي ركبت موجة الثقافة :كما أن الديموقراطية الليبرالية هي أيديولوجية هدفت دائماً إلى أن تسود سواء في تاريخها القديم منذ الإمبراطورية الرومانية أوفي تاريخها الحديث والمعاصر الذي يتجسد في أمركة العالم وهى نفسها الثقافة الغربية الأحشاء الأم لأيديولوجيات الغرب التي تصارعت؛ ولهذا فإننا قد اعتبرنا ـ كما سبق وأشرنا إن الماركسية ابتداع غربي أو(هرطقة رأسمالية) على أساس إن الماركسية هي أيديولوجيا نمت وترعرعت ضمن سياق ثقافي غربي وداخل إطار تاريخي تكتنفه مجريات وثقافات غربية.

إن تغليب أو ترجيح هنتنغتون لأسبقية الغرب على الحداثة ،أو الحضارة بمعنى آخر(35)' يسطو على ذلك التعريف الذي يصنعه هنتنغتون للحضارة باعتبارها كياناً ثقافياً يحتوي على مجموع القيم والمؤسسات وأساليب التفكير التي تتشبث بها الأجيال المتتالية داخل مجتمع ما .فإن الحضارات تتميز بعدة مميزات ككيانات شمولية تشكل أعلى مستوى للهوية الثقافية للبشر وتتحد ماهيتها من خلال اللغة والتاريخ أو الدين والمؤسسات والعادات لتكون الإنسان نفسه؛ فإن الغرب هو حداثة الغرب نفسه ؛كما إن للحضارات حدود

35 ـ لمزيد من المعلومات أنظر هنتنغتون، صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص268.

واقعية وفعلية وهي تتطور وتتكيف بموجبها و تشكل بها أنماط التجمع الإنساني الأكثر استمرارية وتجذراً .

إنّ خطاب فوكوياما يعتبر جزءاً من الخطاب الثقافي الإمبريالي العام ؛و تبشيره بنهاية التاريخ أي الانتهاء إلى أيديولوجيا واحدة تسود العالم وتكون ضمن المنظومة الثقافية العالمية.و يزيده إدوارد سعيد وضوحاً على الصعيد الثقافي من أن الثقافة هي: "السلطة الإجتماعية للحمية الوطنية ،وتحصينات الهوية التي تمنحنا إياها ثقافتنا بحيث نستطيع مجابهة العالم بتحدٍ وثقة بالنفس ،وبلغة إعلانات فرانسيس فوكوياما الإنتصارية ،فإن بوسعنا "نحن" الأمريكيين أن نرى أنفسنا منجزين لنهاية التاريخ"(36).

الديموقراطية الليبرالية قد تشكل "نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية ؛والصورة النهائية لنظام الحكم البشري ؛وبالتالي فهي تمثل "نهاية التاريخ" وبعبارة أخرى أقول إنه بينما شابت أشكال الحكم السابقة عيوب خطيرة وانتهاكات للعقل أدت في النهاية إلى سقوطها .فإن الديموقراطية الليبرالية قد يمكن القول بأنها خالية من مثل تلك التناقضات الأساسية الداخلية"(37).يشكل من هذا القول انتصاراً ثقافياً لا يقل عن ذلك الذي يتناوله هنتنغتون وأطنب في الحديث عنه فوكوياما.

"وباختصار على وجه العموم الغرب سيبقى الحضارة الأكثر قوة محتفظاً بحالة جيدة وهو يدخل العقود المبكرة من القرن الواحد والعشرين .فيما بعد

---

36 - سعيد،إدوارد - الثقافة والإمبريالية - مرجع سابق - ص376.

37 - فوكوياما،فرنسيس - نهاية التاريخ وخاتم البشر - مرجع سابق - ص8.

سيكون بإمكانه أن يستمر في أن يكون له ريادة هامة في البحث العلمي وتنمية المهارات ،وتطوير المقدرات والتجديد في التقنية المدنية والعسكرية.."(38).

لقد اتخذ فوكوياما من الخطاب الأيديولوجي فاصلاً ما بين الشرق والغرب ،كأنما فوكوياما ينكر على الشرق أي إبداع في الخطاب الأيديولوجي السياسي ،وكأنما الديموقراطية والحرية السياسية والاقتصادية رهينة وحسب بالعقل والتاريخ الغربيين .

نفس الأمر مع هنتنغتون الذي يرى وجود إخفاق في الشرق في ممارسة القيم والمبادئ الديموقراطية الليبرالية ،ويعتقد إن الغرب هو الذي ازدهرت معه أفكار الحرية و الديموقراطية وحقوق الإنسان ـ ثم حرية السوق.

إنَّ كلاً من فوكوياما وهنتنغتون ظاهرياً يبدوان متناقضين ، إلا أنهما يقفان في صف واحد إذا كان فوكوياما قد أبرز أيديولوجيا الغرب :الديموقراطية الليبرالية فإنه يكون قد أبرز ثقافة بعينها ذات تاريخ بعينه ذات موروث بعينه وحتى ذات أدبيات بعينها."والذي خرج ظافراً ليست هي الممارسة الليبرالية بقدر ما كان الظفر للفكرة الليبرالية ومعنى هذا أن شطراً عظيماً من العالم اليوم لا يرى أيديولوجيا واحدة يمكن أن تدعى لنفسها صفة العالمية :وأنها في وضع يؤهلها لتحدي الديموقراطية الليبرالية كما أنه لا يرى مبدأ عالمياً للشرعية غير مبدأ سيادة الشعب"(39).

إنَّ هنتنغتون يبشر بالثقافة هي نفسها الديموقراطيَّة الليبراليَّة التي جعل لها أعمدة خاصة بها لا يشاركها فيها أحد وهي ثقافة الغرباوية ،أي الثقافة

---

38 ـ هنتنغتون ،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص182.

39 ـ فوكوياما ،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص56.

الحكر على الغرب فقد ساعدت فكرة حضارة عالميةمع نهاية القرن العشرين ـ كما يذهب هنتنغتون ـ "في تبرير الهيمنة الثقافية الغربية على المجتمعات الأخرى وحاجة تلك المجتمعات إلى تقليد الممارسات والمؤسسات الغربيَّة وإن العالميَّة أو الكونيَّة هي أيديولوجيا الغرب في مواجهة الثقافات غير الغربية..."(40).

إنَّ الثقافةَ مكونٌ هام من مكونات الفرد والأفراد إذ إنها موروث يتوارثونهُ جيل عن جيل ،ويعضُّون عليه بالنواجز لأنهُ خاصية خاصة بهم تميزهم عن ما عداهم .ولهذا هي جزء عزيز من الذات وعمل هام من عمل الكينونة وتعبير عن إنسانية الإنسان(41).

انطلاقاً من هذا الطرح فإن فوكوياما في تبشيره بأيديولوجيا الغرب إنما ينطلق من موقف ثقافي اتخذ من الحداثة أداة أو وسيلة للالتحاق بالغرب.كذلك الأمر مع هنتنغتون فهو يتحدث عن ثقافة بما هي أيديولوجية فثقافة الغرب هي أيديولوجيته وثقافة الشرق هي أيديولوجيته وثقافة المسيحية هي أيديولوجيتها وثقافة الإسلام هي أيديولوجيته ،ولا يتمايزان عن بعضهما البعض إلا من حيث التظاهر.

إنَّ الارتباط ما بين الثقافة والأيديولوجيا ارتباطاً حتمياً وضرورياً :فالثقافة ما هي إلا مكونات الذهنية لأفراد عاشوا في مجتمع معين وتواريخ معينة وظروف معينة :وهي العوامل التي أفرزت رؤى محددة في التعامل مع عدة أركان من أركان حياتهم من حيث علاقتهم ببعضهم البعض :ومن حيث

---

40 ـ هنتنغتون، صمويل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص143.

41 ـ لمزيد من المعلومات انظر(الحوراني ،يوسف ـ الثقافة وبناء الإنسان :سلطة الثقافة) ـ نحو تأسيل ديموقراطي للثقافة العربية- مجلة الفكر العربي ـ العدد(70) ـ بيروت ـ 1992م ـ ص31، ص43.

علاقتهم بالشعوب الأخرى ،وهذا هو لب الأيديولوجيا ووظيفتها.إن الأيديولوجيا هي تنميط لحياة الإنسان وعلاقته بنفسه وبالآخرين وهذه الوظيفة تنطلق من عمل الثقافة ونشاط تراكماتها المتوارثة المختلفة.

إنَّ كليهما (الأيديولوجيا والثقافة) ينطلقان من ذهنية تبحث عن الأفضل وهو الأفضل دائماً الذي يبدأ تاريخه من مصارعة الواقع من أجل تغييره أو الترقي به أو الانتصار عليه؛وحينما يتغلب عليهما الواقع فإنهما يصبحان حضارة وسياسة ؛وهذا هو لب المشكلة في الأطروحتين : إذ إن كليهما قائم على فكرة الازدواجية أو الثنائية ،فكما وجدنا أن فوكوياما قد ألغى الثقافي لحساب الأيديولوجي ؛بل إنه لم يشر إلى الثقافي إطلاقاً إلا بما هو مستبطن في الأيديولوجي.بخلاف هنتنغتون الذي بتغليبه الثقافي على الأيديولوجي وتوريثه إياه لصراعات الأيديولوجي بمعنى (العرق أو الدين أو الجنس أو اللغة) وقع في نفس الثنائية التي وقع فيها فوكوياما وإن كان قد تناول الأيديولوجي في عمله ولكن كتاريخ تجاوزه الفكر اعتبر أن يوم وفاته هو يوم ولادة الصدام الثقافي أو الحضاري بمعناه الأوسع.

"يمكن أن تكون الثقافة (في صورة مقاومة تحويل قيم تقليدية معينة إلى قيم ديموقراطية)عقبة في سبيل إقامة الديموقراطية .فما هي إذن تلك العناصر الثقافية التي تعرقل تأسيس الديموقراطية الليبرالية المستقرة؟ إنها عناصر تتعلق بدرجة وطبيعة الوعي القومي والعرقي والجنسي في دولة من الدول ذلك إنه ليس ثمة تناقض جوهري أصيل بين الوطنية والليبرالية ؛بل إن الوطنية والليبرالية كانتا في واقع الأمر شديدتي الارتباط في الصراعات من أجل الوحدة الوطنية في ألمانيا وايطاليا في القرن التاسع عشر.."(42).

---

42 - فوكوياما.فرنسيس - نهاية التاريخ وخاتم البشر- مرجع سابق - ص192.

قد شكّلتْ الولايات المتحدة الأمريكية تهديداً لاستقلال الدول الأخرى سواء كان على الصعيد الاقتصادي كما سبق وأشرنا ،وأيضاً الأيديولوجي والذي كما نرى لم يتأخر هنتنغتون من دعمه بل والتبشير به على الرغم من أنه يعتقد أنها الحضارة لا السياسة ولا الاقتصاد هي مركز الصراع ،فإننا نرى أن ما ذهب إليه هنتنغتون في التمييز ما بين الحضارة والثقافة والأيديولوجيا هو تمييز سطحيّ قشري .إنَّ الأيديولوجيا في جوهرها ما هي إلا تراكمات حضارية وثقافية ومعتقدات دينية وعرقية تراكمت لتظهر على السطح الأيديولوجي ،ومن ناحية أخرى ما الحضارة أو الثقافة سوى الأيديولوجيات بمعنى المبادئ والولاءات التي يعتنقها مجموعة من الناس.ولهذا نرى أن هنتنغتون و فوكوياما يتفقان لا يختلفان في اعتقادهما بدور الثقافة والحضارة والأيديولوجيا.

كما يلتقي فوكوياما وهنتنغتون في عالمية القيم الغربية ففي حين نجد هنتنغتون يرى أنه: "بتعزيز وجهة نظر الغرب بأنَّ الأيديولوجيا الديموقراطيّة الإمبرياليّة حققتْ انتصاراً عالمياً .ولهذا الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والتي كانت أمة ذات رسالة ،تعتقد بأن الشعوب غير الغربية يجب أن تلتزم بقيم الديموقراطية الغربية ؛ السوق الحرة: الحكومة المحدودة ،حقوق الإنسان الفردية ؛وحكم القانون ،ويجب أن تتضمن هذه القيم في مؤسساتها أقليات في حضارات أخرى تعتنق وتعمق هذه القيم ؛ولكن المواقف الغالبة اتجاهها في الثقافات غير الغربية تتراوح من الشك إلى المعارضة الشديدة. عالمية الغرب إمبريالية للآخرين"(43). نجد فوكوياما يذكر: "إن الديموقراطيّات الليبراليّة لا تُبدي قدراً كبيراً من عدم الثقة في بعضها البعض ؛ولا اهتمام لديها

43- هنتنغتون،صموئيل - صدام الحضارات - مرجع سابق - ص334 ولمزيد من التفسير أنظر نفس الصفحة من نفس المرجع.

بالهيمنة على الديموقراطيات الأخرى .فهي جميعاً تشترك في مبادئ المساواة والحقوق العالية ؛ولهذا فإنه ليس ثمة ما يدعوها إلى تحدي شرعية الآخرين"(44).

إنَّ خطاب هنتنغتون بالرغم من أنه يتعامل مع المشروع الحضاري الإنساني بصفة عامة والغربي بصفة خاصة إلا أنه يظل خطاباً أيديولوجياً؛وخطاب فوكوياما بالرغم من أنه يتعامل مع المشروع الأيديولوجي السياسي إلا أنه يظل بدوره خطاباً ثقافياً.وكليهما لا يعدوان كونهما تبشيراً بالعدمية الفكرية.

إنَّ هدف هذه الأطروحات هي تحييد الثقافات الوطنية حتى لا تكون مدعاة ليقظة الذوات في دول الجنوب ؛فمما لا شك فيه أن التراث الثقافي يشكل نقطة انطلاق للتحرر من الآخر خاصة إذا كان هذا الآخر آخراً مستعمِراً .ولقد ارتبطت معظم حركات التحرير في أفريقيا وفي آسيا بثقافاتها الوطنية.فالثقافة إذن تشكل عائقاً دون انتشار الحركات الكولونيالية ؛ومن ثم كانت هدفاً من قبل الغربي .فالثقافة أصبحت صورة سريالية لا تتجزأ عن الهيمنة الكونية ؛إذْ أن هذا استدعى عولمة الثقافة .الأمر الذي أوصلنا إلى اعتبار الثقافات الوطنية الخاصة ثقافات بائدة.وهذا هو لب الخطاب الحداثوي الذي يجمع ما بين فوكوياما وهنتنغتون.إن خطاب الحداثة مع فوكوياما وإن اتخذ طابعاً سياسياً واضحاً وبيّن للعيان."ستكون البشرية بمثابة قافلة طويلة من عربات متشابهة .قد تتجه بعض هذه العربات صوب المدينة في حركة جادة مفاجئة ؛وقد يعود بعضها إلى الصحراء ؛وقد تتعطل عجلات بعضها أثناء صعودها

---

44 ـ فوكوياما ـ فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص23.

الجبل.وقد يهاجم عدة عربات فيشعلون فيها النار ويهجرها ركابها في الطريق .وقد تذهل المعركة عدداً من الركاب ؛فيفقدون كل إحساس بوجهتهم ؛ويتجهوا مؤقتاً في الطريق الخطأ .وقد تتعب عربة أو عربتان من الرحلة فيقرر ركابها الإقامة الدائمة في معسكرات في نقط معينة من الطريق .وقد يجد آخرون طرقاً بديلة إلى الطريق الرئيسي رغم أنهم سيكتشفون أنهم من أجل اجتياز السلسلة الأخيرة من الجبال عليهم أن يستخدموا نفس النفق الذي سيستخدمه غيرهم.غير أن الغالبية العظمى من العربات ستمضي في رحلتها البطيئة إلى المدينة ؛وسيصل معظمها إليها.." (45).' ذلك القطار لا يعدو كونه قطاراً حداثوياً للالتحاق بالغرب .إن هنتنغتون في ذهابه إلى أن الغرب سابق للحداثة الأمر الذي أشرنا إليه من قبل إنه مثار اختلاف ما بين الرجلين لا يغير هذه الرؤية في شيء ؛فالغرب السابق على الحداثة أو اللاحق لها هو المركز الحداثوي الذي يجب أن تدين له دول الهامش بالولاء مع الفارق أن الحداثة عند فوكوياما حداثة سياسية اقتصادية يدعو فيها فوكوياما إلى الالتحاق بالغرب والانضواء تحت لوائه السياسي والاقتصادي بإقرار الديموقراطية الليبرالية كأيديولوجيا مُثلى ينبغي أن تهتدي كل المعمورة بهديها بينما عند هنتنغتون حداثة ثقافية حضارية.

إنَّ دعوة فوكوياما لا تختلف عن نظيرتها عند هنتنغتون ؛إنهما دعوتان إلى تأسيس توتاليتارية لا تختلف عن تلك التوتاليتاريات التي قامت حنة أرندت بنقدها إلا أنها نوع آخر من التوتاليتاريات هي التوتاليتارية الاقتصادية إن جاز التعبير التي تعتمد على السوق وهيمنته لاحتواء الآخر المشتت والضعيف

' 45 ـ المرجع السابق ـ ص293،ص294.

اقتصادياً .لهذا فإننا نعتقد أن كلا العملين لفوكوياما وهنتنغتون هما مجرد صدىً لأبواق السوق.و أن كليهما يشكلان دعائم تأسيس الإمبراطورية الأمريكية الجديدة على أعتاب وبقايا الإمبراطورية الرومانية(46).

إنَّ الإمبراطورية المزمع تأسيسها هي تلك التي تعطي لنفسها الحق ،وهو الحق غير المشروع في تدخل ودون استئذان في شؤون الدول والقارات مهما كانت درجة خصوصيتها."التي كما يرى هيغل بأنها سقطت في خاتمة المطاف لأنها في الوقت الذي اعترفت فيه بالمساواة القانونية العامة بين جميع الناس لم تعترف بحقوقهم ولا بكرامتهم الإنسانية .أما هذا الاعتراف لا نجده إلا في الحضارة المسيحية اليهودية التي أقرت مبدأ المساواة العامة بين البشر على أساس من حرية الإنسان الأخلاقية.."(47). أصبح كلا العملين مشهوراً بطريقة ما ،لأنهما حاولا اغتنام فكرة واحدة آسرة هي"الشيء الوحيد الكبير" أو الجزء المتحرك الرئيسي ،المحرك المهم الذي سيقود السوق الدولية ،فيما بعد الحرب الباردة ،سواء كان ذلك صداماً للحضارات أو فوضى أو سقوط الإمبراطوريات أو انتصارا لليبرالية(48)."إنها النزعة الانتصارية بشأن هيمنة وانتشار القيم الغربية وصلاحيتها للمجتمعات غير الغربية تستخدم من جانب البعض لتبرير الهيمنة الثقافية الأوروبية على العالم ،كما أُستخدم ما يسمى "عبء الرجل الأبيض" من قبل لتبرير الغزو والهيمنة الاقتصادية على مجتمعات غير غربية .يميز هنتنغتون ما بين مفهومي الغرب والحداثة يحاول البرهنة على أن

46- لمزيد من المعلومات أنظر أوندت ،حنة ـ أسس التوتاليتارية ـ مرجع سابق ـ ص126. ص129.

47 ـ فوكوياما،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ،مرجع سابق ـ ص70.

48 ـ لمزيد من المعلومات أنظر فريدمان،توماس ـ السيارة أليكسس وشجرة الزيتون ـ مرجع سابق ـ ص18. ص19.

الغرب كان غرباً قبل أن يكون حداثوياً؛ فالحداثة بما تنطوي عليه من تصنيع وتمركز حضاري وزيادة معدلات التعليم والخدمات الصحية وتعدد الوظائف صفات مشتركة بين مختلف مجتمعات هذا القرن بوتائر مختلفة ؛أما ما جعل من الغرب غرباً فيرجع إلى أسباب مختلفة .صحيح إن هنتنغتون يلفت النظر للحضارة الأوروبية كحضارة كونية"(49). يقول هنتنغتون"تاريخياً الحضارة الغربية حضارة أوروبية .وفي العصر الحديث فإن الحضارة الغربية هي أوروبية أو حضارة شمال أطلنطية"(50). إلا أن هذا ذاته يمهد لكونيتها إذ إن نفي احتمال اعتناق قيمها من جانب غير الغربيين لا يغير من هذه الهيمنة في شيء بل بالعكس يروج لها ويحفز العقل على تقليدها وضمها إلى المنظومة الفكرية لما بعد الحرب الباردة التي وضعت البشرية أمام خيار واحد هو الليبرالية الغربية بعد أن اندحرت وتقوضت المنظومة الشيوعية.

إذا كان الغربيون قد استخدموا فكرة"عبء الرجل الأبيض" أي كونية القيم الحضارية الغربية لتبرير الفتوحات ؛فإن هنتنغتون يستخدم اختلاف الغرب عما سواه ؛أي الخصوصية الحصرية والانعزالية الغربية لتبرير استمرار الصراع على المستوى الدولي أولاً وللعثور على عدو بديل لأعداء مرحلة الحرب الباردة ؛ثانياً و للحيلولة دون تراجع الهيمنة الغربية ثالثاً(51). لتأسيس دعائم هذه الإمبراطورية الأمريكية المبتغاة ؛فماذا تكون روما بدون أعدائها؟

---

49 ـ سيمون،شوستر ـ الكرمل ـ مرجع سابق ـ ص260.

50 ـ هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص113.

51 ـ لمزيد من التفاصيل أنظر:سيمون،شوستر ـ الكرمل ـ مرجع سابق ـ ص262.

ـ الفصلُ الثَّانِي: / الإسـلامُ ـ حرب الغربِ الدائمة :ـ

لعبتْ الأديان السماوية دوراً أساسياً في تطور الأحـداث الاقتصاديّة والسياسـيّة بالعالم ؛فلقد كان لشيوع المسيحية والإسـلام مثلاً أثر في صهر الحضارات وتزايـد التفاعلات السياسية والتجارية ما بينها.لقد مكن التبشير الديني أوربـا مـن ربـط صلات اقتصادية مع الشرق العربي واستغلت تلك الفرصة لتبني أسس نهضتها.

وعندما تحول الدين في القرون الوسطى التي اتسمت بالتزمت إلى عنصـر جمود وركود ،ولدت في القـرن السـادس عشـر ثـورة فكريـة ودينيـة إثـر ميلاد الاتجـاه البروتسـتانتي* كـان لهـا أثرهـا في الحيـاة الاقتصـادية والسياسـية كالكالفنيـة :التي تمثـل النمـوذج المثـالي علـى الإنسـان الحـديث وطموحاتـه الاقتصـادية : " عنـدما ينـزل الخـلاص مـن السـماء إلى الأرض لكـي يشـكل روح المبادرة والشركة التجارية ثم حب الاكتشاف و التعطش للكسـب والـربح ؛وبعـد أن فقد هويته الثقافية راح الإنسان الحديث يستدير نحو الآخر لكي يعثـر علـى ظله الضائع"(52).

إلا أنَّ هذا لا يعني انضواء الدين تحت الاقتصاد والسياسة بمعنـى تقبلـه لكـل تياراتهمـا وأهوائهمـا خاصـة تلـك الأفكـار الغربيـة الـتي أفرزهـا تـاريخ اقتصـادي متميز."فالأفكار الغربيـة عـن الفرديـة والليبراليـة والدسـتورية وحقـوق

---

* المذهب البروتستنتي Protestantism وهو مجموعة العقائد الدينية والكنيسة المنشقة عن حركة الإصلاح الديني في أوروبا التي رافقت ظهور وتطور الثورة الصناعية فيها .والبروتستانتية أنوعها مشتقة من كلمة لاتينية الأصل تعني الاحتجاج أو الإعتراض .والبروتستانتية بخلاف الكاثوليكية وإلى حد ما الأرثوذكسية ،لا تشكل كنيسة واحدة ذات سلطة مركزية هرمية بالرغم وجود العديد من القواسم المشتركة التي توحد بين معظم أطرافها .من أبرز مؤسسيها :لوثر وكالفن. أما أهم طوائفها فهي:اللوثرية،الإصلاحيون ، الانكليكان، المنهجيون،المعمدانيون، الأنجيليون.. ولعل القاسم المشترك الأساسيين كل هذه الطوائف هو إيمانها المطلق بأولوية الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد على السواء) على التقليد الكنسي كمصدر للوحي وكتعاليم للعقيدة والسلوك .فالبروتستانت يستمدون إيمانهم مباشرة من خلال تفسيرهم الذاتي لنصوص الكتاب المقدس .ومن هنا تعدد الطوائف وتباينها وهم بذلك يرفضون سلطة الكنيسة الكاثوليكية التي تعتبر أن التقليد الكنسي وتفسيرها الخاص للكتاب المقدس يعادلان من حيث الأهمية ما جاء في الكتاب المقدس ذاته. من هنا تبرز أهمية البروتستانتية كثورة واحتجاج على الكنيسة الكاثوليكية وتسلطها الديني والدنيوي في أوروبا آنذاك وكمحاولة مبلورة للتخلص من النظام الإقطاعي الأوروبي الذي كان يعيق نمو البورجوازية الصناعية والتجارية .ومن هنا أيضاً ذهاب بعض المفكرين كماكس فيبر إلى الربط بينها وبين بدايات الثورة الصناعية وبقضة القوميات في الغرب.

* 52 ـ لانوش. سرجي ـ تقويم العالم ـ مرجع سابق ـ ص 51.

الإنسان والمساواة والحرية وحكم القانون والديموقراطية والسوق الحرة وفصل الكنيسة عن الدولة غالباً ما تجد لها صدى ضئيلاً في الثقافات الإسلامية والكونفوشيوسية والهندوسية واليابانية والبوذية أو الأرثوذكسية" (53). و هذا هو الإخفاق الذي اكتشفهُ هنتنغتون في الديموقراطيَّة الليبراليَّة في أن تثبت وجودها في المجتمعات الإسلامية هو ظاهرة مستمرة ومتكررة لمدة قرن من الزمان بالكامل بداية مع أواخر القرن التاسع عشر .هذا الفشل له مصادره على الأقل جزئياً في الثقافة الإسلامية والمجتمع الإسلامي الرافضة للأفكار الغربية الليبرالية(54).

هنا يظهر الأمر وكأنهُ تضاد مابين الثقافة الإسلامية والتحضر كحالة تركيا التي يسوقها فوكوياما"قد لا يكون من دواعي الدهشة أن تركيا هي الديموقراطية الليبرالية الوحيدة في العالم الإسلامي المعاصر،حيث إنها الدولة الوحيدة التي طرحت التراث الإسلامي جانباً في صراحة تامة ،واختارت مع بدايات القرن العشرين إقامة مجتمع علماني"(55). وقد كان هذا موضع نقد هنتنغتون في قوله :"فقد صنع مصطفى كمال أتاتورك تركيا جديدة من حطام الإمبراطورية العثمانية ،وبذل جهوداً ضخمة من أجل غربنة تركيا وتحديثها في آن واحد ،وباختياره لهذا المسلك،ورفضه للماضي الإسلامي ،جعل أتاتورك تركيا دولة ممزقة كمجتمع كان مسلماً في ديانته ،وتراثه ،وعاداته ،ومؤسساته ،ولكن تحكمه نخبة صممت على أن تحوله نحو العصرنة ،غربية

---

53 ـ هنتنغتون،صموئيل ـ الإسلام والغرب ـ ت :مجدي شرشر ـ ط1 ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ـ 1995م ـ ص44.

54ـ هنتنغتون، صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص223.

55 ـ فوكوياما، فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص193.

ومع الغرب"(56)" ؛ ويشير هنتنغتون إلى كون أن"الإسلام والحداثة لا يتعارضان :المسلمون المستقيمون يمكنهم استخدام العلوم والعمل بفاعلية في المصانع أو استعمال الأسلحة المتطورة .التحديث لا يتطلب من أحد إتباع أيديولوجيا سياسية أو مجموعة مؤسسات :الانتخابات ؛الحدود الوطنية ؛التجمعات المدنية ؛وغيرها من أسس الحياة الغربية والتي ليست ضرورية للنمو الاقتصادي.."(57). ذلك أن هنتنغتون يأبه كثيراً بدور الثقافة لا من أجل تأييد الإسلام بل من أجل تبعية العالم المهمش ديناً وثقافة وعرقاً للغرب .ويوافقه سمير أمين الذي يرى أنه "أيمكن اليوم أن نتجاهل نتائج "الانفتاح الذي بدأ هنا خلال الخمسينات والذي دمر تماماً ما حققته الكمالية من حيث التنمية المستقلة؟ إن الاقتصاد التركي لم يثبت قدرته على استغلال فرص السوق من خلال تعمق اندماجه في الاقتصاد العالمي بل دخل في مأزق قاس من جميع النواحي تدمير الصناعة ؛وهجرة على نطاق واسع ؛وفقدان تام للاستقلال ؛وفوضى اجتماعية ؛وعنف سياسي" (58).

فإن الأنظمة الاجتماعية تتماسك بفعل عدد من العوامل منها اللغة المشتركة والدين .إلا أن هذا لا يكفي في تفسير العلاقة بين الدين والاقتصاد والسياسة فإن ما يجري في الشرق الأوسط حيث إن العرب يتكلمون لغة واحدة ويدينون بدين واحد وينتمون لذات الجماعة الإثنية الواحدة ومع ذلك ينقسمون لبلدان متحاربة .بينما في الصين يحدث العكس ظلت أكبر مجموعة في العالم من

---

56 ـ هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص156.

57 ـ المرجع السابق ـ ص163.

58 ـ أمين،سمير ـ ما بعد الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص44.

أناس متجانسين في مجتمع واحد لأربعة آلاف سنة بفضل أيديولوجيا موحدة (النظام الكونفشيوسي) تنادي بالتوحيد وليس بالفردية.نذهب إلى أن الإسلام هو دين يحث على الترابط والجماعية والاتحاد مصداقاً لقوله ﷻ : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون.﴾ وقوله ﷻ ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم.﴾ *وغيرها على عكس ما يذهب ثورو إلى أن كلاً من الدين الإسلامي والمسيحية يؤكدان على الفردية لذا فهما لا يصلحان لتماسك المجتمع بذاته فنجد النزاعات تفوق في مجتمعات المسيحية والإسلامية بين أبناء الدين الواحد كثيراً النزاعات مع أبناء دين آخر؛فمن الممكن أن يماسك محتل أجنبي قوي جماعة أثنية مختلفة(59)*؛وهنا نتفق مع ما ذهب إليه هنتنغتون :مع اختلاف المقاصد ،بخلاف رأي ثورو السابق أن:"المسلمين بأعدادهم الهائلة كانوا في نفس الوقت يتجهون نحو الإسلام كمصدر للهوية ،والمعنى :والاستقرار ؛والشرعية؛والتطور؛والقوة والأمل .هذا الانبعاث الإسلامي ؛أو الصحوة الإسلامية Islamic Resurgenceفي مداه وعمقه هو آخر مظهر في تكيف الحضارة الإسلامية مع الغرب ،إنه مجهود لإيجاد "حل" ليس في الأيديولوجيات الغربية ،ولكن في الإسلام.إنه يجسد قبول الحداثة ،ورفض الغربنة؛واستعادة الالتزام بالإسلام كمرشد في الحياة في العالم المعاصر"(60).*ولكن حتماً ليس

---

*سورة آل عمران .آية رقم (103)وسورة الحجرات .آية رقم (13)

*59 ـ ثورو.ليستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص18.

*60 ـ هنتنغتون.صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص214.ص215ولمزيد من المعلومات أنظر سعدي.محمد ـ المستقبل العربي ـ مرجع سابق ـ ص170.ص261.

بالمعنى الذي طرحه تورين من"إن عودة الدين هي في الغالب حركة معادية للحداثة ؛إنها تكافح ضد العلمنة وتحاول أن تنشيء مجتمعاً يوحد بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية"(61). بل بمعنى رفض الجانب السلبي للحداثة ذلك الذي يرفض بجرة قلم أسساً جوهرية تدخل في تركيبة الكائن الاجتماعي ؛أي تحديث الدين نفسه لا لكي يكون اعتذاراً أمام ثقافة غازية تريد أن تحل محل الذات ؛وهذا ما احتشدت به نصوص فوكوياما وهنتنغتون بالنظر إلى الإسلام وعلاقته بالحداثة. فقد أبرز هنتنغتون تناقض موقفه محذراً من انتشار الإسلام في المدى الطويل ؛مع ذلك، فإن الإسلام سيفوز .المسيحية تنتشر عن طريق الاعتناق والإسلام بالاعتناق والتكاثر السكاني .إن نسبة المسيحيين في العالم وصلت عند أقصى مستوى لها إلى 30٪ خلال الثمانينيات ؛ثم تدنت ؛والآن هي آخذة في الهبوط وربما تصل تقريباً إلى 25٪ من سكان العالم سنة 2025 .وكنتيجة للارتفاع الهائل في معدلات النمو السكاني ؛فإن عدد مسلمي العالم سوف يتزايد بشكل قوي ؛ليصل إلى 20٪ من سكان العالم مع حلول القرن القادم ؛متجاوزاً عدد المسيحيين خلال سنوات بعد ذلك ؛ليصل ربما إلى 30٪ تقريباً من سكان العالم سنة 2025"(62).

إنَّ فوكوياما وهنتنغتون يتعسران في طريقهما نحو الآخر المختلف ثقافياً عن الغرب؛فإن الدين الذي يعتبره هنتنغتون عاملاً حضارياً يجمع البشر في وحدة ثقافية أو حضارية واحدة تكيل العداء والإرهاب نحو بني البشر هو في الواقع ليس كما تصورا له .

---

61 ـ تورين ،آلين ـ نقد الحداثة ـ مرجع سابق ـ ص91.

62 ـ هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص163،ص142،ص143.

فإن هنتنغتون الذي اعتقد أكثر من فوكوياما بأن الدين هو الذي يشرذم البشر ضمن مجموعات واحدة"الجماعات الدينية تزود المجموعات الدينية الصغيرة حتى يحلوا محل أولئك اللذين ضاعوا من جراء عملية التحول إلى حياة المدن :الإحياء الديني شمل جماعات سلفية تعطي معاني جديدة للتقاليد الدينية لمجتمعاتها ،فيها انعاش أو انبعاث جديد"(63). إن ما نجده من رابط ما بين أبناء القومية الواحدة باختلاف عقائدهم أثبت التاريخ السياسي الحديث أنه كثيراً ما جمع ما بين هذه الأجناس المتباينة ،بينما كثيراً ما افترق أبناء الدين الواحد :فالمسلمين من السنغاليين والصينيين والأندونيسيين والعرب ومسلمي آسيا ليس ثمة رابطٌ قويٌ بينهم بعد أن فصلتهم اللغة والجغرافيا والتاريخ(64) :صحيح أن الدين رابط مهم وأساسي قد أضعف خاصة من قبل أنصار الحداثة :تلك الحداثة التي يهلل لها الخطاب الفوكوياميي ويبشر بها خطاب هنتنغتون.

وهذا أيضاً ما يشير إليه هنتنغتون في استعراضه لمفهومه عن الإسلام الأصولي الذي يعتبره قد تحالف مع الكونفوشيوسية ضد الغرب "إن دعاوى العالمية أو الإنسانية التي يطرحها الغرب تضعه بشكل متزايد في صراع مع الحضارات الأخرى،وبشكل أكثر خطورة مع الإسلام والصين؛وعلى المستوى المحلي فإن حروب خطوط الصدع Fault Line Wars والتي تقع بشكل رئيسي بين المسلمين وغير المسلمين تولد الحشود التي تؤيدها دولة تشاطرها حضارتها .والتهديد بتوسيع حدود الصراع ؛وبالتالي تبذل الدول الكبرى جهوداً من أجل

---

63 - هنتنغتون،صموئيل - صدام الحضارات - مرجع سابق - ص191،ص194.

64 - لمزيد من المعلومات أنظر الجباس،بلال التكريتي - الإنتماء القومي والشكلية الدينية - العرب والعالم - المجلد الأول - السنة الأولى - فبراير / 2004م - مجلة شهرية تصدر عن دائرة الفكر والدراسات - ص7.

إنهاء هذه الحروب "(65). التي يرى هنتنغتون أنه من "غير المرجح أن يتراجع هذا التفاعل العسكري الدائر منذ قرون بين الغرب والإسلام وقد يصبح أكثر قسوة"(66). توسيع المواجهة بين الإسلام والغرب وإضرام النار ما بين المعسكرين .معسكر الأنا ومعسكر الآخر الغربي كأنما ليس هناك ثمة مجال للقاء.

حيث تتمثل نقطة الالتقاء التي يشير إليها بين الإسلام والكونفوشيوسية "العلاقة الكونفوشيوسية ـ الإسلامية ستستمر وربما تتوسع وتتعمق .الجوهري في هذه العلاقة هو تعاون المجتمعات الإسلامية والصينية في معارضة الغرب حول منع انتشار الأسلحة النووية وحقوق الإنسان وقضايا أخرى.."(67) يوظف هنتنغتون الرأي القائل بأن "تحالف كونفوشيوسي ـ إسلامي يمكن أن يتحقق ليس لأن محمد وكونفوشيوس ضد الغرب :ولكن هذه الثقافات تقدم الآلية للتعبير عن المعاناة التي يلومون الغرب على أسبابها جزئياً.."(68) :ونجده يورد الدعوة الأكثر عاطفية للتعاون التي جاءت من معمر القذافي في مارس 1994 حيث أعلن أن :"النظام الدولي الجديد يعني سيطرة اليهود والنصارى على المسلمين :وإذا استطاعوا بعد ذلك السيطرة على الكونفوشيوسية أيضاً أصحاب الديانات الأخرى: الهند: الصين: اليابان ..وهكذا يقول النصارى واليهود الآن كما صممنا على سحق الشيوعية يجب أن نصمم الآن على سحق الإسلام ..

---

65 ـ هنتنغتون ، صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص72.

66 ـ هنتنغتون، صموئيل ـ الإسلام والغرب ـ مرجع سابق ـ ص24.

67 ـ المرجع السابق ـ ص413.وراجع من الكتيبات أكثر نقد الكتاب بكتاب الإسلام والغرب ص35.

68 ـ المرجع السابق ـ ص414.

ونحن ليس لدينا المبرر للتفكير إلا الانحياز ضد الصليبية الانحياز مع الكونفوشيوسية والتحالف معها والقتال معها في جبهة عالمية واحدة حتى نقضي على الخصم المشترك .. إذن نحن سنؤيد الصين كمسلمين في صراعها مع عدونا المشترك ..ونتمنى لها النصر"(69).

إننا نجد دولاً وشعوباً تتحالف رغم وجود اختلافات وتناقضات حضارية وثقافية ضاربة في التاريخ ؛إلا أن ما يجمعها هو مصالحها الموحدة ؛فهنتنغتون نفسه عندما يناقش التحديات الأساسية للغرب والتي تتمثل في الشعوب الإسلامية والآسيوية وباعتبارها أكثر الشعوب عداءً للغرب ؛وبالتحديد عندما يورد تحالف الإسلام والكونفوشيوسية ضد الغرب لم ينتبه إلى أن الطرفين المتحالفين مختلفين ثقافياً وحضارياً ولكن وجود عدو مشترك عمل على تحالفهما بغض النظر عن خلفياتهم الثقافية والحضارية ؛وكذلك إذا كان رأيه صحيحاً علينا أن ننتظر تقارباً ما بين الصين واليابان ؛فالدول ستتحالف مع أي حضارة أو دولة مادام ذلك يحقق مصلحتها .إلا أن الإطار المرجعي الذي يدفع هنتنغتون إلى الجمع ما بين هاتين الديانتين هو الاقتصاد الذي يشكل الهاجس الدائم للغرب (النفط وواردات الصين) فالدول الإسلامية في مقدمتها إيران والسعودية والإمارات وأخيراً العراق الذي دخله عنوة واحتله .هي الدول الإسلامية الغنية بالنفط ؛ففي الواقع حربه ضد الإسلام هي حربٌ اقتصادية للحصول على النفط .

إن الخطاب الفوكوياميي بدوره يعد خطاباً تبشيرياً ؛ذلك الذي تكرر مع هنتنغتون في تفضيله نمطاً معيناً من المسيحية اعتبرها من مكونات الغرب أو

---

(69) ـ المرجع السابق ـ ص414ـ ص415.وللمزيد من المعلومات أنظر 209ـ ص200.

مفهوم الغرباوية ؛إذ إنه اعتبر أن الكاثوليكية هي أحد أعمدة الغرب فكراً وعرقاً .وإن البروتستانتية فهي تتساوى مع الإسلام حتى في عدائها المسيحية ؛بينما لم يُشِرْ إلى المذاهب الأرثوذكسية إذ إنها ذات طابع ونشأة شرقية .إن هنتنغتون هنا ينطلق من عرقية مصطحباً معه نظرة دينية شوفينية ميزت ما بين مذاهب الدين الواحد."المسيحية الغربية أولاً الكاثوليكية والبروتستانتية هي تاريخياً أكثر خاصية متفردة وهامة في الحضارة الغربية خلال معظم الألف سنة الأولى من عمرها .حقاً: كانت الحضارة الغربية يطلق عليها العالم المسيحي الغربي وقد وجد شعور جماعي نام فيما بين الشعوب المسيحية الغربية حيث إنهم كانوا متميزين عن الأتراك ومغاربة الأندلس والبيزنطيين وآخرين كانت خرجت من أجل الله والثروة في غزوها للعالم في القرن السادس عشر حركة الإصلاح الديني والحركة المضادة للإصلاح وانقسام العالم الغربي إلى شمال بروتستانتي وجنوب كاثوليكي هي الأخرى إحدى المظاهر المميزة للتاريخ الغربي ؛وهذا لا ينطبق على الشرق الأرثوذكسي وزعزع بشكل كبير من خبرة أمريكا اللاتينية"(70). إلا أن الرجلين (فوكوياما وهنتنغتون) يفرطان في رسم صورة مبالغ فيها عن الأصولية الإسلامية والإسلام .فإن فوكوياما لم يَكْفِهِ إرجاع الحركات القومية التحررية العربية بما فيها الناصرية إلى الحركات القومية في الجنوب الأوروبي خاصة في إيطاليا .إلتفت للإسلام ولما وجده أمراً فريداً لا مرجعية له في الغرب رد الحركات الإحيائية الراهنة للأصولية الإسلامية على اعتبارها: "رد فعل لفشل المجتمعات الإسلامية بوجه عام في الحفاظ على كرامتها في مواجهة الغرب غير المسلم ؛ولا يمكن إدراك قوة الإحياء الإسلامي

---

70 ـ المرجع السابق ـ ص415.وللمزيد من المعلومات أنظر 335.ص336.

إلا إن أدركنا عمق الجرح الذي أصاب كبرياء المجتمع الإسلامي بسبب فشله المزدوج في الحفاظ على تماسك المجتمع التقليدي ،والتمكن من تمثل تقنيات الغرب وقيمه"(71).

"الأصولية التي تفهم عادة بأنها الإسلام السياسي :عنصر واحد من إحياء أكثر شمولاً للأفكار والممارسات والعلوم الإسلامية ولتكريم الإسلام من قبل المسلمين :نزعة المسلمين إلى العنف تطرحها أيضاً مدى درجة عسكرة المجتمعات الإسلامية ،والدول الإسلامية لديها نزعة للالتجاء إلى العنف في الأزمات الدولية .الإسلام منذ البداية كان دين السيف ،والإسلام انتشر بالسيف ،ويثمن ويعظم القيم والفضائل العسكرية .الإسلام نشأ وظهر بين قبائل البدو المقاتلين .وهذا الأصل العنيف طبع في تأسيس الإسلام"(72).

إن الأصولية سواء في الأديان الشرقية أو المسيحية أو الإسلام ليست تيارات مناوئة لاستقرار المجتمع وأمنه كما يفهم كل من فوكوياما وهنتنغتون .فالدين وأشير هنا إلى رأي توفلر:"فإن الدين ليس عدواً للديموقراطية :ففي مجتمع علماني متعدد الأديان ومتميز بفصل واضح مابين الدولة والدين من شأن وجود تنويعة من الدينيين و اللا دينيين أن يعزز حيوية الديموقراطية وديناميكيتها" (73). إن الأصولية لا تمثل سوى صحوات عقلية في فهم الدين ،وكما يذهب توفلر مرة أخرى أن الأصولية "ليست خطرة في حد ذاتها لكن في خضم الصحوة الدينية الجبارة يتكاثر المتعصبون في كل بلد لا في إيران فحسب

71 ـ لمزيد من المعلومات أنظر فوكوياما، فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص210.ص240.ص241.

72 ـ هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص215. ص442. ص449. ص450.

73 ـ توفلر،ألفن ـ تحول السلطة ـ مرجع سابق ـ ص490.ولمزيد من المعلومات أنظر (الجباعي،جاد الكريم ـ الإنتماء القومي والمكانة الدولية)ـ مرجع سابق ـ ص5.

الملتزمون بالسيطرة دينياً على عقل الفرد وسلوكه وثمة آخرون يعيرونهم السند والتأييد عن غير قصد"(74). لم يكن ممن يشنون الهجوم من الأصوليين المسيحيين على المجتمع العلماني يرون أنفسهم أعداء للديموقراطية بل أغلبهم كان سيغضب بلا شك من الفكرة نفسها ،وثمة مؤشرات لصحوة دينية متبوعة بتطرف أصولي في أنحاء أخرى عديدة من العالم(75). إن الانقسامات الدينية ليست هي الحروب الدينية للقرن الواحد والعشرين كما يفترض ذلك صموئيل هنتنغتون .إن الدولة ـ الأمة هي ظاهرة القرن التاسع عشر والعشرين وفي أغلب الحالات من الصعب ابتداء مبادئ مشتركة تبين لماذا توجد أمم ـ اليوم وليس نوع آخر من تجمع الأمم ؛وأي مبدأ يفترض للانفصال ؛في العالم العربي رغم اللغة الواحدة والدين المشترك والتراث الإثني الواحد نجده ينقسم إلى عديد من البلدان.ما يحدث ليس حروباً دينية وإنما ظاهرة تشظي أثني حيث وجدت خطوط للتصدع .والدم والنسب هما في الدماغ وليس على الأرض؛وحيثما وجدت جماعات أثنية متجانسة في قطر معين فإن المنطقة الكبيرة تنفصل أو تكون مهددة بالانفصال مثل ما في كندا ـ الهند ؛وفي الدولة المتجانسة إثنياً كألمانيا فإن الهجرة المفتوحة تستبدل بهجرة أثنية (76) .

إنَّ الأصولية الدينية تأخذ في مختلف الديانات سواء الهندوسية أو الإسلامية أو المسيحية أو البوذية اتجاه نحو التزايد والنمو في كل مكان ؛ موعظتها بأن كل من يتبع السلف ويسير على نهجه ينال

---

74 ـ المرجع السابق ـ نفس الصفحة.

75 ـ لمزيد من المعلومات أنظر المرجع السابق ـ ص487،ص488.

76 ـ توروـ لمستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ مرجع سابق ـ ص270.

الخلاص .فمثلاً : "انضمت الأصولية الدينية في الجزائر من خلال قتل ما بين 30 ألف ـ 40ألف مدني وحرب على الأجانب ؛وفي إسرائيل يتمنطق شباب مسلمون ذكور بالقنابل ويفجرونها في مكان وقوف الحافلات أو في وسط المدينة ومن يقوم بهذا العمل موعود بحور عين ؛وأيضاً قام يهودي أمريكي أصولي برش طلقاته في جامع في الخليل ليقتل تسعة وعشرين مسلماً وهم يؤدون الصلاة ؛ومنها أصبح المكان الذي دفن فيه هذا الأصولي مزاراً لمن سيسير على خطاه من اليهود؛ وفي الهند هدم الأصوليون الهندوس مسجداً إسلامياً قائماً منذ أربعة قرون ؛وفي الولايات المتحدة نسف الأصوليون المسيحيون عمارة حكومية في مدينة أوكلاهوما وقتل 167 شخصاً منهم 19 طفلاً وسارع الأمريكان إثر نسف عمارة أوكلاهوما إلى اتهام الأصوليين المسلمين بالحادث حين كان الفاعل مجهولاً ؛لكنهم حين تمكنوا من معرفته رفضوا استخدام مصطلح الأصوليين المسيحيين" (77). لكنهم ما إن اكتشف الأمريكان إنهم مسيحيون لم يتخذوا منهم موقفاً حاسماً فأعلنوا في البداية عن أنهم إرهابيون إسلاميون إلا أن هذه الصفة سرعان ما سحبت .الأمر الذي يؤكد مقولتنا من أن الإسلام هو العدو الأول لهذه الديموقراطية الليبرالية.حيث كان الإسلام من أهم العناصر التي قربت ما بين فوكوياما وهنتنغتون .كما أن فوكوياما يشير إلى أن الإسلام هو الأيديولوجيا الوحيدة المتبقية في عالم الأيديولوجيات التي تناوئ الديموقراطية الليبرالية إلا أنها قد فقدت جاذبيتها."بالرغم من القوة التي أبداها الإسلام في صحوته الحالية ؛فبالإمكان القول إن هذا الدين لا يكاد يكون له جاذبية خارج المناطق التي كانت في الأصل إسلامية الحضارة .وقد يبدو أن زمن المزيد من التوسع

77 ـ المرجع السابق ـ ص264.ص265.

الحضاري الإسلامي قد ولّى .فإن كان بوسع الإسلام أن يكسب من جديد ولاء المرتدين عنه :فهو لن يصادف هوى في قلوب شباب برلين ،أو طوكيو،أو موسكو؛ورغم أن نحو بليون نسمة يدينون بدين الإسلام ؛(أي خمس تعداد سكان العالم) فليس بوسعهم تحدي الديموقراطية الليبرالية في أرضها على المستوى الفكري بل إنه قد يبدو أن العالم الإسلامي أشد عرضة للتأثر بالأفكار الليبرالية على المدى الطويل من احتمال أن يحدث العكس :حيث إن مثل هذه الليبرالية قد اجتذبت إلى نفسها أنصاراً عديدين وأقوياء لها من بين المسلمين على مدى القرن ونصف القرن الأخيرين .والواقع أن أحد أسباب الصحوة الأصولية الراهنة هو قوة الخطر الملموس من جانب القيم الغربية الليبرالية على المجتمعات الإسلامية التقليدية"(78)، ويستمر فوكوياما في تهجمه على الإسلام وتشبيهه له بالنازية"ما من مجتمع إسلامي ـ قبل الثراء الناجم عن النفط في الستينيات والسبعينيات ـ تمكن من تحدي الغرب عسكرياً أو اقتصادياً .بل إن الكثير من المجتمعات الإسلامية ظل تابعاً للاستعمار الغربي خلال الحرب العالمية الثانية :كما تحطم مشروع الوحدة العربية العلمانية عقب هزيمة مصر المذلة عام 1967 على يد إسرائيل .ولم تكن حركة إحياء الأصولية الإسلامية التي ظهرت مع الثورة الإيرانية عامي 1978 ـ 1979 ـ مجرد حالة من حالات استمرار "القيم التقليدية " في العصر الحديث.ذلك أنه كان قد سبق خلال المائة عام الماضية أن ألحقت الهزيمة الساحقة بهذه القيم العفنة المتهاونة .وإنما كانت حركة الإحياء هذه تأكيداً جديداً للحنين إلى مجموعة من القيم أكثر عراقة ونقاء :يقال إنها كانت قائمة في الماضي البعيد ؛وإنها غير

78 ـ فوكوياما،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص56.ص57.

"القيم التقليدية" للماضي القريب التي ثبت فسادها ،وغير القيم الغربية التي نقلت إلى الشرق الأوسط في صورة شوهاء.وفي كل هذا نرى تشابهاً أكثر من أن يكون سطحياً بين الأصولية الإسلامية والنازية الأوروبية ولا يمكن إدراك قوة الإحياء الإسلامي إلا إن أدركنا عمق الجرح الذي أصاب كبرياء المجتمع الإسلامي بسبب فشله المزدوج في الحفاظ على تماسك المجتمع التقليدي ،والتمكن من تمثل تقنيات الغرب وقيمه كما أن الأصولية الإسلامية غير صالحة للتصدير إلى المناطق غير المسلمة من العالم"(79). كما أن هنتنغتون يشبه حركة الانبعاث الإسلامي بالماركسية: "في مظهره السياسي :الانبعاث الإسلامي يحمل بعض التشابه مع الماركسية :نصوص دينية :نظرة إلى المجتمع الكامل :العزم على التغيير الجذري :رفض كل القوى التي توجد والدولة القومية والتنوع العقائدي بداية من الإصلاح المتواضع ووصولاً إلى العنف الثوري: تشبيه آخر أكثر فائدة :مع ذلك: هو حركة الإصلاح البروتستانتي :كلاهما كان رد فعل لركود وفساد المؤسسات القائمة"(80). في حين إنه فصل الشق الثالث للمسيحية وهو الأرثوذكسية واعتباره إياها إنها شرقية متمركزة في روسيا وهناك فرق ما بينها وبين حضارة العالم المسيحي الغربي كنتاج للنسب البيزنطي كدين متفرد: 200 سنة من الحكم التتاري ،والاستبدادية الشرقية البيروقراطية :مع احتكاك محدود بعصر النهضة ،والإصلاح ،وعصر التنوير :وغيرها من التجارب الغربية الرئيسية الأخرى(81) ،ويتابع أيضاً: "إذا كانت روسيا غربية ،فإن

---

79 ـ المرجع السابق ـ ص210،ص216.

80 ـ هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص216،ص217،ولمزيد من المعلومات أنظر سيمون،شوستر ـ الكرملـ مرجع سابق ـ ص261

81ـ لمزيد من المعلومات أنظر هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص111.

الحضارة الأرثوذكسية تختفي عن الوجود"(82). إذا كان هنتنغتون انتهج سبيل التفرقة بين الحضارات على أساس الدين فلماذا لا يسمي جميع الحضارات باسم الدين الذي تعتنقه وستكون عندئذ :الحضارة المسيحية ،الحضارة الإسلامية والحضارة البوذية ...إلا أننا نجد صموئيل هنتنغتون يذهب إلى غير ذلك ؛حيث لا يستعمل الدين كمقياس للتمييز بين الحضارات إلا بالنسبة للإسلام وحده ،أما الحضارات الأخرى فهو ينسبها إلى شيء آخر غير الدين .فالكونفوشيوسية ليست ديناً بل فلسفة أخلاقية وسياسية .أما الديانة السائدة في الصين فهي البوذية تليها الطاوية* .هذا من جهة ،ومن جهة أخرى فالكونفوشيوسية منتشرة أيضاً في اليابان إلى جانب البوذية والشانتو التي هي نحلة متفرعة عن البوذية(83). "كانت البروتستانتية هي العامل الذي أسهم في رأي الناس في إضفاء العلمانية على المسيحية في الغرب، وذلك حين جعلت الدين شأناً خاصاً بين المسيحي وخالقه ؛ فاستأصلت الحاجة إلى طبقة مستقلة من القسس؛وإلى التدخل الديني في السياسة ؛وقد خضعت ديانات أخرى في مختلف أنحاء العالم لعمليات تحول علماني مماثلة كالبوذية والشنتوية ؛اللتين قصرتا نشاطهما على مجال عبادة خاصة تتركز حول العائلة أما تراث الهندوسية والكونفوشيوسية فهو مزيج من الاثنين.."(84).

---

82 ـ المرجع السابق ـ ص262.

* الطاوية:هي احدى الديانات الصينية الكبرى القديمة .أسسها الفيلسوف الصيني (لاوتسي) أو الفيلسوف القديم هي القرن السادس قبل الميلاد .أما كلمة "طاو" فهي تعني الطريق الذي يبين عالم الظواهر ونظامه كما تعني نظام الكون الذي لا يدحظه الخلل.وتعني القوة الكامنة في الطبيعة والأشياء ،و هي المبدأ الأخلاقي الذي يحكم سلوك الانسان الطيب.

83 ـ الجابري،محمد ـ قضايا الفكر المعاصر ـ مرجع سابق ـ ص104.

84 ـ فوكوياما،فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ مرجع سابق ـ ص193.

لقد نقل لنا النصين الفوكوياما والهنتنغتوني كل هذا وغضا الطرف عن كون العالم الغربي قد امتلأ بحركات أصولية يهودية وأصولية مسيحية وحركات عرقية مثل حركة الكو ـ كلاس ـ كلان** تلك المنظمة التي اكتسبت حماية أمريكا لها بحجة حرية الكلام والتي ـ كما يذهب تشو مسكي ـ "لم تكسب في الغالب إلا دفاعاً عن آراء منحرفة ومريعة جداً .فقرار المحكمة العليا الصادر في سنة 1969كان عن منظمة كوك ـ كلاس ـ كلان .وحمايتها من المحاكمة بعد أن عقدت اجتماعاً على طريقتها حضره المقنعون مع البنادق وصليب يحترق للمناداة بدفن العبيد وإرجاع اليهود إلى إسرائيل"(85). فلكي يتم منع حصول الأمريكان السود على الاستقلال لابد للطبقات المسيطرة شل حركتهم وعدم تمكنهم من النضال ضد التمييز العنصري بواسطة ممارستها الإرهاب الجماعي ضدهم ولا تستطيع ممارسة ذلك الإرهاب إلا بتشكيل منظمة متخفية لا يلقى نشاطها على المؤسسات الحكومية والسياسية الرئيسية في البلاد ولا تسيء إلى الأسس الاقتصادية الاجتماعية للديموقراطية البرجوازية والمنظمة التي تتوافر فيها هذه الشروط هي "كو ـ كلاس ـ كلان" التي أثبتت فاعليتها كسلاح للإرهاب الموجه ضد الزنوج تحت دعاوى محاربة الشيوعية ،واليسار، وتنقية العرق الأمريكي(86). "حتى أنها أرهبت الزنوج لينصرفوا عن مراكز الانتخاب فهي تحمل نزوة تفوق العنصر الآري"(87).

** الكو ـ كلاس ـ كلان: هي التسمية التي أطلقت في البداية على جمعية سرية قليلة العدد ذات بنية بدائية التنظيم في دوحاتها ونظام الترقية فيها إلى جانب الطقوس الغريبة التي تمارسها ، هي جمعية سرية نشأت في الولايات المتحدة لترسيخ سيطرة البيض على الزنوج.

85 ـ تشو مسكي .نعوم ـ إعادة الديموقراطية ـ مرجع سابق ـ ص454.

86ـ لمزيد من المعلومات أنظر حسونة .خليل ـ الإرهاب الأمريكي ـ مرجع سابق ـ ص41 ،ص48.

87 ـ كوماجر .تيفيلز ـ موجز تاريخ الولايات المتحدة ـ مرجع سابق ـ ص267 ،ص474 ولمزيد من المعلومات أنظر ليسينيفسكي .ايفانوف ـ تاريخ الإرهاب الأمريكي ـ مرجع سابق ـ ص13 ،ص22.

لقد أغفل هنتنغتون كل هذا ليتهم المسلمين بصعوبة اندماجهم مع الحضارات الأخرى وكونهم مصدراً لعدم الاستقرار والقلق في العالم"الانفجار الديموغرافي في المجتمعات الإسلامية وتوفير الأعداد الهائلة والتي هي غالباً من الشباب العاطلين والبالغ عمرهم ما بين 15 و 30 هذا هو المصدر الطبيعي لعدم الاستقرار والعنف خلال الإسلام وضد غير المسلمين:وانهيار الشيوعية حولت العدو المشترك للغرب وللإسلام وترك كل واحد يرى الآخر مصدر تهديد له،والاتصال المتزايد بين المسلمين والغربيين ولّد في كل واحد منهما شعوراً جديداً بهويتهم وكيف أن هذه الهوية مختلفة عن الآخر ؛التفاعل والتمازج فاقم الاختلافات حول حقوق أعضاء الحضارة الواحدة في بلاد يسيطر عليها أعضاء من حضارة أخرى في كل من المجتمعين المسلم والمسيحي انحدر التسامح مع الأخر بشكل حاد في الثمانينيات والتسعينيات"(88).

لقد كانت التصورات ووجهات النظر السياسية التي صاغتها ـ كما يذهب إدوارد سعيد ـوتلاعبت بها وسائل الإعلام "على قدر مبالغ من الأهمية في ذلك كله .في الغرب كانت تمثيلات العالم العربي وما تزال منذ حرب عام 1967 فضة وتقليصية وعرقية عنصرية .كما أثبت البحث النقدي في أوروبا والولايات المتحدة بما لا يترك مجالاً للريبة .لكن رغم ذلك تستمر في تدفق الأفلام والعروض التلفازية التي تصور العرب راكبي جمال دنيئين وإرهابيين وشيوخاً أثرياء إلى درجة الاشمئزاز"(89).

---

88 ـ المرجع السابق ـ ص374. ص452،ص453. ولمزيد من المعلومات أنظر سعدي،محمد ـ المستقبل العربي ـ مرجع سابق ـ ص171.

89 ـ سعيد،إدوارد ـ الثقافة والإمبريالية ـ مرجع سابق ـ ص105.

إنّ الحروب المسلمة بخلاف ما يذهب إليه هنتنغتون ليست حروباً أشعل نارها الإسلام ؛بل أشعلها الغرب وأمريكا خاصة ؛فما من حرب في العالم الثالث إلا وكانت الولايات المتحدة الأمريكية هي الدافع والمخطط بل والمنفذ لها في كثير من الأحيان .فإن القلاقل التي حدثت في آسيا التي سبق وأشرنا لها،والتي ما فتئت يشتد أوارها الأمريكي حتى زماننا المعاصر ؛إنه لولا أمريكا وتدعيمها لصدام حسين هي وبريطانيا لما كانت هناك حرب ما بين العراق وإيران ؛فلقد سلحوا ودعموا صدام حسين من أجل أن يهزم لهم حكم رجال الدين في إيران ؛ومن أجل أن يقيم نظاماً موالياً للغرب وأمريكا في الشرق الأوسط .وعندما حاول صدام حسين رفع سبابته أمام نصيره القديم لمحاولته غزو الكويت ومن ثم تهديد المصالح الاقتصادية الأمريكية في الخليج انقلبوا عليه حتى ألبوا عليه دولاً عربية وإسلامية ؛ليس من أجل عيون الديموقراطية والحرية بل من أجل الاقتصاد..فصدام حسين الذي أسعفته التكنولوجيا الأمريكية في حربه ضد إيران وفي غزوه للكويت قد انقلب ليكون في قائمة المطلوب القبض عليهم."حرب الخليج بدأت كحرب بين العراق والكويت ثم أصبحت حرباً بين العراق والغرب ؛ثم بين الإسلام والغرب ؛ثم أصبح ينظر إليها من قبل العديد من غير الغربيين كحرب الشرق ضد الغرب "حرب الرجل الأبيض " حرب جديدة للإمبريالية القديمة"(90).

أما أفغانستان فلقد آزرها الغرب وأمريكا خاصة ؛إذ إن الجهاد في أفغانستان يحقق للأمريكان حلم الإطاحة بالسوفيت والمصالح الاقتصادية هناك ليفتح الباب واسعاً لأمريكا نحو نفط بحر قزوين وكان هذا النصر الذي حققه

---

90 ـ هنتنغتون،صموئيل ـ صدام الحضارات ـ مرجع سابق ـ ص431.ولمزيد من المعلومات أنظر نتوسكي،نعوم ـ السنة من أسعد الجعفر ـ ط1) ـ دار الكتاب العربي ـ دمشق ـ القاهرة ـ 2002م ـ ص57-28،ص60،ص67 .

المجاهدون سعى فيه كثيراً التكنولوجية الأمريكية وأموال ودعم البلاد العربية والإسلامية وكانوا سبباً مباشراً لتأسيس القاعدة والتي ما إن قطع رجالها صلتهم بالنصير الأمريكي حتى خططت أمريكا ونفذت خططها للقضاء على حكم القاعدة وحكم طالبان."الولايات المتحدة منحت صدام حسين دعماً جباراً خلال الفترة التي مارس فيها أفظع الأعمال الوحشية -الشبكة التي أحد رموزها بن لادن - شبكة صنعتها الولايات المتحدة وحلفاؤها لأغراضهم الخاصة واستمروا في دعمها ما دامت تعمل لصالحهم؛ولذا من السهل الإشارة إلى شخص بإصبع الاتهام واعتباره رمزاً للشر المطلق ،بدلاً من محاولة فهم الأسباب العميقة المسببة لهذه الجريمة "(91). يعترف هنتنغتون بأن انتصار أفغانستان لم يكن ليتم إلا بمساعدة تكنولوجية الولايات المتحدة الأمريكية؛فإذا صح التعبير هذا فإنه يعني أن الإرهاب الذي تدعي الولايات المتحدة الغربية مكافحته وتدعو حلفاءها في أوروبا وغيرها من دول العالم إلى تكاتف من أجل منافحته .هذا الإرهاب هي التي أنشأته أيان كان بن لادن صديقاً كما تعتبره الولايات المتحدة الأمريكية لكي تحارب به عدوها السوفيتي اللدود(92). وها هو السحر قد انقلب على الساحر.فالقاعدة و طالبان قد وجها بندقيتهم هذه المرة نحو أنف الصديق الأمريكي الذي اكتشف زيفه وخداعه.

---

91 - تشو مسكي،نعوم - الصدمة - مرجع سابق - ص28، ص33.ولمزيد من المعلومات أنظر (علي،طارق - مائة عام من العبودية) العرب والعالم - العدد(الثاني) - مارس / 2004م - مجلة شهرية تصدر عن ثاقبت للنشر والدراسات - ص45 ولمزيد من المعلومات أنظر أيضاً سالون.غاري كاسبيا - الحرب الدائمة - حوار مع غور فيدال - ت: طلعت مراد - كتاب فضاءات - (4) - المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر - طرابلس - 2002م - ص13،ص14،ص15 ،وما بعدها.

92- لمزيد من المعلومات أنظر (علي،طارق - مائة عام من العبودية) - العرب والعالم - مرجع سابق - ص45 وما بعدها.

الخاتمة

إنّنا من خلال مَا سبق واستعرضتهُ في الأطروحةِ كانتْ تهدفُ إلى تسليطِ الضوءِ الأكاديميّ على أمّهاتِ الإشكالاتِ التي نجمتْ عن أطروحةِ نصّي الدولةِ :نهاية التاريخ والإنسان الأخير عند فرنسيس فوكوياما :وصدام الحضارات عند صمويل هنتنغتون:وقد توصّلتْ إلى أنّ هذين النصّين ليسَا سوى توظيف دعَّمتهُ الدولة (الغربية) خاصة الأمريكيّة من أجلِ النشرِ والتبشيرِ بأيديولوجيّتها التي تفرَّعتْ وتمظهرتْ في الاقتصادِ والسياسةِ مع فوكوياما والثقافةِ مع هنتنغتون ،فأصْبحا بذلك يتمتّعان برواجٍ وسيادةٍ فكريّةٍ على عقولِ الكثيرِ من المثقّفينَ ،وعلى الجدلِ الثقافي والفكري الذي سادَ العالم لوقتٍ غير قصير .

هناك بلا شك أوجه للالتقاء ما بين النصّين أهمّها:

التبشير بأطروحة الديموقراطيّة الليبراليّة كبديلٍ أيديولوجي أو ثقافي بعد انهيار حائط برلين 1989م،وانهيار المنظومة الاشتراكيّة 1991م ـ كما يلتقيان أيضاً في مناصبةِ العداءِ لأعدائها التقليديين اللُدّد تقليديين في مقدمتهم (الإسلام) الذي اعتبرهُ فوكوياما تهديداً أيديولوجياً للديموقراطيّة الليبراليّة وهو عند هنتنغتون يشكّل تهديداً ثقافيّاً لها. إلا أنهما يختلفان في الكثير من النواحي ؛ والتي كما ترى لا تمس من جوهر النقاط والمواضيع التي التقيا حولها ؛إذ أنّ فوكوياما كما عرضنا انطلقَ من المؤدّى الأيديولوجي والاقتصادي والسياسي لأطروحة الديموقراطيّة الليبراليّة محتذياً حذو هيغل وألكسندر كوجيف ؛بينما صمويل هنتنغتون شكّلت الثقافة عندهُ نقطة الانطلاق الأولى في آرائه وهي الثقافة التي تنبعُ من نفسِ مقولةِ الديموقراطيّة الليبراليّة وسيادتها.

وهي الثقافة التي ترعرعتْ في كنف المشروع الكولونيالي القديم ومظاهره التاريخيّة المتعدّدة في التاريخ الغربي كحركة الكشوفات الجغرافيّة ورحلات الرجل الأبيض لاكتشاف الذهب في الأرض الجديدة (أمريكا)حتى نشاطات المركنتاليّات التي مثّلتْ بدورها ركْضاً خلفَ الذهبِ والمعدنِ الثمين.وهي المظاهر التي حملتْ الجينات الأولى للسيطرة والهيْمنة،ولعملية العولمة التي أتتْ كنتاجٍ طبيعيٍّ لأطروحات الديموقراطيّة الليبراليّة.

فإننا هنا نقومُ بمهمةِ البحثِ عن أسلاف وجذور المقولات التي نادى بها كلٌ من فوكوياما في نهاية التاريخ :وهنتنغتون في صدام الحضارات :فما هذه المظاهر التي أسلفنا ذكرها إلا صراعاً من أجل السيادة الأيديولوجيّة الاقتصاديّة والسياسيّة :وكذلك هي من ناحية صداماً حضارياً مبكراً ما بين الرجل الأبيض والأصلانيين.

وهكذا شكّلتْ هذه المظاهر المتعددة للديموقراطيّة الليبراليّة نداءات مبكّرة لتأسيس السوق الكولونيالي الذي حقّق الحُلمَ الرأسمالي الكبير.

لقد كانَ هذا السوق أحد أهم الآليّات الذي طحنَ بها المركز الغربي :وطمس الخيارات الاقتصاديّة والأيديولوجيّة وحتى الثقافيّة للشعوب .إنه :أي السوق : مقولة شديدة الخصوصية في نصيّ فرنسيس فوكوياما و صمويل هنتنغتون:إذ إنّه هو الذي شكّل وما يزال التاريخ الحداثوي للغرب الذي انبرى كلا النصين للدفاع عنهُ :ولهذا كانا نصّين في الدفاعِ عن الحداثةِ التي تبنّتها الدولة الغربيّة ،ولهذا أطلقنا عليها نصين للسلطة سرعان ما تحوّلا إلى سلطتين للنص :إذ إنهما يعنيان تنفيذ المغامرة ومعها المؤامرة للتبشير بتلك الأطروحات الحداثويّة :ومظهرين يعبّران عن مباركة اكتساح مقدّرات الشعوب لتحيلها إلى رماد أيديولوجي واقتصادي وثقافي.

إنّ حلبةَ هذا السوق لا يدخلها إلا الأغنياء (الثيموس الفوكوياميِ والمنتصر الحضاري الهنتنغتوني)اللذين يحملان بعداً واحداً هو البعدُ الاقتصادي الذي كساهُ فوكوياما كساءاً أيديولوجياً وأضفى عليهِ هنتنغتون هنداماً ثقافياً ،وكليهما يعبّران عن المعنى الخصوص للديموقراطيّة الليبراليّة.

وكان لهذا السوق عرّابوهُ وحاملو تطلّعاتهِ ،أعني بها المؤسسات التجاريّة العملاقة .من شركاتٍ عابرة للقارّات ومتعديّة القوميّات ؛وصناديق للنقد الدولي والبنك الدولي ومعاهدات واتفاقيّات ؛كاتفاقية الجات ـبرايتن وودز ،ومنظّمة التجارة العالمية و الأنكتاد ؛وغيرها من أحابيلِ المؤامرة الرأسماليّة التي نسجتها الذهنيّة الغربيّة من أجل توسيع شرك السوق للإيقاع بالدول والشعوب من أجل إحكام الحصار عليها مهما كانتْ نتائج هذا الاقتصاد على هذه الدول والمآسي التي قدْ تقود إليها ـ كما حدث في المكسيك ـ التي أدى إذعانها إلى اتفاقيّات النافتا إلى كوارث اقتصاديّة ؛وإلى بطالة وتسريح للعمالة الوطنيّة.

إنّ هذهِ المؤسسات تعني لدينا شرخاً كبيراً في جسم الديموقراطيّة الليبراليّة ؛إذ إنّها بسياساتها التي اتّبعتها وما فتئت تباعد الليبراليّة عن الديموقراطيّة وتسلبها معاً معانيهما الحقيقيّة .

إنّ الليبراليّة تعني الحريّة على الصعيد الاقتصادي تلك الحريّة التي وفّرها النص الاقتصادي الكلاسيكي مع آدم سميث وغيره من الاقتصاديين الكلاسيك من أجل الوصول إلى منطقة وسطى ما بين الفقر المدقع والثراء الفاحش ،ولكنهُ مع الديموقراطيّة الليبراليّة أدّى إلى نتيجة عكسيّة إذ زاد الفقراء فقراً والأغنياء غنىً ففسد المعنى الحقيقي لليبراليّة.

كما أنّ الديموقراطيّة بدورها قدْ تحوّلتْ إلى مسخٍ مشوّهٍ لا يمثلُ في شيء المعنى الحقيقي للديموقراطيّة ؛وهو حريّة الشعوب والأفراد في ممارساتهم

السياسيّة والاقتصاديّة ؛بينما نجد أن هذه المؤسسات تدوس بالنعال على هذه الديموقراطيّة عن طريق هذا السوق الشرس الذي ليس هو من الديموقراطيّة في شيء ؛ومن ثم (انتعل) ديمقراطيّته الخاصة التي لا يعتنقها إلا الكبار أصحاب المايكرواقتصاديّات ؛والتي يعضّ عليها النص الفوكويامي والهنتنغتوني بالنواجز؛إنها ذات المؤسسات وذات السوق الذي عصف بالليبراليّة وجرفتها رياحه كما تُجرف العظام النخرة.

إنَّ مقولتيّ كلا الرجلين يعتبران نصوصاً لمؤسسات السقوط الديموقراطيّة الليبراليّة الغربيّة التي نجد أصولها الفطريّة والتاريخيّة في ذلك المشروع الكولونيالي الضخم الذي أرّخ له مشروع ألفرد مارشال من أجل تخريب العالم لا تعميره ؛وهو من ناحية مشروعاً في التفريغ الأيديولوجي إذ كان همّه مؤازرة حركة المطاردة ضد أيديولوجية الخصم؛ الخصم الأيديولوجي الاشتراكي التي لا تنزهه عن مطامع الرغبة في امتطاء صهوة العالميّة إذ لم تكن الاشتراكية في قالبها الماركسي تقل رغبة في السيادة والهيمنة عن خصيمتها الرأسماليّة التي تنبّأت باندحارها المبكّر ؛وإن سلكت دروباً مختلفة .إلا أننا مع هذا كثيراً ما استشهدنا بالنص الماركسي نفسه من أجل تقييم النص الحيازي الرأسمالي إشعاراً بسلطة النص التي ميّزت الخصم الأيديولوجي الاشتراكي بدوره من مراقبة تامّة وحذرة لحركة خصمه ـ وهو التاريخ نفسه الذي شكّل أحشاء كلا الخصمين أي التاريخ الغربي الأوروبي الذي ترعرعت في كنفه كلتا الأيديولوجيّتين.

وهنا تأتي الأطروحة على موضوع التفريغ الأيديولوجي ووصيفه التفريغ الاقتصادي كمطاردة باسم التكنولوجيا والتقدم العلمي لهذا الخصم الأيديولوجي العتيد الذي شاء له قدره أن يسقط في منتصف الطريق جثّة هامدة عاريّة إلا من

أطروحة أصبحت رهينة كتب التّاريخ .وهي التكنولوجيا نفسها التي حلّت محل النقاشات والحوارات الأيديولوجيّة ؛وهي نفسها التكنولوجيا التي شكّلت زخماً لنص فوكوياما في الأيدولوجيا المنتصرة ؛ولهنتنغتون في الثقافة الظافرة.

وهكذا قمنا بدورنا بمطاردة نصّي كلا الرجلين لتشير إلى أوجه الاتفاق ما بين النصّين في مقدمة هذه الأوجه تقييمها ونظرتهما للعدو الأيديولوجي والثقافي وهو الإسلام ؛إذ إن كليهما قد توحّدا حول حكمهما على الإسلام كمنافس أيديولوجي مع فوكوياما ومناطح ثقافي مع هنتنغتون.ثم أيضاً أوجه الاختلاف المتعددة ما بين النصّين وفي مقدمة هذا ـ ما نراه ـ من أن الاختلاف العرقي ما بين الرجلين قد طبع بصماته في فكريْهما وأطروحتيْهما ؛إذ إن تصور فوكوياما ذا الجذور الشرقيّة (اليابانيّة) جعلت من الحداثة رخصة كافية للالتحاق بقطار الغرب وهو القطار الذي منع هنتنغتون أن يستغله أي راكب غير غربي مهما كان حداثوياً .وهي الحداثة نفسها التي كانت أهم معين للمشروع الكولونيالي القديم الذي سبق وأن أشرنا إليه وتناولناه كأطروحة من أطروحات السيّادة والغزو لا لتصدير التكنولوجية والتقدم العلمي وحسب بل أيضاً لتصدير (باثولوجيات) النظام الرأسمالي.وهي الباثولوجيات التي لا تبرئ القارئة نصي الرجلين من التبشير بها ؛وإن انتقدا في نصّيهما البطالة والركود والإجرام والعنف والمخدّرات .فإن كلا النصّين شكّلا لدينا (كيس المسافر) الذي يحتوي على الغث والثمين.وهو نفسه كيس المسافر الذي احتوى على مشروع كولونيالي آخر لا يقل في عدوانيّته ضراوة عن المشروع الاقتصادي السياسي ألا وهو الورقة الاقتصاديّة التي يتنافس حولها صمويل هنتنغتون و فرنسيس فوكوياما كل بطريقته.فإن كان فوكوياما قد وضعها جهارة وفي منتصف ظهيرة نحسه لتكون عالماً يبشر به ؛فإن هنتنغتون قد سترها بورقته الثقافية حتى تكون هوة مستترة

من وراء تصنيفه المدرسي للحضارات السبع أو الثمان إذا وضعنا الحضارة الأفريقية في الاعتبار وهذا ما لم يصنعه هنتنغتون.

فهو أي هنتنغتون هنا يقدم إطروحته حول تقسيم الحضارات والثقافات لكي يظهر تفوق الثقافة الأوروبية وحضارتها أو الحضارة الأوروبية وثقافتها؛ مما يؤدي إلى تغذية نفس ذلك المشروع الكولونيالي القديم الذي اشترك في تغذيّته النص الفوكوياميّ.

ولكننا لم نشأ أن نقف مكتوفيّ الأيدي أمام ما اعتبرناه حبائل المؤامرة الديموقراطيّة الليبراليّة التي عمدها نصي فوكوياما وهنتنغتون بل نقدم ورقتنا لإيجاد البديل.فإذا كانت الرأسماليّة ذات المسميّات والكنيات المتعددة قد انتصرت في حلبة ذلك الصراع ما بين عدّوتها القديمة الجديدة الاشتراكيّة الماركسيّة والتي وهنت قواها بفعل عوامل داخليّة فسقطت من ثم مغشيّاً عليها ليشرئب خطاب العنف برأسه في أصقاع المعمورة ليملأها رعباً اقتصادياً وأيديولوجياً وثقافياً نظّم إيقاعه وحركاته نصا فوكوياما وهنتنغتون.فإنّ النظريّة العالميّة الثالثة قدّمت قبل فوكوياما وهنتنغتون مشروعها الإنساني الذي تناول البعد السياسي والاجتماعي والاقتصادي ذلك المشروع الذي استشرف من خلاله (القائد معمر القذافي) الجمع ما بين الهويّة العربيّة والبعد الاستراتيجي الأفريقي ؛وذلك من أجل إيقاف نزيف الاقتلاع الثقافي والإعلامي والاقتصادي ؛وإحياء الأيديولوجية بدلاً من قتلها ؛وللتاريخ عوضاً عن خنقه ؛من أجل توطيد حواراً عالمياً كونياً ينطلق من فضاء ثقافي متحرر من أطر الجشع ،وأراد أن يشحن كل الهويّات بما فيها الهويّة الثقافيّة في حقيبة واحدة هي حقيبة الاقتصاد.

إنّ مشروع الأخ القائد والمفكّر والمعلّم في الفضاء الأفريقي الواسع يشكّل بدوره عولمة مضادّة لذلك المشروع الكولونيالي الديموقراطي الغربي.

يذكر القائد بأنه :"أنا لا أستخدم فيتو مثل فرنسيس فوكوياما الذي قال بنهاية التاريخ لا: أنا أقول عصر الجماهير :الكتاب الأخضر يقول عصر الجماهير الذي يلهب المشاعر ويبهر الأبصار بما يشير به من انعتاق للجماهير وتكوين المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية والنظام الجماهيري .

أفريقيا يجب أن تتوحد في الألفيّة... هذه أوروبا تتوحد ... البحر المتوسط يجب أن يكون حلقة وصل وليس الحلقة المفقودة وهذا الذي سوف أعمل وأناضل من أجله.

العولمة لا نرفضها نحولها إلى عالميّة عندما تكون عالميّة تصبح من صنعنا نحن كلّنا،ولمصلحتنا كلّنا،لا نتركها أمريكيّة..الأمريكان الآن يريدون أن يجعلوها أمريكيّة ،ولكن هي غصباً عنهم لن تكون أمريكيّة.

أنا أعوّل كثيراً على الكونغرس الأفريقي وأريد الشعب الأفريقي أن يظهر وكذلك منظّمة الوحدة الأفريقية لم يقوموا بعمل أي شيء منذ أربعين عاماً الآن تعطى الفرصة للشعب الأفريقي ممثلاً في الكونغرس.كان الرؤساء الأفارقة جاؤا إلى سرت في مؤتمر استثنائي وأصدرنا إعلان سرت في 99/9/9 هذا الإعلان اتفق من خلاله إخواننا الأفارقة على عقد مؤتمر استثنائي في آخر عام 2001 لتحقيق الاتحاد الأفريقي أو الولايات المتحدة الأفريقية ووضع دستور لهذا الاتحاد"(1).

وهو الفضاء الأفريقي الذي يحقق بصدق ما ذهب إليه فانون وقد اعتقد الناس عامة أنه إن للعالم :وللعالم الثالث خاصة ،أن يختار بين النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي ،إن البلدان المتخلفة التي استفادت من التنافس الضاري القائم بين النظامين من أجل أن تكفل انتصار كفاحها في سبيل التحرر

(1) لمزيد من المعلومات انظر لقاء الأخ قائد الثورة مع قناة الرأي وتلفزيون العربية (برس تي) وقناة سي النمساوية تاريخ 2 أبي النار 1430هـ 2000ف . ص29 ص30 ص35 ص37 ص38 ص75 ص104 ص105 ص129.

الوطني ؛يجب عليها مع ذلك أن ترفض الإقامة في نطاق هذا التنافس ؛ولقد طالب فانون باتحاد القارة الأفريقية ضد جميع الخلافات وجميع الإنقسامات"(2).فإن الأحرار يتغير زمانهم وتاريخ مولدهم ،ولكن إطروحاتهم تستعصي على التغيير ،وتظل واحدة ... وفي مقدمتها رفض خطاب العنف.

(2)- لمزيد من المعلومات أنظر فانون فرانز ، معذبو الأرض ، مرجع سابق ، ص28 ص79.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1ـ مسيرة الحضارة ـ المجلد الثالث ـ المجموعة الثانية ـ بهجة المعرفة ـ موسوعة علمية مصورة ـ الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ـ طرابلس ـ 1983م.

2ـ الكيالي: عبدالوهاب ـ الموسوعة السياسية ـ ط(2) ـ ستة أجزاء ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ 1990م.

3ـ فوكوياما. فرنسيس ـ نهاية التاريخ وخاتم البشر ـ ت: حسين أحمد أمين ـ ط(1) ـ مركز الأهرام ـ القاهرة ـ 1993م.

4ـ هنتنغتون. صموئيل ـ صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي ـ ت: مالك أبوشهيوة: محمد خلف ـ ط(1) ـ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ـ مصراتة ـ 1999م.

5ـ إبراهيم. محمود ـ الحياة: الآثار الاقتصادية لأتفاقية الحياة ـ الدار الجامعية ـ 2002. 2003م.

6ـ أبوشهيوة وآخرون ـ الأيديولوجية والسياسة ـ ط(2) ـ الجزء الأول) ـ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ـ بنغازي ـ 1425م.

7ـ أرندت. حنة ـ في العنف ـ ت: إبراهيم العريس ـ ط(1) ـ الفكر الغربي الحديث ـ دار الساقي ـ بيروت ـ 1992م .

8ـ أرندت. حنة ـ أسس التوتاليتارية ـ ت: أنطوان أبوزيد ـ ط(1) ـ دار الساقي ـ 1993م.

9ـ آرون. ريمون ـ أفيون المثقفين ـ ت: عادل زيتوني ـ ط(1) ـ منشورات المكتبة الأهلية ـ بيروت ـ 1962م.

10ـ أمين. سمير ـ ما بعد الرأسمالية ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ سلسلة كتب المستقبل العربي ـ بيروت ـ (9) ـ 1988م.

11ـ إيفانز. م. سارة ـ الحرية ونضال المرأة الأمريكية ـ ت: أميرة فهمي ـ الدار الدولية للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ 1989م.

12ـ بابيك. أوين ـ إرتقاء التقدم "نهاية النمو الإقتصادي وبداية الخصائص البشرية" ـ ت: محمد عبدالقادر. زهير صندوقة ـ دار الشرق ـ بيروت ـ 1995م .

13ـ بيتر. كودان ـ فخ العولمة ـ ت: عدنان عباس ـ عالم المعرفة ـ العدد(238) ـ سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ 1998م.

14ـ بوخينسكي ـ تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا ـ ت: محمد الوافي ـ منشورات جامعة قار يونس ـ بنغازي ـ (بدون تاريخ).

15ـ تشو مسكي.نعوم ـ إعاقة الديمقراطية ـ ط(2) ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ 1998م.

16ـ تشو مسكي.نعوم ـ الصدمة ـ ت: سعيد الجعفر ـ ط(1) ـ دار الكتاب العربي ـ دمشق ـ القاهرة ـ 2002م.

17ـ تورين.ألين ـ نقد الحداثة ـ ت: أنور مغيث ـ المشروع القومي للترجمة ـ 38ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ 1997م.

18ـ تورين.ألين ـ ما هي الديمقراطية؟ حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية ـ ت: حسن قبيسي ـ ط(2)ـ دار الساقي ـ بيروت ـ 2001م.

19ـ توفلر.ألفن ـ تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة ـ ت: فتحي حمد ونبيل عثمان ـ ط(2)ـ مكتبة طرابلس ـ 1996م.

20ـ ثورو.ليستر ـ المتقاطعون ـ ت: محمد فريد ـ ط(1)ـ مركز الإمارات لدراسات البحوث الإستراتيجية ـ أبوظبي ـ 1995م.

21ـ ثورو.ليستر ـ مستقبل الرأسمالية ـ ت: عزيز سباهي ـ دار الثقافة والنشر ـ سوريا ـ 1998م.

22ـ جاكوبي.راسل ـ نهاية اليوتوبيا ـ ت: فاروق عبد القادر ـ عالم المعرفة ـ العدد(269)ـ الكويت ـ 2001م.

23ـ الجابري.محمد ـ قضايا في الفكر المعاصر ـ ط(1)ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـبيروت ـ 1997م.

24ـ جيدنز.أنطوني ـ بعيداً عن اليسار واليمين ـ ت: شوقي جلال ـ عالم المعرفة ـ العدد(286) ـ سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ أكتوبر/2002م.

25ـ الحافظ.يس ـ الهزيمة والأيديولوجيا المهزومة ـ دراسات الفكر العربي ـ الهيئة القومية للبحث العلمي ـ معهد الإنماء العربي ـ بيروت ـ 1990م.

26ـ حرب.علي ـ أوهام النخبة أو نقد المثقف ـ ط(2)ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ 1998م.

27ـ حسونة.خليل ـ الإرهاب الأمريكي ـ ط(1) ـ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ـ مصراتة ـ 1986م.

28ـ دريدا، جاك ـ أطياف ماركس ـ ت: منذر عياش ـ مركز الإنماء الحضاري ـ حلب ـ 1995م.

29ـ ديجون، رينيه ـ نقد العالم المعاصر ـ ت: جورج طرابيشي ـ ط(1)ـ المؤسسة العربية للنشر والإبداع ـ الدار البيضاء ـ 1993م .

30ـ زكي، رمزي ـ الليبرالية المستبدة ـ سينا للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ 1993م.

31ـ زكي، رمزي ـ التاريخ النقدي للتخلف ـ دراسة في أثر النقد الدولي على التكوين التاريخي للتخلف في دول العالم الثالث ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ـ عدد(118) ـ أكتوبر / 1987م.

32ـ سالون ـ غاري كامبيا ـ الحرب الدائمة ـ حوار مع غور فيدال ـ ت: طلعت مراد ـ المركز العالمي لأبحاث ودراسات الكتاب الأخضر ـ طرابلس ـ 2002م.

33ـ ستيس، ولتر ـ في فلسفة هيغل ـ ت: إمام عبد الفتاح إمام ـ دار الثقافة للطباعة ـ والنشر ـ القاهرة ـ 1980م.

34ـ سعيد، إدوارد ـ الثقافة والإمبريالية ـ ت: كمال أبو الديب ـ ط(2)ـ دار الآداب ـ بيروت ـ 1998م.

35ـ عثمان، عبدالله ـ أيديولوجيا العولمة ـ من عولمة السوق إلى تسويق العولمة ـ ط(1)ـ دار الكتاب الجديد المتحدة ـ طرابلس ـ2003م.

36ـ غارودي، روجيه ـ حوار الحضارات ـ ط(4) ـ عويدات للنشر والطباعة ـ بيروت ـ 1999م .

37ـ فانون، فرانز ـ معذبو الأرض ـ ت: سامي الدروبي، وجمال الأتاسي ـ دار القلم ـ بيروت ـ (بدون تاريخ).

38ـ الفائدي، محجوب ـ طرق البحث العلمي في العلوم الإجتماعية ـط(1)ـ منشورات جامعة عمر المختار ـ البيضاء ـ 1994م.

39ـ فريق من الإختصاصيين: المجتمع والعنف ـ ت: الأب إلياس زحلاوي ـط(3) ـالمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ 1993م.

40ـ فريدمان، ملتون ـ الرأسمالية والحرية ـ ط(1)ـ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ـ سرت ـ أي النار/1426م.

41ـ فريدمان، توماس ـ السيارة ألكسس وشجرة الزيتون ـ ت: ليلى زيدان، فائزة الحكيم ـ ط(1)ـ الدار الدولية للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ 2000م.

42ـ الفندي، ثابت ـ مع الفيلسوف ـ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ 1980م.

43ـ فوكوياما.فرنسيس ـ الثقة ـ الفضائل الإجتماعية ودورها في خلق الرخاء الإقتصادي ـ ت: نعيم الإمام :حجاب الإمام ـ بيروت ـ 1998م.

44ـ كاسيرر.آرنست ـ الدولة والأسطورة ـ ت :أحمد حمدي محمود ـ الهيئة المصرية للكتاب ـ القاهرة ـ 1995م.

45ـ كارسون.روبرت ـ ماذا يعرف الإقتصاديون عن التسعينات وما بعدها ـ ت: دانيال رزق ـ ط(1) ـ الدار الدولية للنشر والتوزيع ـ مصر ـ 1994م .

46ـ كلاستر: بيير ـ مجتمع اللا دولة ـ ت :محمد دكروب ـ بيروت للدراسات والنشر والتوزيع 1991م.

47ـ لاتوش.سيرجي ـ تغريب العالم ـ ت: هاشم صالح ـ ط(1) ـ المؤسسة العربية للنشر والإبداع ـ الدار البيضاء ـ 1993م.

48ـ لال نهرو.جواهر ـ لمحات من تاريخ العالم ـ ت :لجنة من الأساتذة ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ 1979م.

49ـ لسينيفسكي.إيفانوف ـ تاريخ الإرهاب الأمريكي ـ ت: غسان سلان ـ دار الحوار ـ سوريا ـ 1983م .

50ـ لكرك.جيرار ـ الأنثربولوجيا والاستعمار ـ ت :جورج كتورة ـ ط(2)ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ 1990م .

51ـ ماركس.كارل ـ الأيديولوجيا الألمانية ـ ت :فؤاد أيوب ـ دار دمشق للطباعة والنشر ـ دمشق ـ (بدون ت.ماركس.أنجلز ـ البيان الشيوعي ـ ط(4) ـ المكتبة الإشتراكية ـدار دمشق ـ 1972م.

52ـ ماركس.كارل ـ رأس المال ـ نقد الاقتصاد السياسي ـ ت :محمد عيناني (الجزء الأول ـ الجزء الثاني) ـ ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ 1988م.

53ـ ماركوزا.هربارت ـ الإنسان ذو البعد الواحد ـ ت: جورج طرابيشي ـ دار الآداب ـ بيروت ـ 1988م .

54ـ المالكي.أحمد ـ العنف في العلاقات الدولية ـ مجلة ثقافية فكرية شهرية تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية ـ الوحدة ـ السنة السادسة ـ العدد(67) ـ نيسان/1990م.

55ـ مجموعة من الباحثين ـ الأيديولوجيات في العالم الحاضر ـ ت :صلاح الدين برمدا ـ منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ دمشق ـ 1983م .

56ـ محمد.فوزي ـ عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة ـ ط(2) ـ منشورات الدعوة الإسلامية العالمية ـ طرابلس ـ 1999م.

57ـ المرسي.كمال الدين ـ الخروج من فخ العولمة ـ ط(1)ـ المكتب الجامعي الحديث ـ الإسكندرية ـ 2002م.

58ـ مرسي. فؤاد ـ الرأسمالية تجدد نفسها ـ سلسلة عالم المعرفة ـ عدد(147)ـ الكويت ـ 1990م.

59ـ مورلابيه.كولينز ـ صناعة الجوع (خرافة الندرة) ـ ت:أحمد حسان ـ عالم المعرفة ـ سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ أبريل/1983م.

60ـ ميكافلي.نيقولا ـ الأمير ـ ت:خيري حماد ـ ط(18) ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ 1990م.

61ـ ميدفيديكوف، بو.سي ـ الشركات المتعددة الجنسيات ـ وتوتر التناقضات الرأسمالية ـ ت:محمود شفيق الشعبان ـ ط(1) ـبيروت ـ 1984م.

62ـ نوار.نعمي ـ تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ(بدون تاريخ) .

63ـ نيفينز.كوماجر ـ يوجز تاريخ الولايات المتحدة ـ ت: محمد خليل ـ ط(1) ـ الدار الدولية للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ 1990م.

64ـ هاردت.أنطونيو ـ امبراطورية العولمة الجديدة ـ ت:فاضل جتكر ـ مكتبة العبيكان ـ 2002م.

65ـ هنداوي.حسين ـ التاريخ والدولة ما بين هيغل وابن خلدون ـ ط(1) ـ دار الساقي ـ بيروت ـ 1996م.

66ـ هنتنغتون.صموئيل ـ الإسلام والغرب ـ آفاق الصدام ـ ت:مجدي شرشر ـ ط(1) ـ مكتبة مد بولي ـ القاهرة ـ 1995م.

67ـ ولعلو.فتح الله ـ في فلسفة الإقتصاد ـ ط(2) ـ الجزء الأول ـ دار النشر المغربية ـ الدار البيضاء ـ 1974م .

68ـ ولد القاسم.يعقوب ـ الحداثة في فلسفة هيغل ـ ط(1) ـ مركز الكتاب للنشر ـ القاهرة ـ 2003م.

69ـلوك.جون ـ في الحكم المدني ـ ت:ماجد فخري ـ بيروت ـ 1959م.

70ـ عبدالمعطي.علي ـ تيارات فلسفية حديثة ومعاصرة ـ دار المعرفة الجامعية ـ الأسكندرية ـ 1991م.

71ـ (غالانو .إدوارد ـ الابادة الجماعية لهنود أمريكا اللاتينية) ـالثقافة العالميةـ العـدد(3) ـ تصـدر دورية شهرية عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت ـ السنة الأولى ـ المجلد الأول ـ 5/مارس/ 1982م.

72ـ الشاهد ـ مجلة شهرية شاملة مصورة ـ العدد(212) ـ بيروت ـ أبريل/2003م.

73ـ (علي .طارق ـ مائة عام من العبودية) ـ العرب والعالم ـ العـدد الثـاني ـ مجلـة شـهرية تصـدر عن تانيت للنشر والدراسات ـ مارس/2004م.

74ـ (الجباعي .جاد الكريم ـ الإنتماء القومي وإشـكالية الهويـة) ـ العـرب والعـالم ـالعدد(الأول)ـ مجلة شهرية تصدر عن تانيت للنشر والدراسات ـ السنة الأولى ـ فبراير/2004م.

75ـ (النقري،معن ـ التقدم العلمي ـ التقني والحياة الثقافية في البلـدان النامية ،الحوراني ،يوسـف ـ الثقافة وبناء الإنسـان :سلطة الثقافة) ـ نحو تأصيل ديموقراطيـة للثقافـة العربيـة ـ الفكـر العربـي ـ العدد(70)ـمجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية ـالسنة الثالثة عشرة ـ ديسمبر/1992م.

76ـ (عبد الاله ،بلقزيز ـ أيديولوجيا نهاية الأيـديولوجيا) ـ مـأزق الأيـديولوجيا ـ الفكـر العربـي ـ عدد(68)ـ معهد الإنماء العربي ـ بيروت ـ السنة(13) ـ أبريل/1992م.

77ـ القذافي .معمر ـ لقاء مع قناة راديو وتلفزيون العرب (إيـه .آر.تـي) ـ وقنـاة دبـي الفضـائية .أي النار /2000م.

78ـ(سيمون .شوستر ـ صموئيل هنتنغتون :صدام الحضـارات وإعادة بنـاء النظـام العـالمي الجديـد) الكرمل ـ العدد (54)ـ فصلية ثقافية ـ شتاء/1998م.

79ـ (سعدي ،محمد ـ صدام الحضارات) ـ المستقبل العربي ـ العدد(244)ـ يصدرها مركز الوحـدة العربية ـبيروت ـ 1999م.

80ـ (بل .دانييل ـ أمريكا مجتمـع جماهيري)مجلـة فضـاءات ـ الحقيقـة .الآخر والتـاريخ ـالعدد الأول ـ مجلة للفكر والثقافة والنقد ـ تصدر كل شهرين عن المركز العالمي لدراسات وأبحـاث الكتـاب الأخضر ـ مارس/2002م.

81ـلوسان ،مونيه ـ المستقبل والأيديولوجية :توسيل :أندريه ـ الأدلجـة ونظريـة الأيديولوجيـة) ـ الأيديولوجيات في العالم الحاضر ـ ت :صلاح الدين برمدا ـ منشورات وزارة الثقافة والارشـاد القـومي ـ دمشق ـ 1983م

كشاف

1ـ أرندت ـ حنة: ألمانية أمريكية واحدة من أبرز علماء الاجتماع السياسي في القرن العشرين .من مؤلفاتها :في العنف ـ أسس التوتاليتارية .ولدت في مدينة هانوفو الألمانية عام 1906م.من عائلة يهودية وقد التجأت إلى فرنسا عام 1933م هرباً من النازية :وقد غادرت أوروبا نهائياً عام 1941م لتستقر في الولايات المتحدة :حتى وفاتها عام 1975م،بعد 27 عاماً من وفاتها لا تزال أرندت تحظى في العالم وبخاصة في فرنسا بافتتان في عالم النشر.

2ـ آرون ،ريمون: عالم اجتماع معاصر :وأحد أقطاب مؤتمر ميلانو للحرية الثقافية :لازال يعيش في باريس :وتظهر مقالاته اليومية في عدد كبير من صحف أوروبا الكبيرة في الوقت الحاضر .وقد شغل منصب بروفسور في جامعة السوربون قبل استسلام فرنسا في الحرب العالمية الثانية :وانتقل إلى الميدان الصحفي بعد ذلك التاريخ .وهو صاحب كثير من النظرات العميقة في عالم السياسة والاقتصاد حتى أنه يعتبر خير معلق على الأحداث الأوروبية المعاصرة،من أهم أعماله :أفيون المثقفين الذي أصدره عقب هذا المؤتمر.

3ـ **الإستثمار المباشر الأجنبي**: الذي يتم في دولة ما بحيث يكون المستثمر الأجنبي يشرف على استثماراته.

4ـ **الاشتراكية الديموقراطية**: تعني التدرج السائد بارتفاع نسبة الضرائب من أصحاب الدخل المحدود إلى أصحاب الدخل العالي .كمحاولة لتحقيق أعلى درجة من العدالة في ظل الرأسمالية كنظام .والتي تريد تحقيق الاشتراكية عن طريق البرلمان.

5ـ **إعارة وتأجير**: اسم القرار الذي اتخذه الكونغرس الأمريكي ووقعه الرئيس روزفلت في آذار/مارس 1941 :مخولاً السلطة التنفيذية تزويد بريطانيا والحلفاء بالسلاح والعتاد والتموين الحربي دون أن تتخلى الولايات المتحدة(حتى ذلك التاريخ) عن حيادها الرسمي بين الأطراف المتنازعة في الحرب العالمية الثانية :وقد نص القرار على وجوب استرداد ثمن الأعتدة والإمدادات بعد الحرب .ولكن ذلك لم يحصل نتيجة الإستنزاف الاقتصادي للدول الحليفة أثناء الحرب.

6ـ **أغيلار ـ أدولفو**: معلق سياسي ومشارك أقدم في مؤسسة متخصصة بالسلام الدولي.

7ـ افتا: مجموعة دول التجارة المتحدة الأوروبية :وهي رابطة اقتصادية أوروبية غربية مكونة من :النمسا.الدانمارك .النرويج.البرتغال :السويد .سويسرا :بريطانيا.قامت على أساس إلغاء الجمارك والقيود على التجارة فيما بينها ضمن مهلة زمنية محددة دون أن يعني ذلك اتحاد سياسات جمركية وتجارية موحدة إزاء الدول الأخرى .

8ـ الاقتصاد الهادف : تحقيق اهداف المجتمع في مجموعه بإشباع الحاجات أكثر من اهتمامها بتحقيق المصالح والأهداف الفردية .ويقصد به الاقتصاد الذي يعتمد على قطاعات قيادية وخاصة في الصناعة :حيث إن الصناعة إذا ما تطورت سوف ترفه الاقتصاد الوطني .ومن ثم يتطور دخلها السنوي .وهنا يجب التفرقة بين الاقتصاد الذي يعتمد على الزراعة والانتاج الزراعي إذ أن الزراعة والسلع الزراعية قابلة للتلف وأسعارها ليست مرتفعة مقارنة بالسلع الصناعية وأسواقها محددة فهي لا تزيد أو لا تؤثر بالدخل السنوي بالشكل المطلوب :أما الصناعة فهي إما أن تنتج السلع الإستهلاكية العادية أو إنها تنتج وسائل الانتاج وهي التي ترفد الانتاج بطاقات جديدة وقدرات عالية .هذا إضافة إلى أن الزراعة سوف لا تعطي المجتمع القدرات العمالية العالية :فالاقتصاد الهادف هو الاقتصاد الذي يوازن بين الانتاج الصناعي أو القطاعات الصناعية أو القطاعات الزراعية أو الخدمية (مثل السياحة) ولكل منها هدف في زيادة الدخل القومي.

9ـ أمين ،سمير :ولد في القاهرة عام 1931م حصل على دكتوراة في الاقتصاد من جامعة باريس 1957م.عمل في المؤسسة الاقتصادية في القاهرة من 1957م إلى 1960م ثم في وزارة التخطيط لجمهورية مالي من 1960م إلى 1963م كما عمل أستاذ إقتصاد في جامعتي باريس وداكار .ومديراً للمعهد الأفريقي للتخطيط والتنمية الاقتصادية التابع للأمم المتحدة من 1970م إلى 1980م.يعمل منذ 1980م مديراً لمنتدى العالم الثالث ويشرف على برنامج بحوث عن استراتيجية للمستقبل الأفريقي التابع لجامعة الأمم المتحدة .من أهم مؤلفاته :ما بعد الرأسمالية ،التطور اللامتكافئ وغيرها.

10ـ أنجلز ،فردريك :(1820ـ 1895)فيلسوف إنجليزي ابن رجل أعمال برجوازي ثري ،مع هذا كان من أكبر فلاسفة البروليتاريا (الطبقة العاملة) حماسة وفاعلية .درس الفلسفة متبنياً الموقف اليساري بحسم النقد مثالية هيغل .أصدر أعمالاً رائدة في الفكر الاشتراكي في العام 1844.التقى كارل ماركس في باريس ليغدو صديقه ورفيقه.

11ـ **الأنكتاد**: معاهدة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية تشكل في 1964م، بعد حملة تبنتها مجموعة دول عدم الإنحياز ،ودعت للمؤتمر التنمية انعقد بالقاهرة في صيف 1962م،انتهت بها إلى وثيقة سمت إعلان القاهرة.

12ـ **آليات السوق**:أي القوانين والاجراءات التي يسير السوق بمقتضاها والسياسة المرسومة التي يتبعها كل من يدخل إليه سواء الخاص بتحديد الأسعار وأنواع وكميات السلع المطروحة في السوق ،وتمكن من عملية تحقيق الاتصال المباشر ما بين البائعين والمشترين.

13ـ **الأوديانسيا** :جهاز تشريعي وإداري كان الملوك الأسبان يمارسون بواسطته جانباً من الحكم في الأراضي الأمريكية المكتشفة.

14ـ **البطالة**: تنشأ في المجتمع عندما يكون الإنسان الراغب والقادر والمؤهل على العمل في مجال معين غير قادر على إيجاد ذلك النوع من العمل تحت الظروف والقوانين السائدة بالمجتمع.

15ـ **بطرس الأكبر**:(1687ـ1718) تولى قيادة روسيا بعد حكم والدته ،وكان معجباً بأوروبا الغربية واتبع اساليبها وحضارتها،جلب عام 1697ـ1698م خبراء من أوروبا الغربية للعمل في مختلف الوحدات ،إلا أن روسيا في عهده لم تستقر فأخذت تتأرجح بين الشرق والغرب.

16ـ **بريتش،راؤول**:اقتصادي أرجنتيني رأس اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية التابعة للأمم المتحدة خلال الخمسينيات ثم رأس مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية.

17ـ**البنك الدولي**: لا يمول سوى تلك المشاريع التي لا يمكن للبلد أن يتعهد بها ـتمويل مشاريع عامة حكومية ،ويقدم المساعدة للدول المتخلفة لإعادة بناء اقتصادها وتقوية بنيتها التحتية وذلك بتوفير المعونات الرأسمالية طويلة الأجل وقد أنشأ في 27/ديسمبر/1945م.

18ـ **بوت،بول**:زعيم الخمير الحمر المعروفة بجرائمها في كمبوديا ،ولد بشمال بنم بنة 1928م وقد حكم كمبوديا لثلاث سنوات من عام 75ـ1978م ارتبط اسمه بأقسى مرحلة مرت بها كمبوديا وأكثرها عنفاً وبطشاً وقد اشتهر هو وجماعته بقتل مليونيين من الكمبوديين عن طريق محاكمات جماعية ،ألقوا القبض عليه وحكموا عليه بالإقامة الجبرية إلى أن مات في منتصف أبريل(نيسان) 1998م.

19ـ **بيري، ماثيو جلبرت**:(1754ـ 1858) استطاع على رأس سرب من البوارج الأمريكية أثناء زيارتين لليابان 1853، 1854ف أن يرغم اليابان العسكرية المترددة على أن تفتح ميناءين أمام الملاحة الأمريكية.

20ـ**التجربة الآسيوية** : يقصد بها النجاح الاقتصادي المذهل الذي حققته الدول الآسيوية بصرف النظر عن ما حققته من فوائد مادية لها والتي شملت هونغ كونغ،تايلاند، سنغافورة، ماليزيا.

21ـ **تسهيلات الإنتاج**: كل ما يساعد على اكتمال عملية الإنتاج بشكل ميسر من موارد بشرية متعلمة ،ومن شبكات نقل ،موارد مالية ،ومكائن ومعدات وأبنية ومحراث ومخازن ،وهناك تسهيلات إنتاج رئيسية وثانوية التي تتضمن الطاقة والأبنية الخدمية ومراكز الإطفاء وغيرها.

22ـ **تشو مسكي**،نعوم:كاتب ومحلل سياسي أمريكي معاصر ،وأكثر المفكرين الغربيين نقداً للنظام الأمريكي الرأسمالي .من أهم أعماله :إعاقة الديموقراطية:الصدمة...

23ـ **تطور الانتاج الأمريكي الخارجي**: أي ممارسة نفوذ ذلك الانتاج الأمريكي خارج حدوده بحصوله على موقع هام في السوق الخارجي بحيث يصبح المستهلك الأجنبي الوجود خارج حدود أمريكا قريب من ذلك الانتاج المتغلغل في السوق.

24ـ **تطور عمليات الانتاج الأجنبية**: يصبح تدفق الانتاج في الدول الأخرى غير الأمريكية حاضراً كمنافس للإنتاج الأمريكي ويكون ذلك من خلال الشركات المتعددة الجنسيات .

25ـ **تورين**،**ألين**:ولد في عام 1925م،وهو رجل اشتراكي أسس عام 1958م معمل علم الاجتماع الصناعي بعد فترة قضاها في دراسة عمال الصناعة الفرنسية ،شرع في تأسيس مركز دراسة الحركات الاجتماعية قبيل التمرد العفوي الذي قام به الطلاب والعمال 1968م يعمل تورين أستاذ للحركات الاجتماعية ،ويقوم بتدريس علم اجتماع الثورة منذ عام 1968م.

26ـ **ثورو**،**ليستر**:اقتصادي أمريكي من أهم أعماله:مستقبل الرأسمالية ،المتناطحون،وهو ناقد للرأسمالية الأمريكية التي أصبحت عاجزة أمام ما تواجهه من تحديات.

27ـ **الجات ـ برايتن وودز**: المنظمة العالمية للتجارة وهي منظمة أقيمت بين الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية عام 1948م.حيث يختص بند الإتفاقية بإقامة نظام موحد للتجارة الدولية .حيث حصل الأتفاق بموجب هذه الإتفاقية بشأن تخفيض مستمر لتعريفات الجمركية في

خلال السنوات القادمة للإتفاقية ،وهناك المنظمة العالمية للتجارة وهي منظمة أنشأت عام 1995معلى أثر جولة أورجواي من جولات اتفاقية التجارة سابقاً التي أنشأت في الأربعينات وتتخصص في ميدان التجارة ،وأشاعت مبدأ الحرية التجارية بين أعضائها ،ويشترط في الإنضمام إليها العمل بإجراءات رفع الحواجز والتنمية وتسهيل التبادل التجاري ،وينضوي في إيوائها أكثر من 140 دولة ،ويعد أحد أهم معالم نظام الدولة الجديد.

28ـ **جوبينو،ألكونت**: (1753ـ1855) من الأرستقراط الفرنسيين ويعتبر باعث النظرية العنصرية في علم الاجتماع بتأكيده على أهمية العامل العنصري في التطور الاجتماعي،من أهم أعماله :مقالة في لا مساواة الجنس البشري.

29ـ **الحافظ،يس**: ولد في عام 1930م، مفكر عربي معاصر ولد في مدينة صغيرة تدعى دير الزور تقع على ضفاف نهر الفرات ،ترعرع في تلك المدينة ،فلم يغادرها إلى دمشق للالتحاق بالجامعة السورية إلا في العام 1949م .عرف باهتمامه الشديد بالثورة الديموقراطية ودورها الأولي والحاسم في سيرورة التقدم العربي ،وبالتالي قضية تحرر المرأة .من بين مؤلفاته :الهزيمة والأيديولوجيا المهزومة.

30ـ **حرب،علي** :مفكر لبناني معاصر من أهم كتبه: أوهام النخبة.

31ـ **الحماية الاقتصادية**:تقوم بفرضها الدولة وليس الأفراد على منتجاتها عند دخولها أو خروجها من السوق التنافسي لحماية صناعتها الوطنية ،ولهذا تأثير كبير ليس فقط على الصناعة المحلية نفسها بل حتى على الأيدي العاملة التي قد تتسرب إلى الخارج.

32ـ **الحواجز الحمائية**:وهو الحد الذي كانت تقيمه الدولة لحمايتها ولتحول دون دخول الإنتاج الأجنبي والاستثمارات المالية إلى داخل حدودها.

33ـ **الدايت**: مجلس النواب الياباني.

34ـ **دارون،تشارلز**:(1809ـ1882) عالم حيوان إنجليزي اشتهر خصوصاً بمذهب التطور:ولد في انجلترا في 12فبراير وتوفي في 19أبريل.

35ـ **دريدا،جاك**:مفكر فرنسي.ولد في الجزائر عام 1930م ،يرى أن الفكر الغربي كله متشبع بما يسميه بمركزية الكلمة أو ميتافيزيقا الحضور وأن الأطروحات الفلسفية الغربية هي صيغ لنظام واحد.

36ـ **دي توكفيل، ألكسيس**: (1805ـ1859) سياسي ومؤرخ وفيلسوف فرنسي درس النظام السياسي الأمريكي عن كثب ووضع أول دراسة تحليلية للدستور الأمريكي .له أيضاً كتاب متميز يرصد فيه تفاصيل الحياة الفرنسية اليومية قبل الثورة :من مؤلفاته: الديموقراطية في أمريكا في الثلاثينات من القرن التاسع عشر .

37ـ **ديلو، جاك**: رئيس المجموعة الأوروبية عام 1991.

38ـ **الدولة الكومبرادورية**: هي الدولة التي وظيفتها الأساسية ضمان هيمنة رأس المال العالمي ،على نقيض الدولة القومية ،كان الشكل المهيمن للكومبرادورية في المرحلة ما بين عام 1880 و 1945 هو الكولونيالية المباشرة ومضمونها إنكار وجود الدولة المحلية وفرض التخصص الزراعي/المعدني من خلال إدارة أجنبية .

39ـ **الرأسمالية النفاثة**: أي الرأسمالية الصاعدة بقوة متنامية شبيهة بالقوة التي تندفع بها الطائرات النفاثة الحديثة.

40ـ **رأسمالية الدولة** : تعني احتكار الدولة للإنتاج الصناعي بصرف النظر عن الظروف التي يتم فيها هذا الإحتكار ،أي تصبح الدولة عبارة عن مؤسسة رأسمالية كبرى تستغل العمال من أجل أن تجني الأرباح شأنها في ذلك شأن أي رأسمالي آخر.

41ـ **روزفلت**: رئيس أمريكي الذي كان خريج مدرسة غروتون في جامعة هارفالد قرر في سن مبكرة أن يقتفي خطوات قريبة في البيت الأبيض خدم في الجمعية التشريعية لولاية نيويورك ،رشح لمركز نائب الرئيس في سنة 1920م ثم أصيب بشلل الأطفال: وقد ناضل في تؤدة حتى استرد صحته وأخذ يدرك التاريخ السياسي الأمريكي في سنة 1928م سبق المرشحين معه إلى الفوز بمنصب حاكم ولاية نيويورك ثم أعيد انتخابه بعد عامين بأغلبية أكبر كان أفضل زعيم من الديموقراطيين معرفة وإطلاعا في البلاد في سنة 1932م.

42ـ **روسو: جان جاك**: (1712ـ1778) ولد في سويسرا ،استقر في فرنسا وهناك ألف كتابه (إميل) 1752 ،والعقد الاجتماعي 1762.

43ـ **ريكاردو: ديفيد**: (1772ـ1823) اقتصادي انجليزي ولد في لندن ـ كان مصرفياً ناجحاً عمل كذلك في البورصة من أشهر كتبه :مبادئ الاقتصاد السياسي والضرائب الذي صدر عام 1817م.ـ

44ـ **الساموراي**:تشير إلى طبقة المحاربين في اليابان ،يرتدي محارب الساموراي الرداء الخاص الذي يعلوه بنطال يشبه التنورة وجاكيت فضفاض قصير ،الحكومة لا تطالبه بالعمل تبقى عنده حرية شخصية ،وكل ما تطلبه منه الحكومة هو أن يبقى في وضع الإستعداد للقتال لحماية النظام في أوقات الحرب،وكان الساموراي شخصياً مميزاً لا يمكن أن تخطئه في الشارع ،هو الوحيد محارب الساموراي الذي يمكنه أن يحمل سيفين ،كرمز قاتل لسلطته ،وإذا تجرأ أحد من العامة على ازدرائه فإن من حق الساموراي أن يقتله على الفور،ولقد هيمنت طبقة الساموراي على التاريخ الياباني قرابة 700عام ،بدءاً من عام 1185م ولغاية عام 1867م،وهي فترة اتسمت بالعنف والقسوة والغنى الثقافي.

45ـ **السوق الإنتاجية الرأسمالية** : يكون الرأسمال الإنتاجي يعتمد على العرض والطلب وكلاهما في تذبذب مستمر دون توقف.

46ـ سبنسر ،هربارت:(1820ـ1903) مهندس وكاتب وفيلسوف بريطاني ،كما إنه عالم اجتماع ،وقد علم نفسه بنفسه وبالتالي كان تعليمه انتقائياً .من بين أعماله :المبادئ الأولى عام 1860،وفي عام 1887وصل إلى القانون الشامل للتطور الفيزيقي والعضوي والاجتماعي.

47ـ سميث،آدم:ظهر في أواخر القرن الثامن عشر .ولد في اسكتلندا ،وتعلم في جامعة جلاسجو في عام 1751م عين أستاذ للمنطق ثم أستاذ للفلسفة الأخلاقية لأكثر من اثني عشر عاماً ،من أهم مؤلفاته :ثروة الأمم 1772م.

48ـ **سوق العمل** :وفيه يقوم العمال بعرض قوة عملهم بشكل يحافظوا فيه على مستوى معين من الدخل يكفيهم وعائلاتهم من خلال عملهم لعدة ساعات في اليوم ،سحب جزء من مخزونهم وعرضه في السوق كي يعوضوا المبالغ التي فقدت نتيجة لإنخفاض الأسعار ،ويعني سوق العمل عرض العمل والطلب عليه ،وفي هذه الحالة وحسب عنصري العرض والطلب على العمل تحدد الأجور والمرتبات وسوق العمل فهو يعني بيع القدرات الشخصية للعاملين عن طريق شراء هذه القدرات والإستفادة منها في عملية الإنتاج أو تقديم الخدمات .وقد يكون عرض العمل (الأشخاص الراغبين في العمل) أكثر من الطلب بمهم فتكون النتيجة تدني الأجور والعكس صحيح ،وهذا راجع إلى حالات الانتعاش أو الكساد .ففي الانتعاش تزداد الطلب على العمل بمختلف تخصصاته فترتفع الأجور والعكس في حالة الكساد .

49ـ **سوموزا**: نصب هذا الجنرال على حكومة نيكاراغوا فزاد من كبت المعارضين ووسع نفوذ عائلته وثروتها حتى انتشرت ممتلكاتها في خارج نيكاراغوا ،واستطاع النجاة من أكثر من عشر محاولات لأغتياله حتى كان حفل أقامه الحزب الليبرالي الموالي عام 1956 فاغتنم أحد الثوار ذلك ليطلق النار عليه ويصيبه ،وتوفي بعد بضعة أيام .ولقى انتصار الثورة الساندنستية في نيكاراغوا التي أسقطت في عام 1979م تير الدكتاتورية السوموزية الذي دام سنين طويلة عداوة وحقد واشنطن التي وسعت النشاط الإجرامي التخريبي لمنع استقرار الحكومة الساندنستية.

50ـ **شيهارا**: عضو سابق في الحكومة اليابانية.

51ـ **الشركات المتعددة الجنسيات**: وتسمى أيضاً الشركات العابرة للقارات أو الشركة العالمية والشركة الدولية أو المشروع الدولي ،وهي التي تعمل على أساس يتجاوز حدود القطر الواحد جميع الأمور التي تهم الاقتصاد الدولي والأوضاع المالية للأقطار المختلفة وهي تقوم بذلك على نحو سريع وفعال ،وهو مؤسسة لها مركز في بلد معين وعدة شركات فرعية موجودة في مختلف البلدان تعمل كلها في إطار استراتيجية عامة فهي تقوم باستثمارات داخل البلد وخارجها وتغذي مواردها من تمويلات الشركات المتعددة الجنسيات: وتسمى أيضاً الشركات العابرة للقارات أو الشركة العالمية والشركة الدولية أو المشروع الدولي .وهي التي تعمل على أساس يتجاوز حدود القطر الواحد جميع الأمور التي تهم الاقتصاد الدولي والأوضاع المالية للأقطار المختلفة وهي تقوم بذلك على نحو سريع وفعال .وهو مؤسسة لها مركز في بلد معين وعدة شركات فرعية موجودة في مختلف البلدان تعمل كلها في إطار استراتيجية عامة فهي تقوم باستثمارات داخل البلد وخارجها وتغذي مواردها من تمويلات تأتيها من مختلف البلدان وهكذا تفقد الوحدة الإنتاجية ارتباطاتها القومية الأصلية وتصبح ذات طبيعة عالمية لا وطن لها أي متعددة الجنسيات ،وهي قاعدتها في الولايات المتحدة تستحوذ على أكبر حصة من الاستثمار الأجنبي.

تأتيها من مختلف البلدان وهكذا تفقد الوحدة الإنتاجية ارتباطاتها القومية الأصلية وتصبح ذات طبيعة عالمية لا وطن لها أي متعددة الجنسيات ،وهي قاعدتها في الولايات المتحدة تستحوذ على أكبر حصة من الاستثمار الأجنبي.

52ـ **الشنتوية**: وهي الدين الأصيل في بلاد اليابان .وتعني لفظ الشنتوية الطريق إلى الآلهة ،وهي تقوم على تقديس أرواح الأبطال والأباطرة ،وتقديس قوى الطبيعة وليس لها مؤسس ولا عقيدة ولا

تعاليم مكتوبة ومع ذلك فقد عاشت طويلاً في اليابان قبل دخول البوذية إليهما في القرن السادس الميلادي حيث اندمجت بها.ثم استقل عنها ثانية.

53ـ **صندوق النقد الدولي**:صمم لأجل تزويد الدول الصناعية الغنية برصيد مؤقت لتسديد ديونها في صورة دفعات .مقره في واشنطن وتسيطر عليه الولايات المتحدة .وله مشروعات عديدة في العالم ويمثل أحد أهم قوتين مصرفيتين عالمياً.

54ـ **الطاوية** : هي إحدى الديانات الصينية الكبرى القديمة .أسسها الفيلسوف الصيني (لاوتسي) أو الفيلسوف القديم .في القرن السادس قبل الميلاد .أما كلمة "طاو" فهي تعني الطريق الذي يبين عالم الظواهر ونظامه .كما تعني نظام الكون الذي لا يدخله الخلل .وتعني القوة الكامنة في الطبيعة والأشياء .وهي المبدأ الأخلاقي الذي يحكم سلوك الانسان الطيب.

55ـ **طوكوجاوا**:إمبراطور ياباني في عهده عزلت اليابان نفسها عن بقية العالم وهذه في الفترة ما بين (1603ـ1867) بالإضافة إلى انه في عهده قد تمت السيطرة بشدة على كافة الأنشطة الداخلية للدولة بدءاً من المواصلات وحتى التجارة وفيما بعد تم استبداله بالإمبراطور الميجي.

56ـ **عصر الأنوار** : يشار إلى القرن الثامن عشر ، ويقصد بذلك سيادة فلسفة عقلية تجريبية مادية ترفض الميتافيزيقا والدين .وتهتم بالرياضة والفلك والطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعي والجغرافيا والطب ، فلسفة تؤمن بالتغير وتسعى إلى التجديد في كل شيء تحدوها ثقة مطلقة في العقل ويدور التفكير فيها حول الإنسان.

57ـ **غارودي:روجيه** : ولد في مرسيليا عام 1913م.مناضل سياسي وفيلسوف فرنسي بدأ حياته ماركسياً وانتهى باعتناق الإسلام تحت اسم رجاء غارودي .ودرس الفلسفة .ألف كتاب حوار الحضارات 1977م.أخذ يدعو إلى إعادة اكتشاف الحضارات التي حاول الغرب تدميرها لأن بناء مستقبل حقيقي لا يمكن أن يتم دون استعادة الأبعاد الإنسانية كما طورتها وعمقتها الحضارات والمدنيات غير الغربية .ولديه العديد من المؤلفات الأخرى منها: مشروع أمل ، نداء إلى الأحياء .وعود الإسلام.

58ـ **فانون،فرانز**: (1925ـ1961) مناضل ومفكر وثوري ، درس الطب في ليون وحارب في الصفوف الفرنسية ضد النازيين إبان الحرب العالمية الثانية .عمل طبيباً نفسانياً في الجزائر عام 1952م،فدرس عن كثب ظاهرة التعذيب وغيرها من ظواهر الإستعمار وأثرها على المجتمعات المستعمرة .أبدى تعاطفاً واضحاً مع قضية التحرير الوطني من خلال كتاباته ضد الفرنسيين في

الجزائر ،واضطر إلى الإختفاء أمام مطاردة البوليس الفرنسي ،فلجأ إلى تونس حيث ألتحق بجبهة التحرير الوطني الجزائري .وحيث أصبح رئيساً لتحرير جريدة (المجاهد) الناطقة الرسمية باسم الجبهة .طاف أفريقيا داعياً لمساندة الثورة الجزائرية .ذاع صيته من خلال كتابه (معذبو الأرض) الصادر عام 1961م والذي ترجم إلى لغات عدة ؛ وقد كتب الكتاب بعد أن علم بقرب أجله لإصابته بمرض خبيث ألمّ به.

59ـ **فريدمان ،ملتون**:اقتصادي وأكاديمي معروف ورائد مدرسة شيكاغو ولد عام 1912م.حائز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام 1976م.لدراساته في تحليل الاستهلاك والنظرية النقدية والاستقرار الاقتصادي.

60ـ **فيورباخ ،لودفيدج اندرياس**:(1804ـ1872) فيلسوف مادي ألماني كبير في مرحلة ما قبل الماركسية.

61ـ **فولتير**:(1694ـ1778) فيلسوف فرنسي وشاعر أديب ثائر على المآسي التي ظهرت في فرنسا.

62ـ **قانون اليد الخفية**: يعني أن المصلحة الفردية تحقق مصلحة المجتمع إذ باتت تتحكم في الحياة الاقتصادية في السوق والإنتاج وبأن بمقدورها إيجاد التوافق بين المصلحة الخاصة والعامة ،وركز عليها آدم سميث في نظريته الاقتصادية.

63ـ **القدرات المنتجة**: والتي تتضمن الأيدي العاملة بأنواعها الماهرة وغير الماهرة ،إضافة إلى طاقات المكائن والمعدات التي تعمل مع المواد الأولية لأنتاج السلع أو تقديم الخدمات .

64ـ **قبائل الإنكا**:امتدت هذه الإمبراطورية من القرن الحادي عشر إلى عام 1531.ممتدة من كولومبيا إلى تشيلي في أمريكا الجنوبية.

65ـ **قبائل الأزتك**:حضارة عريقة امتدت شمالاً لتشمل الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة (قبل ظهورها) وجنوباً حتى أمريكا الوسطى وظهرت حين انهارت حضارة التيتهوا في حوالي 900م واستمرت حتى عام 1531.

66ـ **كارليل ،اليكسس**:عالم في علم تحسين النسل والنقاء العرقي ،كانت البيضاوية Whitenessمركز اهتمامه الأكبر ،واعتبر أن العرق الاسكندنافي هو أرقى جنس حضاري بسبب نقاء بياضه ،وقد منح جائزة نوبل ،كما اتهم بالتجسس لصالح الألمان.

67ـ **الكوبيك**: هم سكان منطقة كوبيكQuebec وهم متفرنسون ويتكلمون الفرنسية ،وتهيمن عليهم الثقافة الفرنسية ،ويطالبون حتى الآن بالإنفصال عن باقي كندا.

68ـ **الكنزية العالمية**: يعني توسيع نظرية كينز في أهمية تدخل الدولة في الاقتصاد على نطاق عالمي يخدم أيديولوجيا السيطرة والهيمنة الاقتصادية .حتى لا تكون هناك مفارقة ما بين الدولة والاقتصاد ،وحتى تخفي الدول الشمالية تلك المفارقة أو المناقضة ما بين دور السياسة والإقتصاد .

69ـ **الكالفنية** : نسبة إلى كالفن الذي ولد عام 1509م.مصلح ديني فرنسي تفرعت من مذهبه فرقة الطهرانية Puritains وهم جماعة من البروتستانت ظهرت في القرنين السادس عشر والسابع عشر في إنجلترا وأمريكا وكانت تدعو بالإلتزام بحرفية الكتاب المقدس والتمسك بالفضيلة.

70ـ **كوجييف،ألكسندر**:(1902ـ1968) فيلسوف فرنسي من أصل روسي ومن أكبر شارحي فلسفة هيغل.

71ـ **كينز،جون مايناردـ**:(1883ـ1946) عالم اقتصادي لامع ولد في انجلترا ،يمثل موقف المعارضة من الاقتصاد الكلاسيكي من أشهر أعماله:النظرية العامة للنقود والفائدة والاستخدام الذي صدر عام 1936م.

72ـ **الكلانية**:يقصد بها المذاهب الشمولية كالنازية في ألمانيا،والفاشية في إيطاليا،والبلشفية في روسيا.

73ـ **الكوزموبوليتية**: وتعني المواطنية العالمية أي تحتوي ناس من مختلف القوميات.

74ـ **الكوك ـ كلاس ـ كلان** :هي التسمية التي أطلقت في البداية على جمعية سرية قليلة العدد ذات بنية بالغة التعقيد في درجاتها ونظام الترقية فيها إلى جانب الطقوس الغريبة التي تمارسها .وهي جمعية سرية نشأت في الولايات المتحدة لترسيخ سيطرة البيض على الزنوج.

75ـ **لاتوش،سيرجي**: أستاذ في كلية القانون في مدينة ليل الفرنسية ،وفي عهد دراسات التنمية الإقتصادية والاجتماعية بباريس سبق له أن نشر نقد الإمبريالية عام 1979م،وكتاب هل ينبغي رفض التنمية؟ عام 1986م.

76ـ **لوك،جون**:(1632ـ1704) فيلسوف إنجليزي من عائلة أرستقراطية ،صاحب كتاب رسالتان عن الحكومة المدنية.

77ـ **لوتاك،إدوارد**:اقتصادي أمريكي روماني الأصل نال شهرة واسعة كمؤرخ ،ويتحول من واحد من أكبر دعاة الحرب الباردة فيما سلف إلى واحد من أكثر نقاد التوجه الاقتصادي الجديد بشدة .

78ـ **لينين:فلاديمير إيليتش**:(1870ـ1924) زعيم الثورة البلشفية الروسية ،وهو فيلسوف من الطراز الأول.

79ـ **مارشال،ألفرد**:(1842ـ1924)الاقتصادي المعروف وصاحب المشروع الأمريكي في إعادة تعمير أوروبا المتضررة من الحرب ،وهو المشروع الذي رفضه الاتحاد السوفيتي في عهد ستالين.

80ـ **ماركس،كارل**: (1818ـ1883)فيلسوف اشتراكي ألماني مناضل ثوري ،ثم اعتنق المسيحية .من أهم أعمال ماركس :رأس المال(1867ـ1894)،الصراع الطبقي في فرنسا(1850)،الحرب الأهلية في فرنسا(1871)،مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي(1859)،العمل المأجور ورأسمال ،بؤس الفلسفة ،مخطوطات(1844)...

81ـ **ماركوزا،هربارت**:(1898ـ1979) فيلسوف ومنظر سيكولوجي وعالم اجتماع من أعماله :العقل والثورة،الحب والحضارة،فلسفة النفي،الإنسان ذو البعد الواحد ،نحو التحرر،الثورة والثورة المضادة،الماركسية السوفيتية،نظرية الوجود عند هيغل...

82ـ **مجموعة السبعة أو G7** :وتضم الدول الصناعية الكبرى بقيادة الولايات المتحدة ،وهو تجمع تنسيقي للسياسات الاقتصادية اتجاه العالم ،يجتمع رؤساء حكومات الدول المشاركة سنوياً في قمة اقتصادية وهؤلاء هم :كندا،فرنسا ألمانيا، ايطاليا،اليابان ، بريطانيا،أمريكا،ويرقى بالكبار السبعة والآن أصبحت روسيا تدعى لحضورد أي كعضو مراقب ،ويطلق عليه G7+1أو مجموعة الثمانية.

83ـ **معاهدة كاناجاوا**: حصلت عام 1854م،يتم بموجبها أن تفتح اليابان من مرافئها للتجارة الخارجية ،وتسمح بقيام تمثيل دبلوماسي أمريكي في أراضيها.

84ـ **معاهدة ماستريخت**:أقيمت بهولندا في 1991/12/8م أصدرت قرارات عديدة وهامة في سبيل توحيد السياسات المالية والنقدية لدول الجماعة وصولاً لتأسيس بنك مركزي موحد وإصدار عملة أوروبية وهي (اليورو) مع عام 1999م.

85ـ **مكسري الإضرابات**: تعبير ظهر في فرنسا يقصد به هناك فئة واحدة أو عدة فئات تحاول بشكل مقصود أو غير مقصود التأثير على الإضرابات التي تحدث في المصانع أو المعامل المختلفة أو في السكك أو الطيران أو غيرها ؛وهذه الفئات تحاول تخريب أو إفشال الإضرابات التي تحصل ؛وقد يكون للمصنع أو الشركة التي قام بها الإضراب هي حد وراء ذلك فتحاول شق العنف العمالي وتخريب الإضراب.

86ـ **منظمة التجارة العالمية**: حلت محل الجات ؛حيث ولّ عالم القطب الواحد الذي يكمن في لُب النظام ؛وظهر الآن عالم متعدد الأقطاب .وضعت صيغة على الورق باسم منظمة التجارة العالمية تتول تحديد القواعد التي يقوم عليها الاقتصاد الجديد ذو الأقطاب المتعددة .لأنه ليس بمقدور الولايات المتحدة الآن أن تدير نظام تجاري عالمي كما لا تستطيع خلق نظام جديد.

87ـ **مؤتمر الحرية**: هذا المؤتمر الذي عقد في ميلانو بجنوب إيطاليا في سبتمبر /1955 ؛وأطلق عليه اسم مؤتمر الحرية الثقافية ؛حضره لفيف من علماء الاجتماع الغربيين مثل:دانيل بل،ريمون آرون وغيرهم اللذين نادوا فيه بضرورة انتهاء الحوار الأيديولوجي لتحل التكنولوجية محله ؛ولهذا عرف ب(حركة التفريغ الأيديولوجي).

88ـ **مونتسكيو:تشارلز سيكوندا بارون دي**:(1689ـ1755) ارستقراطي وفيلسوف فرنسي من أهم أعماله روح القوانين.

89ـ **وارن،بل**: مؤلف كتاب الإمبريالية رائدة الرأسمالية .وقدم وصفاً للتوسع الرأسمالي الذي يحطم العلاقات القديمة السائدة بين الرأسمالية ؛وأن رأس المال هو مرادف للتقدم.

90ـ **المذهب البروتستانتي** : وهو مجموعة العقائد الدينية والكنيسة المنبثقة عن حركة الاصلاح الديني في أوروبا التي رافقت ظهور وتطور الثورة الصناعية فيها ؛والبروتستانتية لغوياً مشتقة من كلمة للاتينية الأصل تعني الاحتجاج أو الاعتراض .والبروتستانتية بخلاف الكاثوليكية ؛وإلى حد ما الأرثوذكسية ، لا تشكل كنيسة واحدة ذات سلطة مركزية هرمية بالرغم وجود العديد من القواسم المشتركة التي توحد بين معظم أطرافها .من أبرز مؤسسيها :لوثر وكالفن .أما أهم طوائفها فهي: اللوثرية ، الاصلاحيون، الانكليكان، المنهجيون، المعمدانيون،الإنجيليون.. ولعل القاسم المشترك الأساسي لكل هذه الطوائف هو إيمانها المطلق بأولوية الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد على السواء) على التقليد الكنسي كمصدر للوحي وكتعاليم للعقيدة والسلوك ؛فالبروتستانت يستمدون إيمانهم مباشرة من خلال تفسيرهم الذاتي لنصوص الكتاب المقدس .ومن هنا تعدد التأويلات

وتباينها وهم بذلك يرفضون بقوة الكنيسة الكاثوليكية التي تعتبر أن التقليد الكنسي وتفسيرها الخاص للكتاب المقدس يعادلان من حيث الأهمية ما جاء في الكتاب المقدس ذاته. من هنا تبرز أهمية البروتستانتية كثورة واحتجاج على الكنيسة الكاثوليكية وتسلطها الديني والدنيوي في أوروبا آنذاك وكمحاولة مبلورة للتخلص من النظام الاقطاعي الأوروبي الذي كان يعيق نمو البرجوازية الصناعية والتجارية .ومن هنا أيضاً ذهاب بعض المفكرين كماكس فيبر إلى الربط بينها وبين بدايات الثورة الصناعية ويقظة القوميات في الغرب.

91ـ **الميجالوثيميا**:وهي الرغبة في نيل الاعتراف بالتفوق على الآخرين:كلمة جديدة لها أصل إغريقي .وتعني أيضاً تضخم الذات:وعكسها الإيسوثيميا أو التعادلية :وهي رغبة الإنسان في أن يعترف به مساوياً للآخرين:وتشكل الميجالوثيميا والإيسوثيميا معاً مظهري الرغبة في الإعتراف التي يمكن على هديها فهم التحول التاريخي إلى الحداثة .

92ـ **الميجي**:(1852ـ1912) إمبراطور ياباني اسمه الحقيقي موتسو هيتو :وتعني كلمة الميجي باليابانية الحاكم المستنير:وهو مؤسس اليابان الحديثة.

93ـ **منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية**: منظمة أنشأت بين الدول الصناعية الغربية كجزء من انعكاسات الحرب الباردة :وتضم جميع دول حلف الأطلسي الأوروبية بالإضافة إلى الولايات المتحدة :وتعد أكبر وأقوى تجمع اقتصادي.

94ـ **الناتو**:حلف سياسي عسكري غربي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية :أنشئ بموجب معاهدة عرفت بهذا الإسم في أبريل/نيسان/1949م بمدينة واشنطن :ويتكون من الولايات المتحدة :بريطانيا ،فرنسا:كندا:إيطاليا، بلجيكا :هولندا :البرتغال: لوكسمبورغ، آيسلندا، النرويج، الدانمارك، ثم انظمت إليه بعدئذ كل من ألمانيا الغربية،وتركيا،اليونان:تعود جذور الحلف إلى الحرب العالمية الثانية .تحول الحلف عام 1952م إلى منظمة دولية إقليمية دائمة مقرها في باريس - برز إلى الوجود على أثر اشتداد وطأة الحرب الباردة وازدياد الصراع بين المجموعة الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفيتي والمعسكر الغربي في أوروبا ورغبة الولايات في التصدي للنفوذ السوفيتي.

95ـ **النظرية الكنزية**:نسبة إلى مؤسسها كينز:وتدعو هذه النظرية إلى ضرورة تدخل الدولة في الاقتصاد،على عكس ما كان سائداً للقضاء على الكساد الاقتصادي الذي أصاب الولايات المتحدة في فترة الثلاثينيات ،نادت بضرورة قيام الحكومة بالإنفاق عن العجز من أجل وضع المال في جيوب المستهلكين اللذين ما أن يصبح لديهم المال حتى يندفعون خارجين لشراء ما يعن لهم من أشياء.

96ـ **النمور الآسيوية**: وهي دول غير غربية استطاعت بنجاح أن تحقق التحديث والنمو الاقتصادي وهي: هونج كونج ،تايوان، كوريا الجنوبية ، سنغافورة،الصين، ماليزيا: تايلاند ،اندونيسيا،وتأخذ طريقها إلى البناء في الفلبين ،الهند،فيتنام.

97ـ **النافتا**:منظمة التجارة الحرة لدول شمال أمريكا .وهي تجمع اقتصادي يضم دول الأمريكتين تقريباً ،وأنشأ ليواجه الاتحاد الأوروبي.

علماً بأنه تم الرجوع إلى الموسوعات السياسية والاقتصادية وبعض الكتب العلمية التي تم إدراجها في قائمة المصادر والمراجع ، بالإضافة لشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) للحصول على تلك المعلومات الموجودة في الكشاف.